

مفترق طرق

رواية

حازم حامد الشاذلي



ليليث للنشر
والتوزيع

مفترق طرق
حازم حامد الشاذلي
غلاف / سارة سليمان
مدقق لغوي أ. أحمد عبد العظيم
رقم إيداع ٢٠١٥ / ٢١٩٩ ط ١
الترقيم الدولي / ٩ - ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع
الإشراف العام / إيمان سعيد



01022661632 - 01224272327



lilettepublishing@gmail.com



www.lilithbook.com

جميع الحقوق محفوظة للناسر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية من الناسر، يعرض صاحبه للمسائلة القانونية .

عینی رات مولود علی کتف امہ

یصرخ تھنن فیہ.. یصرخ تضمہ

یصرخ تقول له یا بنی انطق کلام

دالی ما یتکلمش یا کتر همه..

عجبی

صلاح جاہین

يوم من أيام شتاء عام 2008

استيقظ الدكتور مصطفى منصور رضوان في تمام الساعة الثامنة صباحًا قبل أن ترن أجراس المنبهات الثلاثة التي يضعها بجواره على الكومودينو؛ إمعانًا في الاحتياط وخوفًا من أن يستيقظ متأخرًا، مع أن هذا لم يحدث له مطلقًا طوال حياته سواء في مصر أو هنا في لندن داس على الأزارر الثلاثة حتى لا تنطلق الأجراس وظل في سريره الحديدي الواسع الفاخر حتى صارت الساعة الثامنة وخمس دقائق. قام بعد أن أزاح الغطاء عن جسده ودق جرسًا بجانبه منبهًا خادمه الهندي كومار أن موعد قهوته قد حان. دخل كومار الغرفة بعد طرق البابو حيًا سيده بأدب وابتسامة نمطية لا تتغير، ووضع على المنضدة في وسط الغرفة «ماج» كبير ملئ بالنسكافيه باللبن وانصرف.

جلس دكتور مصطفى على مقعده الوثير «الفوتي» من طراز أحد ملوك فرنسا، وامسك بالريموت كونترول وراح يقلب المخططات الفضائية. إنه لا يشاهد قنوات التلفزيون الإنجليزي؛ ويرى أنها مملة لذا يرمج تلفزيونه على الـ «سى إن إن» و «الجزيرة» والـ «بى بى سى» بالنسبة للأخبار، وعلى «الفضائية المصرية» وقنوات الأفلام المشفرة بالنسبة للترفيه. أما أهم قناة بالنسبة له فهي القناة التي تقدم مصارعة المحترفين؛ فهو يعيش مشاهدتها ولا يمكن أن ينام قبل أن يتابعها ما يقرب من الساعة مهما كانت مشغوليته!

انتهى من احتساء قهوته. أصبحت الساعة الثامنة والثلاث موعداً لحلاقة ذقنه. إنه يخلقها كل يوم، هكذا تعود طوال حياته، ويستغرق في الحلاقة عشر دقائق يضع بعدها ماء كولونيا فرنسي لا يغيره أبداً. أخذ حماماً دافئاً. أشارت الساعة للثامنة والنصف وخمس دقائق. دق الجرس مرة أخرى فحضر كومار. قال له مصطفى: كُحلى. في ثوانٍ فتح كومار الدولاب الضخم الذي يملأ نصف الغرفة والذي يحتوي على حوالي ثلاثين بدلة مختلفة الألوان، وإن كان معظمها متشابه في الموديل. فتح كومار الدولاب وأخرج في ثوانٍ بدلة كحلى وما يلزمها من قميص وكرافت وحذاء وجورب. تعلم كومار الدقة والذوق من دكتور مصطفى؛ فهو يعمل عنده منذ ما يقرب من عشرة أعوام، ارتدى مصطفى ملابسه وصفف شعره بعد تجفيفه بالسيشوار. أصبحت الساعة التاسعة إلا الربع. خرج من غرفته ليجد مسز طومسون مديرة المنزل واقفة أمامه باسمه. حياها وأخبرها أنه سيتناول الغذاء في الخامسة.

مسز طومسون في حوالي الستين، أرملة، وجدة لثلاثة ذكور وأنثى، اختارها مصطفى من وسط عشرة تقدمن للوظيفة، اختارها لصفة واحدة تتميز بها عن الأخريات: أنها لا تتكلم كثيراً فهو يكره الثثرة، أو صاها بعد اختيارها للعمل معه ألا تجعله يفكر أبداً في أي شيء يتعلق بالمنزل، عليها أن تتصرف ولديها كل الصلاحيات وسيساعد كومار في ذلك، ركب مصطفى سيارته المرسيدس سبور السوداء ذات المقعدين والتي يفضلها عن أي سيارة.

يقول لنفسه: ما فائدة المقعدين الخلفيين وأنا غير متزوج وليس لدى أطفال؟!!

في تمام التاسعة كان الدكتور مصطفى يركن سيارته أمام باب الكلية، الدكتور مصطفى منصور رضوان عالم جيولوجيا معروف وأستاذ في الجامعة ويمتلك مكتب

استشارات جيولوجية يدرعليه أرباحًا طائلة، كما أنه يقوم بإلقاء محاضراته في معظم جامعات بريطانيا وأحيانًا في جامعات أوروبا والولايات المتحدة، كما تستضيفه دول الخليج لفترات على مدار العام نظرًا لتخصصه الدقيق في ثروات الأرض، في تمام التاسعة وثلاث دقائق كان مصطفى يجلس إلى مكتبه في كلية العلوم، وهكذا كانت حياة الدكتور مصطفى: دقيقة، منتظمة، ومحددة ومن النادر أن يختل نظامها إلا في الظروف الاستثنائية مثل السفر وخلافه.

دخلت عليه كارلا سكرتيرته الإنجليزية الجميلة، ذات الطول الفارع والقوام الممشوق، والعيون ذات اللون الذي يتغير حسب الإضاءة؛ من الأزرق الفاتح إلى الأخضر! اختارها أيضًا مصطفى من ضمن الكثيرات لهذه المواصفات لا لغرض في نفسه، فمبدأه ألا يقيم أي علاقات شخصية في مكان عمله مهما كانت المغريات-ولكن حبًا وتقديرًا للجمال في ذاته، دخلت كارلا وحيته ووضعت أمامه مجموعة من الأوراق ولم تسأله عما يشرب لأنها تعلم أنه لا يفعل ذلك قبل موعد الراحة في الواحدة ظهرًا رن جرس موبيله، رقم لا يعرفه.

- آلو

- رد المتكلم بالعربية: حضرتك دكتور مصطفى؟

- رد مصطفى بالإنجليزية: نعم من معي؟

- رد المتكلم بالعربية: حضرتك أنا عصام شعبان. حفيد خالة سعادتك الحاجة عواطف.

- قال بالعربية: أهلاً وسهلاً، مرني.

- أبدأ سعادتك، هي أرسلت معي لحضرتك السلام وكان نفسى أقابل

حضرتك.

- أنت بتتكلم مين؟

- من لندن. أنا ساكن فى ايرلز كورت

- تقدر تيجي دلوقت؟ أنا فى الجامعة.

- أقدر.

- تعالى الساعة حذاشر. حذاشر ودقيقة ما تجيش! حاتقابلك كارلا

السكرتيرة قل لها أنا عصام من مصر، مش برضه بتعرف تتكلم إنجليزى؟

- طبعًا يا فندم. أنا جاي على طول.

استدعى مصطفى كارلا وطلب منها مواعيد محاضراته ولقاءاته اليوم.

دكتور مصطفى يقترب من الخمسين؛ كثيف شعر الراس والحاجبين، أشيب الفودين والسوالف، قمحي البشرة، متوسط القامة، ولكن أكثر ميلًا للطول. قوامه معتدل وقوى البنية، لا بروزات ولا كرش. عامة ليس شديد الوسامة، ولكن له جاذبيته، تقول كارلا فيه: إنه رجل لطيف وجذاب، ولكن ليته ييتسم أو يفهم الدعابة فى الحادية عشرة تمامًا أدخلت كارلا عصام شعبان إلى مكتب مصطفى.

- السلام عليكم.

- إزيك يا عصام.

- الله يخليك يافندم أرجو ألا أعطل سيادتك.

- إزي الست عواطف وإزي مصر كلها؟

- بخير يا فندم.

لم يتسم مصطفى على الإطلاق وبدا اللقاء رسميًا بحثًا مما أحبط عصام.

- خير كنت بتقول عايزني؟
- الحقيقة يا فندم أنا معيد في كلية الهندسة -قسم عمارة- وجاي أعمل الماجستير في جامعة كارديف وطبعًا جدتي قالت لي ماينفعش تروح بريطانيا من غير ماتعدي على مصطفى باشا.
- أيوة يعني أيه المطلوب بالضبط؟
- ابتلع عصام خجله وإحباطه وإن كان بدا عليه ذلك وقال: «الدفعة» الأولى يا سعادة الباشا يعني نصائح وتوجيهات سعادتك.
- يابني أنت مبعوث من الدولة عشان الماجستير، ما حدش حا يذاكر بالنيابة عنك، أنت اللي حاتعمل مستقبلك ماتعتمدش على حد. خليك واضح ومحدد عشان أنا ما عنديش وقت. ما المطلوب مني بالضبط؟
- ابتلع عصام إحباطه بصعوبة هذه المرة وقال: بصراحة أنا مرتب البعثة لن يكفيني لأنى حابعت أجيّب مراتي وابني ومحتاج لشغل إضافي.
- مراتك وابنك؟ ليه أنت عندك كام سنة؟
- ستة وعشرون.
- ولحقت تتحوز وتخلّف! ليه؟ إنسان طموح زيّك وناوي تكمل تعليمك العالي، ليه تربط نفسك بدري كده؟ بلاش تجهيهم يابني حايعطلوك.
- إزاي يا فندم ما ينفعش!
- أنت حر. مراتك بتشتغل أيه؟
- طيبة. طيبة عامة.

- كويس أهى تيجي تتفرج هنا على المستشفيات حاتستفيد، لكن صعب تشتغل دلوقت. يعنى إنت سيادتك عايزتشتغل؟ حاتقدر توفق بين الدراسة والشغل؟
- حابذل كل جهدي يا فندم .
- أخرج مصطفى محفظته من جيبه والتقط كارتًا وكتب بالإنجليزية على ظهره وأمسك بورقة بيضاء من على المكتب وكتب عليها عنوانًا.
- خد روح العنوان ده في كارديف وأعط الكارت لمستر والاس وهو حايعمل اللازم. ولو ماشغلکش خلال يومين اتصل بي تاني. حاول ترفع رأسي.
- يا فندم أنا مش عارف أقول أیه؟
- ماتقولش حاجة. الحق أوتوبيس كارديف.
- متشكر متشكر. همّ عصام بالخروج. تذكر مصطفى شيئًا فناده:
- عصام.
- أيوة.
- محتاج فلوس؟
- لا يا فندم متشكر معي ما يكفي.
- باتكلم جد. ماهو مش معقول تيجي بريطانيا عشان تجوع.
- لا يا فندم متشكر جدًا معايا.
- عصام شعبان شاب أسمر نحيل، أجعد الشعر. من الطبقة المتوسطة، طموح ومتدين. انصرف من المكتب سعيدًا، ولكنه مندهش لقد استقبله
- الرجل استقبلاً غير مشجع ومع ذلك عمل معه الواجب وزيادة! أليس شخصية عجيبة؟

- تلقى مصطفى بعد انصراف عصام مكالمة من شيللا. شيللا مضيعة جوية من دولة التشيك التقى بها في رحلة جوية كان مدعوًا لندوة في براغ، وكانت هي مضيعة الرحلة، دار بينهما حديث قصير وتبادل لأرقام التليفونات ومنذ هذا اليوم -منذ حوالى العام- وهي تواظب على زيارته والإقامة في منزله الآخر في كرويدون -من ضواحي لندن- والذي يخصصه لعطلات نهاية الأسبوع أو عندما يستضيف أحدًا، اتصلت شيللا لتخبره أنها في المطار، وأنها على وشك الصعود للطائرة، وتشكره على اليومين اللذين قضتهما في ضيافته. -شيللا. متى ستأتين مرة أخرى؟
- الحقيقة لا أعرف، ولكنك تعرف أنه ما من مرة اضطررت للمبيت في لندن إلا و مررت عليك، دعها للظروف.
- أوكي.

شيللا فتاة في السابعة والعشرين. رائعة الجمال، ذكية وطموحة. تعرف فارق السن بينها وبين مصطفى ومع ذلك لا تكل ولا تمل من محاولة إيقاعه في مصيدة الزواج.

انتهى دكتور مصطفى من اجتماعاته ومحاضراته وأوشكت الساعة على الخامسة موعد انصرافه المفترض طبقاً لجدوله المعتاد و موعد ركوب سيارته والعودة لمنزله، وتناول الطعام الذي أعدته مسز طومسون. فكر في أنه يريد التجديد اليوم، خاصة وأنه لم يوص مسز طومسون بشيء محدد يفضلُه. فكر أنيتناول الطعام في المطعم الذي تعود عليه منذ فترة طويلة والقريب من منزله، ولكنه كان بحاجة للراحة بعد هذا اليوم الطويل؛ لذا قرر أن يؤجل زيارة المطعم للمساء. اعتذر لمسز طومسون عن تناول الطعام وسمح لها بالانصراف إذا أرادت. دخل غرفته وبدل ملابسه وجلس أمام التلفزيون يشاهد مصارعة المحترفين إلى أن أحس بالنعاس فنام وهو يعلم تماماً أنه سيستيقظ تلقائياً بعد نصف ساعة أو ساعة وكان يسمى هذه الغفوة اللذيذة: «غفوة نابوليون» فقد سمع أن نابوليون كان يغفو قليلاً على حصانه في المعارك فيستعيد نشاطه ويواصل الحرب!

لم يكن مصطفى عمدة المصريين الرسمي فيلندن فهو يكره المناصب، و لكن لا أحد يستطيع أن ينكر أنه الشخصية الأكثر شعبية وسط الجالية المصرية في لندن؛ فهو جاد ونشط وفعال ويشارك في جميع الأنشطة والمجالات ويساعد بقوة وإيجابية. إنه لا يجيد الكلام وقد يبدو أحياناً عنيفاً أو قاسياً، ولكنه عنف وقسوة من فرض على نفسه بالقوة نظاماً صارماً لا يسمح بضياع الوقت في المجاملات وما لا طائل من ورائه.

كان أيضاً من أسباب شعبيته «غموضه» فهو لا يفتح قلبه لإنسان ولا يصرح لأحد بنياته أو مشاعره ولا أحد يعلم شيئاً عن تاريخه أو حياته قبل الوصول للندن. وطبعاً لا أحد يعلم لماذا لم يتزوج حتى الآن؟ فقط الناس تتكلم عن أن له علاقات نسائية كثيرة مع سيدات وفتيات من الطبقة الراقية الإنجليزية والعربية وأيضاً مع سيدات شهيرات، ومن حين لآخر

كانت بعض الصحف الصفراء تنشر بالتورية أخبارًا تتناول هذه العلاقات.

إلا أنه لا أحد استطاع أن يثبت أى شىء من هذا وهو لم يتكلم أبدًا! و بصرف النظر عن نوعية هذه العلاقات فإنه لم يحدث أن تسببت في أي مشاكل بالنسبة له أو للآخرين. نستطيع أن نقول أنّ الدكتور مصطفى رضوان شخصية مثيرة للجدل في لندن إلا أنه بلا شك شخصية جديدة بالاهتمام والاحترام.

أفاق مصطفى من غفوة نابوليون ودق الجرس منبهًا كومار إلى موعد القهوة ثم الجرس الثاني منبهًا إياه إلى موعد إعداد ملابس الخروج، قال لكومار بحدوء: بني، انطلق كومار يجهز بدلة بنى ومستلزماتها واستأذن سيده أن يخرج له المعطف لأن الطقس ممطر اليوم، لم يجبه مصطفى وهذا في حد ذاته معناه أنه موافق!

انطلق مصطفى بالسيارة السوداء إلى مطعم «ذى لاجون» أو البحيرة وهو ليس أفخم مطعم في لندن، ولكنه يفضلّه لأنه أفضل من يقدم حساء الطماطم الذى يعشقه، ولأنه قريب، كما أن زبائنه هادئون وجلسته مريحة.

دخل مصطفى المطعم، رحب به العاملون لأنه زبون قديم كما أنه يترك بقشيشًا ممتازًا! جلس إلى مائدته المفضلة التي لا يغيرها لأنها تتيح له رؤية كل الحاضرين بينما من الصعب عليهم أن يروه. حضر إليه «مايك» الجرسون المخضرم في المكان. سأله إن كان يريد المعتاد أم أن هناك تغييرًا اليوم؟ قال مصطفى: حساء الطماطم طبعًا كما هو، ولكن اليوم أريد لحم الغزال. أرجو أن يكون متوفرًا.

- بكل تأكيد سيدي، سيأتي الطعام بعد عشرين دقيقةً ماذا تحب أن تشرب مع الطعام؟

- نبيذ أحمر.

دكتور مصطفى ليس متدينًا هو يشرب الخمر في المناسبات، ومع بعض الأكلات ويقول لنفسه ولبعض المقربين «إن قليلاً من الخمر يصلح المعدة ويوسع الشرايين»! لم يصل أبداً لحد السكر ولم يشم أحداً رائحة الخمر من فمه، يشاهد أحياناً في صلاة الجمعة وبكل تأكيد في صلاة العيدين في المركز الإسلامي حيث يحتفل بانتظام مع الجالية المسلمة، ويقول بعض الشهود أنهم رأوه بعيني رأسهم يتناول الطعام في نهار رمضان!، أما هويته الدينية الداخلية وعقيدته غير معروفة على الإطلاق، فقط يقول في بعض المناسبات إن الدين علاقة الإنسان مع ربه وهو موضوع شخصي بحت. أثناء انتطاره للطعام، وبينما كان يتسلى بمراقبة الحاضرين لمح على مائدة بجواره سيدة جميلة تجلس وحيدة تتناول طعامها بهدوء ورقة بالغة، هي في أوائل الثلاثينات. بيضاء البشرة، شعرها لا يستطيع تحديد لونه بالتحديد قد يكون أسود أو خروبي، طويل، منسدل حتى كتفيها، عيناها واسعتان، ولا يظهر لونهما على البعد، صغيرة الفم، مكتنزة الشفتين، تبدو وهي جالسة طويلة القامة بالنسبة لامرأة، ليست نحيفة إنما قوامها هو المثالي من حيث امتلائه في مواضع وغياب هذا الامتلاء في مواضع أخرى! لفتت نظره، لم يكن جمالها هو ما لفت نظره، ولكن أولاً: لأنها تبدو شرقية إن لم تكن مصرية، وثانياً: لإحساسه أنه رآها قبل ذلك، أصرأن يتذكر ولم يفلح وفجأة وبدون أى مقدمات، وكأنه داس على زر استدعاء المعلومات في الكمبيوتر فاستجاب، قال لنفسه: نعم إنها هي: نهي خطاب! لم يكن دكتور مصطفى متابعاً بقوة للحركة الفنية في مصر، ولكنه بحكم العادة القديمة كان يشاهد في رمضان بعض المسلسلات والبرامج وقد يلفت نظره من حين لآخر نجم أو نجمة مسلسل أو فيلم أو برنامج، نعم إنها هي نهي خطاب ممثلة ومطربة أو بالأصح ممثلة ممكن أن تغنى، ظهرت بوضوح منذ حوالي خمس أو ست

سنوات ولفتت الأنظار بجمالها وحضورها القوي ثم اختفت فجأة وقيل أنها تزوجت واعتزلت، هي. برافو عليك يا مصطفى -قال مصطفى لنفسه- ما زالت الذاكرة بخير! ولكن مالذي جاء بها إلى هنا ولماذا تجلس وحيدة؟

انشغل مصطفى بالطعام الشهى والنبذ الأحمر، إلا أنه من حين لآخر كان يختلس النظر لنهى، ولاحظ أنها تقريباً انتهت من تناول الطعام وتطلب فاتورة الحساب.

راح مصطفى يراقب الموقف الطريف الذي أمامه؛ أحضر مايك فاتورة الحساب لنهى -أو التي من المفترض أنها نهي- نظرت فيها وأخرجت من حقيبتها كارتاً يبدو أنه كارت فيزا، أخذه منها مايك وذهب للكاشير، بعد دقائق عاد إليها وقال شيئاً، انفعلت وهبت واقفة تتكلم بعصبية، ظل مايك يروح ويجيء بين المائدة والكاشير ثم بدأ الصوت يعلو -صوت نهي طبعاً!- ظل مصطفى يراقب الموقف، وجد مايك يتعد ويترك الساحة للكاشير ونهى. ناداه مصطفى واستفسر منه عما يحدث فأخبره مايك بالسيناريو كما توقعه مصطفى بالضبط؛ لقد تم الكشف على بطاقة نهي ووجد أنها متوقفة أو خالية من الرصيد فاعترضت نهي وقالت أن هذا مستحيل وأن الخطأ لا بد أن يكون من ماكيتهم. هنا لاحظ مصطفى وقوف نهي في حيرة أمام الكاشير، من المؤكد أنه ليس معها نقود سائلة، وجد أن هذا هو الوقت المناسب للتدخل، قام من مكانه وتوجه للكاشير، حياه ثم وقف أمام نهي ومد يده، كان مصطفى لا يحب أن يتكلم بالعربية على الإطلاق إلا إذا عرف أن محدثه لا يتقن الإنجليزية وبهذه الطريقة استطاع أن يتقن اللغة واللهجة اللندنية بالذات. الآن هو لا يعرف نهي فلا بد أن يتكلم بالعربية.

- مدام نهي، مساء الخير.

- نظرت نهي إلى محدثها باستغراب وفرح في نفس الوقت لأن هناك رجل في لندن تعرف عليها!
- مساء النور.
- أنا دكتور مصطفى رضوان وآسف للتدخل، ولكنني أرى أنه لابد أن نحل المشكلة مع هؤلاء الناس حتى لا نعطلهم وبعد ذلك نتفاهم أرجوك
- سأدفع الحساب، لم ينتظر منها رد وطلب من الكاشير إضافة حساب نهي إلى حسابه.
- قالت نهي: ولكن يا دكتور، أرجوك.
- بعدين يا مدام نهي بعدين.
- انتهى الكاشير من تسديد فاتورة نهي، قال مصطفى: تفضلي يا مدام نهي أكملی طعامك..
- إن معي نقود في المنزل، لو تكرمت أنا لن أستطيع أن أنام الليلة إذا لم أدفع النقود، حضرتك كمل أكلك وأنا مش ساكنة بعيد حاجيب الفلوس و...
- أنا خلصت أكل وأعتقد أن الجو ممطر بالخارج، إذا سمحت لي سأوصلك للمنزل وهات الفلوس زي مانتي عايزة.
- ده كرم من حضرتك ولكن...
- لم يرد عليها ولم يتسهم مرة واحدة خلال الحديث، وتوجه للكاشير لدفع حسابه.

- اخرجى أنت أولاً، ستجدين سيارة مرسيدس سبور سوداء، انتظرينى أمامها دقيقتين فقط، سأذهب لدورة المياه..
- الحقيقة أنه لم يكن يريد الذهاب لدورة المياه، ولكنه قال ذلك حتى لا يظن أحد ظن السوء في نهى وحتى يعطى لها الفرصة للهروب إذا أرادت!
- وقفت نهى دقيقتين أمام السيارة حائرة؛ هل سيأتى؟ هل سيتأخر ويكون موقفها سخيفاً خاصة وأن الأمطار بدأت تهطل؟ لم تستغرق حيرتها طويلاً فقد وجدت مصطفى أمامها يفتح لها باب السيارة في لطف وأدب.
- الحقيقة أنا مستغربة؛ حضرتك عرفتنى إزاي؟ الكثيرون هنا لا يعرفونى.
- شكلك لم يتغير إطلاقاً. ربما ازدادت جمالاً، ولكن الشكل واحد. حضرتك ساكنة فى؟
- «ويست كينزنجتون».
- لم ينبس ببنت شفة وراح يراقب الطريق من خلال المساحات التى تتحرك يمينا ويساراً تريح المطر الغزير من على زجاج السيارة.
- ماكنتش حاقدراً أروح فى المطر ده، متشكرة جداً.
- العفو.
- وصل مصطفى منطقة «ويست كينزنجتون» فراحت نهى تصف له الطريق حتى توقفا أمام فندق صغير بسيط من تلك التى يطلق عليها فى بريطانيا «بيات وإفطار» قالت: أيوه هنا، أبدى مصطفى دهشته قائلاً: ساكنة هنا؟! - نعم.

- ليه؟
- ليه أيه؟
- ليه حضرتك تسكنين في مكان متواضع زي ده؟ فيه أي مشكلة؟
- حضرتك دي قصة طويلة ممكن أطلع ثواني أجيب لحضرتك المبلغ؟
- مدام نهى. تفتكري أنني كرجل شرقي وبدون تواضع، كرجل لي مكانتي ممكن أستني حضرتك عشان أخذ سبعين ولا تمانين استرليني، متهيأ لي شكلها بايخ، مش كده؟
- ولكن إذا كان هذا هيريجني ويرضيني فممكن عشان خاطري تقبلها؟
- أنا عندي حل وسط، بكرة سعادتك تعزميني على العشاء وبكدة نبقي خالصين، أطرقت قليلاً، فاستطرد: والله أنا مش قصدي أعاكسك - وإن كنت جديرة بذلك - لكن أنا كل قصدي أريحك لأني شايفك حساسة جداً، وبالمرّة تحكي لي الحكاية الطويلة، إن ماكانش ده يضايقك؟
- فكرت قليلاً ثم قالت: موافقة.
- خلاص، يبقى بكرة حأعدي عليك الساعة تسعة. أنا مواعيدي مقدسة. تسعة بالضبط سأكون تحت هذا المكان ونظر إلى الفندق ممتعضاً!
- حاضر.
- لو ماجيتيش، يبقى أنت مش عايزة تدفعي الحساب! قال ذلك بدون أي ابتسامة!
- ضحكت وقالت: حاضر.

obeikandi.com

دخل مصطفى منزله وهو مرتبك قليلاً؛ كان يشعر بذلك كلما حدث خلل في برنامجه اليومي، ولكن اليوم الارتباك من نوع جديد، لقد فعل اليوم مع نهما كان يجب عليه أن يفعل، ولكنه كإنسان عملي جداً وواقعي جداً.. راح يسائل نفسه: هل فعل هذا بشكل طبيعي أم أنه كان يحركه حب الاستطلاع؟ شاهد مصارعة المحترفين ونام!!

دخلت نهي غرفتها في فندق «ذا مون لايت» أو ضوء القمر-غرفة صغيرة- ربما أصغر غرفة في الفندق؛ تتكون من سرير ودولاب وكومودينو ومدفأة كهربائية ودورة مياه صغيرة بدون بانيو، فكانت إذا أرادت أن تأخذ حماماً تضطر للخروج من الغرفة لاستعمال الحمام الكبير المشترك، وبما أنها لا تعمل فقد كانت تنتهز فرصة الصباح حين يذهب الجميع إلى أعمالهم لتأخذ حمامها.

دخلت الغرفة وخلعت معطفها الأنيق ووضعت خارج الدولاب المكتظ بالملابس، وكذلك فعلت مع التاير الأسود. أخذت ييجامتها من على السرير وارتدتها وراحت تفكر فيما حدث.. إذن لقد فعلها «جاسم» لقد ألغى كارت الفيزا الخاص بها أو بالأصح سحب منه كل الرصيد.. أصبحت الآن عارية تماماً ليس معها ملهم واحد. فقط بعض الأموال القليلة السائلة تضعها في أحد البنطلونات داخل الدولاب، وما تبقى من مجوهراتها التي تضعها داخل معطف في الدولاب أيضاً.

إنها في وضع حرج ولولا تدخل مصطفى لكانت تواجه الآن موقفاً في منتهى السخف. راحت تفكر في مصطفى: إنهمهذب وواضح وقوي الشخصية. ربما كان جاداً أكثر من اللازم، ولكن... لقد تذكرت الآن أنها سمعت عنه قبل ذلك. أليس هو عالم الجيولوجيا الشهير أم أنه تشابه أسماء؟ هل تذهب معه للعشاء باكراً أم يكفيها حالتها النفسية السيئة، فلا داعي أن

تتحمل غريب باستفساراته وتوقعاته؟ ولكنها لابد أن تذهب..على الأقل لتعطيه نقوده ولتبريء ذمتها فقد يكون قد عرف بقصتها ويتصور أنها فعلت ذلك لتهرب من دفع الحساب!! لا... لا يمكن أن تشوه صورتها لا يمكن...ستذهب معه وليحدث ما يحدث!! أخذت قرارها ونامت.

استيقظ مصطفى في الثامنة ومارس طقوسه المعتادة وأمر مسز «طومسون» ألا تعد أي طعام اليوم؛ لأنه سيتناول العشاء في الخارج.

دخلت «كارلا» وقرأت له جدول الأعمال ثم أضافت: في العاشرة مساءً أنت مدعو إلى حفل عشاء في سفارة الأرجنتين، هل أؤكد حضورك؟

- سفارة الأرجنتين؟ ما المناسبة؟

- لا أعرف.

- راح يفكر: لقد زرت الأرجنتين وألقيت بها محاضرة هامة وكان هذا منذ حوالي ثلاثة أعوام، فلماذا يدعوني الآن؟ أرجوك يا «كارلا» الغي هذا الموعد وأرسلني بطاقة اعتذار لطيفة فأنا مرتبط بموعد آخر، قال لنفسه: ولماذا لا أتصل بنهى في الفندق وأؤجل موعدها بدلاً من إلغاء موعد السفارة؟

- كارلا.. كما قلت لك الغي موعد السفارة!

استيقظت نهي متوترة وخائفة وقلقة...ماذا ستفعل في هذا البلد الغريب الكئيب..بدون مال وبدون صديق أو سند..حتى المصريون هنا لم يتعرف عليها معظمهم رغم أنها منذ ثلاث سنوات كانت ملء البصر والسمع!! ولكن تذكرها مصطفى وربما كان هذا بمحض الصدفة، مازال هناك وقت طويل حتى التاسعة

.. إنها جائعة وإفطار الفندق النمطي لن يشبعها في هذا الطقس البارد. أخذت حمامها وهي عازمة علناً تخرج من حالة التوتر والكأبة. لم تنس أن تأخذ مظلتها معها، وخرجت متجهة إلى محطة مترو الأنفاق. نزلت في محطة «البيكاديللي سركس» فعندما يستبد بها القلق والمخاوف تنزل في هذه المحطة وتظل تتمشي حتى تصل إلى شارع «أوكسفورد» الشهير ومجرد مشيها في هذا الشارع يلهيها عن التفكير في المخاوف ويحدد نشاطها، استبد بها الجوع فاخترت محلاً صغيراً يقدم بيتزا رخيصة، تناولت البيتزا مع زجاجة المياه الغازية بدون سكر ثم قفلت راجعة إلى الفندق،، طوال هذا الوقت لم تكف عن التفكير في لقاء مصطفى، كيف سيكون؟ ماذا ستقول له؟ هل ستصارحه بكل شيء إذا سألها؟ ماذا سيكون رد فعله، يا رب أنه هذا اللقاء على خير- قالت لنفسها- أنا محتاجة لصفاء نفسي حتى أتمكن من الخروج من الورطة، لن يتركني جاسم في حالي سيظل يلاحقني ويتوعدي، لن ينسى أبداً أن المصرية رفضت الاستمرار معه وفضلت الفقر مع الحرية على الغنى والسجن في قفص من ذهب.

في تمام التاسعة كان مصطفى أمام باب الفندق يرتدي بدلة رمادية من بيت أزياء فرنسي مشهور وكرافت حريرية حمراء وقميصاً لبنياً، ومنديل البدلة بلون الكرافت، بدا في غاية الأناقة، راح يراقب باب الفندق. في التاسعة ودقيقتين خرجت نهي ترتدي معطفاً رمادياً فاخراً غير واضح ما ترتديه تحته، لم يعد لديها إلا ملابسها الغالية تذكرها بما كانت عليه من عز وغنى، فتح مصطفى لها باب السيارة..حيته ودخلت.

- هل تفضلين مكاناً معيناً أو تتركين لي الخيار؟

- أترك لك الخيار، ولكنك قد تختار مكاناً فحماً زيادة عن اللزوم وهنا سنتجاوز الميزانية!

- لا لا تخافي. وابتسم نصف ابتسامة.
- قال بعد فترة صمت لإذابة الجليد: أولاً: أحب أن أطمئن ماذا فعلت في موضوع الفيزيكا كارد؟ هل كان الخطأ من المطعم؟
- لا لم يكن الخطأ منهم. لقد تم إلغاء البطاقة بعد سحب ما بها من رصيد!
- وكيف حدث هذا؟
- هذا جزء من الحكاية الطويلة. أريد أن أسأل حضرتك سؤال. هل أنت مصطفى رضوان عالم الجيولوجيا أم أنه تشابه أسماء؟
- أخيراً ضحك وقال: لا. أنا هو، الحقيقة لم أكن أظن أن فنانة لطيفة مثلك تتذكر اسم عالم جيولوجيا!
- وأنا أيضاً لم أكن أتصور أن عالم جيولوجيا شهير يتعرف على فنانة محلية.
- ولم لا؟ أليس عالم الجيولوجيا إنساناً عادياً يمكن أن يتذوق الفنون بأنواعها؟
- وكذلك الفنانة. من الممكن أن يكون لها خلفية ثقافية ولو بسيطة تعرف من خلالها ما يدور حولها.
- صح. أنت صح.
- على العموم أنا سعيدة أنك حضرتك مصطفى رضوان الذى أسمع عنه.
- وماذا سمعت عني؟
- بالنسبة لقيمتك العلمية. أسمع أنك مثل فاروق الباز.
- وبالنسبة لأشياء أخرى؟

- أقول وماتزعلش؟

- إطلّاقا قولي.

- أسمع أنك ملقب بالرجل الغامض!

لم يعقب مصطفى ولم ييتسم. أوقف السيارة أمام مطعم من أفخم مطاعم لندن. قالت نهى وهي تنزل من السيارة: لست أدري.. لا أتخيل أن أقود سيارة «دريكسيونها يمين» لماذا يحدث هذا في بريطانيا فقط؟ لم يرد مصطفى، الحقيقة أن نهى فقط سمعت عن وجود عالم مصري بهذا الاسم يعيش في لندن، أما مسألة فاروق الباز والرجل الغامض فقد عرفتها صباح اليوم فقط من صديقة عراقية تقيم في نفس الفندق.

دخلا المطعم، بهرّتها الفخامة والاتساع ونوعية الزبائن فهم صفوة المجتمع البريطاني في لندن، قالت لنفسها أنا في ورطة كيف سأدفع الحساب في مطعم كهذا؟ هل فعل ذلك ليورطني؟ وقد يستغل هذه الورطة، طردت هذه الفكرة الساذجة الشريرة من دماغها.

تصرف مصطفى معها كأبي جنتلمان: أخذ عنها معطفها وأزاح المقعد للخلف لتجلس، بهرّته أناقة الفستان السواريه الغامق الذي ترتديه والذي صنع مع بياض بشرتها ولون عينيها العسلي الفاتح مزيجاً رائعاً، لم يكن مصطفى بطبعه يحب أن يتصرف كجنتلمان مع النساء من الناحية المظهرية؛ فهو كرجل عملي لا يرى أي أهمية لأن يأخذ معطف من سيدة أو يُقبل يدها في احتفال عام، ولكنه كان من الذكاء الاجتماعي ما يحتم عليه أن يتصرف هكذا في مجتمع تعود على ذلك، جلسا على المائدة متقابلين مما جعل مصطفى يتأكد من لون عيني نهى، فعلاً عسلي فاتح، قال فجأة بطريقة أذهلتها:

- سؤال معلش هل هذا لون عينيك الحقيقي أم عدسات لاصقة؟ أنا أسف، السؤال سخيف ومرة أخرى أنا لا أقصد المعاكسة، ولكن فقط معرفة الحقيقة.

- ضحكت. وقالت: حضرتك صريح جدًا. لأ هذا لون عيني الطبيعي ولو تابعتني منذ أول ظهوري في فيلم رجال ونساء ستجد عيني بهذا اللون. لم يرد.

- ماذا ستأكلين؟ لو حببتي أختار لك؟

- يا ريت.

- أنا متعود هنا أن أطلب لحم الغزال، ولكن حساء الطماطم عندهم ليس الأفضل لذا ممكن أن نأخذ مع اللحم، البطاطس المحمرة أو الخضار السوتيه. أيه رأيك؟

- لقد ذقت لحم الغزال مرة في السعودية وكان معقولاً، لم أكن أدري أنه يقدم هنا. ماشى لحم غزال وسوتيه.

طلب من الجرسون ما اختاره من طعام وسألها إن كانت تحب أن تشرب شىء مع الأكل، فأجابت بالنفى ولم يطلب هو خمر، اكتفى بطلب عصير برتقال لهما بالرغم من أنها لم تطلبه!

- مدام نهي أنت في حل من أن تروي لي حكايتك فأنا لست متطفلاً، ولكن إذا كان هذا عن طيب خاطر منك، ولأن الفضفضة للناس تعتبر وقاية من الأزمات النفسية وقد تساعد على إيجاد الحلول، فأرجوك احك وتأكدي أنّ الكلام لن يخرج مني أبداً، ولن يتم استغلاله بأي

حال من الأحوال. أعتقد أن كلامي واضح -قالها بالإنجليزية -

- أنا واثقة من ذلك وسأحكي لسيادتك كل شيء وستكون هذه هي أول مرة أتكلم فيها لغير نفسي وأمي، ولكن قبل أن أحكي قل لي أنت ماذا تعرف عني بالضبط؟

فكر قليلاً هو ينظر لعينيها ثم قال:

- فيما مضى كنت متابع بقوة للحركة الفنية في مصر والآن بعد أن ازدادت أعبائي وقُل وقت فراغي اكتفيت بقدر قليل من المشاهدة، ولكني خلال السنوات الماضية شاهدت لك الفيلم الذي ذكرته ثم مسلسلين ناجحين عرضا في رمضان وأيضاً سمعت لك عملاً غنائياً جيداً. والحقيقة أنك كنت لافتة للنظر في كل هذه الأعمال لأنك وجه مختلف ولأن تمثيلك طبيعي وصوتك معقول معقول جداً. ثم فجأة اختفيت، وقيل أنك تزوجت من رجل أعمال عربي واعتزلت. هذا كل ما أعرفه.

تنهدت نهي وأطرقت تنظر لصحنها الفارغ ثم رفعت رأسها وقالت:

- نعم هذا ما يعرفه معظم الناس وأنا لن أوجع رأسك بتفاصيل قد لا تهم أحداً، ولكن سأقص عليك الأحداث الأساسية، تزوجت من جاسم بعد إلحاح غير طبيعي منه. كان يلاحقني في كل مكان، ويغدق الهدايا والمحاملات، ووسط أكثر من واحد أو واحدة ليقنعوني بالموافقة، وأنا كنت قد عاهدت نفسي ألا أفكر في الزواج إلا إذا خفق قلبي بشدة وبعد أن أرسخ قدمي في الفن، وتحت الإلحاح الشديد وبعد أن استمعت إلى نصيحة فنانة معروفة قالت لي أن الفن ليس له أمان وهذا الرجل قد يتيح لك فرصة للعيش الرغد وفي نفس الوقت قد لا يمنعك من الفن، قررت أن أقابله وكان هذا في دبي. كنت أصور هناك مسلسلاً مشتركاً وكانت معي والدي والتي لا تفارقني أبداً في أسفاري، تم اللقاء في مكان

عام. وجدته لطيفًا وحنونًا ومتفهمًا وأخبرني أنه وقع في غرامي منذ أول مرة شاهديني فيها في التلفزيون وقرر يومها أن أكون له، وأكد أنه لم يفكر أبدًا في طريق إلا طريق الحلال، وعدته بالتفكير واستخرت الله وشاورت كل من يمكن أن يكون له رأي في هذا الموضوع. المخرج كمال بدر الدين رفض بشدة وقال: ستندمين. الفنان المعروف منير رمزي قال: إن جاسم معروف لدى الوسط الفني وهو رجل لطيف وطيب وقد لا يجرمك من الفن، الفنانة سميرة أبو زيد قالت: وماله حتخسري أيه؟ أهني تجربة والقوانين دلوقت معانا مش ضدنا وهكذا... وكان لابد لكفة الموافقة أن ترجح بعد أن قالت أمي: الأمان والضمان أحسن يا بنتي من المرمطة، الفن غدار!، وافقت إذن بعد أن أكد لي أن له زوجة واحدة وهي ابنة عمه، وأنه لا يمكن أن يفرط فيها أبدًا؛ لأنها أم الأولاد ولكنها لا تستحوذ على اهتمامه مطلقًا، وأنني سأكون الكل في الكل وأميرة قلبه! صدقته. وقبل عقد القران قلت له: كلمة أخيرة يا جاسم إذا عرض عليّ عمل فني نظيف وهادف هل ستوافق؟ رد بسرعة وبدون تفكير: لو فعلاً نظيف وهادف ومع ناس محترمين فلماذا أرفض؟ وتزوجنا. كان حفل زفاف أسطوري، ولكن على طريقتهم! وكان هذا في دبي. قضينا شهر العسل في ماليزيا وتايلاند ثم عدنا، أقمنا في جدة يومين ثم في مكة حيث أدبت العمرة ثم في المدينة في رحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وعند مغادرة المدينة سلمني العهدة! وسكنت نهي.

حضر الجرسون ووضع طعام نهي ثم طعام مصطفى وانصرف.

- مدام نهي، ممكن تأكلي ثم تستأنفي كلامك.
- متشكرة. أنا سأتكلم أثناء الأكل إذا كان هذا لا يضايقك؟
- إطلاقاً. تفضلي، وصلنا لحد لما سلمك العهدة. عهدة أيه؟

- سلمني حقيبة فيها حوالي ثلاث عباءات سوداء وأحذية ونقابين وقال لي يا نهي هذه ملابسك هنا. البسي ما شئت داخل غرفة نومنا، ولكن هذه ملابسك خارج الغرفة ثم أخذ جواز سفري لإتمام إجراءات الإقامة ولم أرى هذا الجواز إلى أن جئت إلى هنا. في الرياض بدأت حياتنا الزوجية. خصص لي مجموعة من الخدم: هنود و فلبينيون؛ سائقون ووصيفات وكوافيرات وكل شيء، عرفت أين تقيم زوجته الأولى وأولادها وتعلمت ألا أقترّب من هذا المكان أبداً وألا أستخدم أحداً من خدمها أو أي شيء من مخصصاتها.

- أوحيت إليّ خادمة فلبينية بأن جاسم متزوج من ثالثة! وعندما أردت التأكد منها تراجعته وقالت يهياً لي، ولكنني لست متأكدة!

- كانت حياة غريبة؛ يحضر إلى غرفتي الأحد والثلاثاء والخميس ويختفي تماماً في الأيام الأخرى، يسافر أحياناً ويغيب أسبوعين أو ثلاثة بدون حتى أن يخبرني فقط يتصل بالتليفون من البلد الذي سافر إليه! حدثت مرة بعض الاحتكاكات البسيطة بيني وبين زوجته بدون أي داع، لأني كنت حريصة ألا يحدث أي شيء يزيد من كآبة الجو الذي أعيش فيه، ولكنني فوجئت بها تقول لي بصوت عالٍ: يا مصرية يا وسخة يا رقاصة! أبلغت جاسم بالأمر فتعاطف معي وقال: غيرة يا حبيبتي ألا ترين الفارق بينك وبينها؟ أنت جميلة الحميلات وهي امرأة عادية جداً! قلت له:

- يا جاسم أنا لم آت هنا ليقال لي يا رقاصة وليتك تعرف السبب في ثورتها. مجرد أنني استعنت بسائقها لأن سائقي مريض وفي أجازة! كنت حاتئق يا جاسم وكان لازم أخرج. المهم طيب خاطري ووعدي ألا يتكرر هذا. وحتى يخرجني من هذا الجو قرر أن يصحبني في رحلة إلى باريس ولندن وبرلين. استطعت أخيراً أن أتففس ورأيت كيف يعيش

الناس العاديون؟ رأيت الناس يعيشون بحرية وانطلاق ويتخذون قراراتهم بأنفسهم، رأيت زوجات مثلي يتأبطن أذرع أزواجهن وحوهن أطفالهن يمرحون و يلعبون. باختصار رأيت الحياة الطبيعية وعرفت كم أحرمت في حق نفسي!

- نهى هانم. حضرتك لا تأكلين وهذا ضد اتفاقنا إما أن تأكلى وتحكى أو تنتظري حتى تنتهى من طعامك.

- ولكنك أنت أيضاً لا تأكل يا دكتور مصطفى؟

- بجد؟ آه صحيح. معلش. قصتك شدتني. ساكل تفضلي.

- عدت من أوروبا إلى السجن مرة أخرى، ولكني كنت قد قررت أن أغير الواقع. لا يمكن أن أظل على هذه الحال أبداً! انتهزت أول فرصة أتى فيها جاسم إلى غرفتي وفتحته في أن تكون إقامتي في القاهرة وأن يأتي هو إلى مصر متى أراد. رفض بشدة واعتبر أن هذا خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه. تنازلت وطلبت أن تكون إقامتي في منزل مستقل حتى ولو شقة صغيرة قال: سنرى، سنبحث هذا الموضوع، كان شاغلي الأكبر بعد حريقي هو مسألة الإنجاب، فكرت كثيراً هل أنجب منه؟ هل هو الشخص المناسب ليكون أب لابني أو ابنتي؟ هل هذه الظروف وطبيعة هذه الحياة تناسبني وتناسب مولودي؟ كان إحساس الأمومة أقوى مني فتركت نفسي أحمل إلا أن الله سبحانه وتعالى أرحم بنا من أنفسنا فكان أن أجهضت بعد شهرين والغريبة أني رأيت إحساس الارتياح على وجه جاسم وعندما واجهته بذلك قال: من الأفضل تأجيل موضوع الإنجاب على الأقل حتى ينساک الناس فيكبر ابنك دون أن يناديه زملائه في المدرسة: يا ابن الممثلة! عندما سمعت منه هذا أدركت أن هذه هي النهاية ونقطة الفراق وقررت أن أطلب منه الطلاق. طبعاً كنت ساذجة وشديدة التفاؤل فعندما طلبت

منه الطلاق. أجاب بمنتهى الهدوء: لماذا؟ يمكننا أن نحل كل شيء بهدوء. أنت تعلمين أنني لا أستطيع الاستغناء عنك قولي لي طلباتك إيش وأنا أنفذها. لم أكن أريد شيئاً، كنت فقط أريد حريتي. خاصمته وامتنعت عنه شهر فلم يبال وبعد ذلك قال لي: يابنت الناس أستطيع أن أحصل عليك بالقوة وبالشرع، ولكنني سأتركك لتفكري بالعقل. سافر وتركني شهرًا آخر ثم جاء إلى غرفتي وحاول التقرب مني بكل كلمات الحب التي يعرفها ولم أستجب. كان رد فعله عنيفاً، لم أتخيله. فوجئت به يستعمل القوة بقوة بمعناها الحرفي! ولا أريد أن أخوض في تفاصيل ستؤلمك قبل أن تؤلمني.

توقفت نحي عن الكلام ورشفت قليلاً من عصير البرتقال وقالت: فعلاً لحم الغزال هنا لذيذ جداً!

- بالهنا والشفاء.
- المهم بعد هذه الواقعة قررت أن أواجه الموقف بما يقتضيه. وكأني إنسانة حتى ولو على قدر بسيط من الذكاء أدركت أن موازين القوى ليست في صالحني: هو في بلده ويحميه القانون ومعه جواز سفري ولن أستطيع أن أفعل شيئاً لابد أن ألتجأ إلى - كيد النساء - كما يقولون! زارني في غرفتي بعد ذلك وقال لي: أنا آسف لما بدر مني، ولكنك أنت التي أجبرتني على هذا.

- أنا أحبك ولا أستطيع أن أبعد عنك.
- استسلمت له وعاتبته برقة وأقنعت به أنني تراجعت عما قلته، ولكن عليه أن يرضيني بالاستجابة لبعض طلباتي، وضع لي مبلغاً محترماً في الفيزا كارد ووعدني بإعداد مكان جديد لإقامتي والتفكير في مسألة الإنجاب. طاعته مدة شهرين وأبدت له السعادة والرضا ثم طلبت منه

أن نذهب في رحلة إلى لندن؛ متعلقة بأي أستريح للإقامة هناك، كما أنني أريد أن أستشير طبيباً هناك في مسألة نسائية، وافق، رحت أرتب حقيقتي وأضع فيها ما يمكن أن يكفيني لفترة طويلة. في مطار هيثرو وكالمعتاد سلمني جواز سفري لأقف أمام موظف الجوازات، خرجنا ونسي أن يأخذ مني الجواز، وما إن وصلنا للفندق حتى أخفيته في مكان لا يمكن الوصول إليه، بعد يومين تذكره وطلبه مني وهنا حانت لحظة المواجهة، قلت له لن أعطيه لك هذا جوازي ومن حقي أن يكون معي، ثار وبدت عليه علامات الجنون وأصبح على وشك أن يضربني بعنف، قلت له بثبات: أنت هنا لست في بلدك لو لمستني سأصبح بأعلى صوتي وسأستدعي الشرطة فليس من حق الزوج هنا أن يضرب زوجته. طلقني يا جاسم. أنا لن أعود معك طلقني. هداً قليلاً ثم راح يفكر:

- يا بنت الناس ألم أخبرك أنه لا طلاق؟ يمكن أن نحل مشاكلنا بهدوء.
- لا توجد مشاكل أنا لا أريد هذه الحياة أريد حريتي.
- يمكنني أن أتركك هنا وستكوني معلقة لا أنت متزوجة ولا حرة. اعقلي.
- لو فعلت هذا سأخونك كل يوم مع رجل مختلف حتى ولو مع الحارس الذي يقف على باب الفندق! والناس هنا وهناك يعرفونك جيداً وستكون فضيحتك على كل لسان. كما أنني سأعتصم بسفارتنا هنا وأنا وجه معروف لذا ستأتي كل الفضائيات إلى لندن.
- أنت تهوشين ولا تستطيعين أن تفعلي هذا. أنت أجبن من ذلك.
- ماشي وإذا استمررت في عنادك سأطلب الخلع وسأقول الحقيقة التي نعرفها أنا وأنت جيداً.

- هنا أطرق صامتًا ففهمت أنه سيبدأ في الاستسلام.
- قال مصطفى: وما هي هذه الحقيقة؟ هل كان عاجزًا؟
- لا لا شيء آخر مخزي لا أستطيع أن أذكره.
- مفهوم مفهوم وبعدين؟
- بات خارج الفندق هذه الليلة وفي الصباح حضر إليّ وسألني: لأخر مرة هل تصرين على الطلاق؟
- نعم.
- ستندمين صدقيني.
- أنا ندمت بالفعل.
- أنت شحاة لا تملكين شيئًا؛ مهرك الكبير بددته أمك في مشاريع وهمية ومجوهراتك الثمينة في خزنتي.
- أكل عيش حاف، لكن في بلدي.
- المشكلة أنك لن تستطيعين العودة لبلادك؛ هل نسيت الشروط الجزائية على العقود التي لم تنفذها؟
- ألم تقل لي أنك سددها كلها؟
- لا والله عملت حساب يوم زي ده. وضحك.
- طز مرحبًا بالسجن في بلدي.
- ذهبنا للمركز الإسلامي وتم الطلاق. كان هذا منذ ثلاثة شهور تقريبًا. خلال هذه الفترة تأكدت من كل ما قاله جاسم: علي شرط جزائي

في مصر وأمي لم تحن أى ثمار من المشاريع التي دخلتها بإيعاز من جاسم. وطبعاً وجدت أن الناس لا تعرفني هنا. فقط مجموعة من الصديقات من الوسط الفني، ومن خارجه ألتقيهم من حين لآخر وكلهم يعدونني بأعمال فنية أقوم بها من هنا إلى أن أحل مشاكلتي في القاهرة. وللأسف كانت كلها وعود زائفة إلا مرة واحدة فقط قمت بعمل إعلان عن عطر جديد وقبضت عربون ولم أحصل على باقي مستحقاتي حتى الآن، وطبعاً كانت المفاجأة الكبرى أمس عندما علمت أن جاسم حرمني من المبلغ الذي كنت أحتفظ به في الفيزا كارد. وهأنذا الآن معي ما يكفيني بالكاد للعيش هنا شهرين أو ثلاثة على الأكثر وليس هذا ما يقلقنيما يهمني هو الحيرة، ما الخطوة القادمة؟

أخذ دكتور مصطفى نفساً عميقاً وأخرجه ببطء وقال بالإنجليزية:

- «يا إلهي» كنت أظن أن هذا يحدث في الأفلام والمسلسلات فقط، ولكن يبدو أن الواقع أكثر قسوة من الخيال.

مرت لحظات من الصمت راحت نهي تشرب فيها عصير البرتقال ببطء بينما كان مصطفى ينظر إليها بإعجاب وفجأة قال:

- مدام نهي لا أريد أن أخيفك ولكن ألم تفكري في أي رد فعل من جانب جاسم يحدث هنا في لندن؟ لندن مفتوحة وتوجد سوابق كلنا نعرفها، ألم يخطر في بالك حماية نفسك؟

- بالتأكيد فكرت في ذلك ووالدي تتصل بي يوميًا، وتحاول إقناعي بالعودة خوفاً من انتقام جاسم في المقام الأول، ولكن كيف أتصرف؟ هل أنتكر مثلاً؟ أم أهرب إلى مدينة أخرى أو بلد آخر؟ أما مسألة العودة لمصر فصعب جداً بصرف النظر عن الشروط الجزائية، ولكن لسبب يتعلق بي

شخصياً، فأنا لا أتصور أن أعود لمصر هكذا بخفي حنين، مطلقة وبدون أي حقوق وشبه منسية من الوسط الفني، لن أعود لكي أكون مثار شفقة الكل، يمكنني العودة، ولكن بوضع مختلف.

- الحقيقة أنّ موضوعك قابل للحل وليس نهاية العالم. فقط يحتاج إلى وقت وتفكير وحسن تدبير، ولكن الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ هي حمايتك وتأمين حياة كريمة لك هنا حتى توفر الظروف الملائمة للتفكير الجيد واتخاذ القرار السليم. مدام نهي أنا لا أجيد الكلام، لا أقصد اللغة العربية، فانا أعرفها جيداً وإن كانت لكنني مختلفة قليلاً، لكن أقصد أنني لا أعرف استخدام ألفاظ معينة في أوقات معينة وهذا يرجع للأيام الطويلة التي قضيتها وحدي لا أتكلم إلا الإنجليزية مع أهل هذا البلد. لذا أرجو أن تفهميني من الكلمات القليلة التي سأقولها. أنا إنسان واضح وصريح ولا أعرف اللف والدوران فقد تركت هذه الصفات في مصر عندما جئت إلى هنا. وكرجل عِلم أعرف أن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم. أنت جميلة بل جميلة جداً، ولكن هذا ليس معناه أن أي رجل يقابلك في الطريق لابد أن يكون ذئب لامن الممكن أن تقابلي رجلاً يجد أنه من الطبيعي والمنطقي بل من المحتم أن يمد يده للمساعدة. أنت تمثلين مصر بل يمكنني أن أقول أنك فخر للمرأة المصرية. امرأة اكتشفت خطأ وقعت فيه فصحتته بنفسها بقوة وبشجاعة وبالحيلة بدلاً من أن تبكي على اللبن المسكوب.

- مدام نهي أنا رجل أعزب أقيم في وسط لندن بالقرب من الجامعة التي أدرس فيها، وأنت سيدة شرعية مسلمة، وبالطبع من العيب أن أقول لك تعاليوأقيمي معي في منزلي. يمكنني أن أحجز لك في أفخم فندق في لندن، ولكن هذا لن يحل المشكلة؛ فالفندق مكان مكشوف ويمكن لجاسم أن يصل إليك فيه بسهولة، كما أن إقامتك فيه ستعرضك للقليل والقال، فمن الذي يدفع فواتير الفندق؟

- ولذا فقد رأيت أنه من الممكن أن تقيمي في منزلي في «كرويدون» من ضواحي لندن، هو منزل واسع وجميل والقطار يوصلك إلى هناك فيأقل من ثلث ساعة هناك ستكونين في أمان وسيكون حولك رجال و نساء أثق فيهم تمامًا سائق ومديرة منزل وشغالة. ستكون لك الحرية في التنقل كيفما تشائين، ولكن في مسار معروف لي ولك منعًا لحدوث أى شئ مما نخاف منه. وطبعًا كما قلت لك سيكون هذا وضع مؤقت حتى نجد حلاً لكل مشاكلك.

- دكتور..

- أعرف ما ستقولين سَمعتك، وماذا ستقولين للناس؟ أنا سأراك وأقابلك للاطمئنان عليك فقط من وقت لآخر في وجود مديرة المنزل والشغالة كما يمكنني أن أقابلك خارج المنزل. والشئ الأهم الذي أحب أن أقوله لك هو أنني سأستضيفك ليس بصفتي رجل تُعرف على سيدة في مطعم، ولكن بصفتي دكتور مصطفى رضوان عضو في الجالية المصرية بلندن يستضيف سيدة مصرية لها ظروف خاصة. أنت فنانة وأكد تعرفين أن في الماضي كان عمدة أي قرية له «دوار» يستضيف فيه الأعراب اعتبري هذا دوار العمدة. وبالنسبة لوالدتك وأصدقائك يمكننا أن نتفق ماذا نقول.

- دكتور مصطفى عرضك هذا أكبر من أن أصفه بكلام، ولكن المسألة غير ذلك المسألة داخلي أنا، كيف أتقبل هذا وكيف أقنع نفسي به؟ كيف تستقر حالتي النفسية وأنا في وضع كهذا؟

- إنَّ صدمتك فيما حدث لك جعلك حساسة أكثر من اللازم، وهذا كان واضحًا من البداية؛ من إصرارك علرد مبلغ حساب المطعم وأنا أقدر لك هذا جدًّا، ولكنك تبالغين قليلًا. المسألة بسيطة أنت في أزمة وفي

بلد غريب وهذا ممكن أن يحدث لأي شخص، وأنا بصفتي تقريباً عمدة المصريين في لندن أصدر إليك الأمر بقبول العرض!

- دكتور..

- ولا كلمة، خلاص غداً صباحاً ادفعي حسابك في الفندق اللعين وسأرسل إليك سائق هندي سيقلك إلى المنزل، وسأترك لك فترة كافية لاستكشافه وترتيب حاجياتك ثم سآتي للاطمئنان عليك في وجود مسز «طومسون» مديرة المنزل، وهذه فرصة عظيمة لإبعادها لبعض الوقت عن منزلي بلندن؛ فمشكلتها أنها كاملة لا تخطيء منظمة أكثر مني شخصياً وروتينية إلى أبعد حدود وحن الوقت للاستراحة منها قليلاً! في البداية ابق الموضوع سرّاً حتى نتفق على صيغة عقلانية نعلنها للمحيطين بك سواء هنا أو في مصر.

- دكتور مصطفى هذا كثير كثير جداً ولا أجد ما أقوله لأشكرك، ولكن أستطيع أن أقول أن الدنيا بخير.

- اسمحي لي أن أدفع الحساب فقد تجاوزت موعد نومي، و لتضيفي حساب النهاردة على حساب امبارح وكل الحسابات القادمة، وعندما تستعيدين عافيتك الفنية وتقبضين الملايين من أول عمل فني سددني كل الحسابات وابتسم نصف ابتسامته المعهودة.

دخل مصطفى منزله وهو لا يعرف هل تصرف التصرف الصحيح؟ هل تسرع؟ إنه رجل له مكانته في هذا البلد وصحيح أن هذا بلد حريفعل فيه الإنسان ما يروق له ما لم يؤثرعلى حرية الغير إلا أنه يخشى من الجالية المصرية والعربية والإسلامية وقد يتسرب هذا الخبر ويصبح في موقف لا يحسد عليه. حسم مصطفى هذا النقاش مع نفسه باقتناعه أنه فعل ما يمليه عليه ضميره. راح مصطفى يدون في عقله ما ينبغي عليه أن يفعله في الغد. لم يكن أبداً من هواة كتابة أوراق عمل يكتب فيها ما عليه من أعمال فقد كان يمتلك عقلاً منظماً وذاكرة حديدية. فقط كان يدون المعلومة الجديدة إلى أن تثبت في ذاكرته تماماً. أوى إلى فراشه وشيء واحد في مخيلته عينان عسليتان.

دخلت نهي غرفتها الصغيرة الباردة. قامت بتشغيل المدفأة وخلعت ملابسها وارتدت عدة قمصان نوم فوق بعضها فقد كانت لا تتحمل البرد، خاصة في هذا الفندق المتواضع؛ فقد كانت صاحبة الفندق تقوم بإطفاء المدفأة توفيراً للكهرباء. راحت نهي تفكر فيما حدث هل كان من المناسب أن تقبل عرض مصطفى؟ إنه لم يترك لها فرصة للاعتراض، ولكنها من الممكن أن تعتذر بلطف في الصباح كأن تدعي مثلاً أن والدتها أرسلت إليها مبلغاً كبيراً يمكنها أن تعيش به في مستوى أفضل في لندن أي حجة والسلام. إلا أنها عندما استعرضت حديث مصطفى كله وجدت أن الرجل كان يتكلم من قلبه وأنه ليس بالرجل الذي يلف ويدور ويناور. نامت وهي مستقرة على رأي واحد أن تقبل عرض مصطفى .

انتهى مصطفى من ارتداء ملابسه وخرج من غرفته فوجد مسز «طومسون» أمامه باسمه كالعادة.

- مسز طومسون لي قريية وصلت من مصر حديثاً وستقيم في منزل كرويدون في تمام الحادية عشرة سيأخذك سنج بالسيارة الكبيرة إلى هذا العنوان -وأخرج من جيبه ورقة فيها عنوان نهي- وستكون معك «روز» وعليك الاتصال بها الآن لتجهز نفسها. ستقومين بإعداد المنزل للإقامة والسهر على راحة قرييتي لا أريدها أن تحتاج لشيء، ولا تقلقي، سيقوم سنج بإحضارك من وإلى منزلك يومياً حتى تنتهي فترة إقامة قرييتي في لندن و...

- دكتور مصطفى، ولكن من سيقوم برعاية شئونك هنا في هذه الفترة؟

- لا عليك سأكتفي بكومار وعلى العموم سأقوم بزيارتكم من حين لآخر هناك هيا.

انطلق إلى عمله بعد أن أصدر أوامره إلى كومار بترتيب كل الأمور خاصة الاتصال بـ سنج، دخل مكتبه وكارلا ورائه تذكره بالمحاضرة الهامة التي سيلقيها في دبلن هذا الأسبوع، شكرها على تنبيهه وأغلق الباب ورائه، رن جرس موبايله وكان المتحدث عصام شعبان.

- ألو أنا عصام يافندم.

- عصام مين؟

- عصام المهندس من طرف الحاجة عواطف.

- أيوة أيوة إزيك خير؟

- خير يافندم أنا بتصل بحضرتك أطمئك. حضرتك أرسلتني لمستر والاس بخصوص الشغل.

- وحصل أيه؟ ماشغلکش؟

- بالعكس يا فندم ده شغلني في مكتب هندسي محترم وبأجر معقول جداً!
- كويس جداً لماذا اتصلت إذن؟
- فقط عشان أشكرك ربنا يخليك.
- ماشي يا عصام يا بني ما تضيعش فلوسك على كلام فارغ خلي بالك هنا من فلوسك وصحتك؛ ده اللي حاينفعك ولو عايز تتعلم إنجليزي كويس ما تصاحبش مصريين ولا عرب عشان تتقن اللغة واللكنة كمان، لو عايز حاجة ابقى اتصل.
- متشكر يا فندم مع السلامة.

في تمام الحادية عشرة والنصف وقفت السيارة الكبيرة ذات الدفع الرباعي أمام فندق مون لايت. صعد سنج إلى الفندق لأخذ حقائب نهي. بينما كانت مسز طومسون وروز تنتظران في السيارة، دفعت نهي حساب الفندق بالكامل وتركت بقشيشًا محترمًا لعاملة الغرف الإنجليزية، ركبت السيارة في الخلف مع مسز طومسون وروز. حيثهما بابتسامتها الرقيقة. أشادت روز بجمال نهي، و حتى مسز طومسون المتحفظة قالت أنها لم تكن تعرف أن من بين المصريات جميلات إلى هذا الحد، وصلت السيارة لكرويدون أمام المنزل الكبير أوقف سنج السيارة وراح ينزل الحقائب.

تفقدت نهي المنزل المكون من طابقين وتذكرت على الفور يوم وصولها للرياض وتفقدتها لقصر جاسم أكبر بكثير من هذا المنزل وأثاثه أفخم مائة مرة، ولكن الإحساس الذي أحسسته في منزل مصطفى هو الراحة والطمأنينة، إن كل ركن في المنزل يعبر عن ذوق رفيع وإحساس راقى، قطع الموبيليا الحديثة البسيطة، اللوحات الرائعة المعلقة على الحائط، المدفأة في وسط الصالة، البيانو الألماني في أحد الأركان... شتان بين الطمأنينة والألفة وبين إحساس الغربة والكآبة والترقب في قصر جاسم.

ساعدت روز ومسز طومسون نهي في إخراج ملابسها من الحقائب وفرز ما يحتاج لغسيل وما يحتاج إلى كي وما يجب أن يعلق في الدواليب، خبرت مسز طومسون نهي أي الغرف تختار لإقامتها فسألته نهي عن سببها معها في هذا المنزل الكبير فقالت: أساسًا روز وأنا في يوم أجازة روز، وفي أي غرفة سيقم من سببها معي؟ قالت: في الغرفة المجاورة لغرفتكم مباشرة قالت: إذن ساقم في أي غرفة في الطابق الأسفل.

تفقدت مسر طومسون المطبخ والحمام، وكتبت قائمة بما ينقص المنزل واستأذنت في الخروج مع سنج لشراء كل الطلبات. كان لمسر

«طومسون» ميزانية مفتوحة تصرف منها على المنزلين كما تشاء وبلا حساب، ومن النادر أن يقوم مصطفى بمراجعتها فقد كانت ثقته فيها عمياء وكانت هى محل لهذه الثقة، اتصل مصطفى بنهى فى الثامنة والنصف مساءً ينيها إلى أنه قادم لللاطمئنان عليها، فى تمام التاسعة دخل المنزل ووجدها جالسة أمام المدفأة ترتدي بنطلون جينز أزرق ضيق و بلوفر وردى..بدت رائعة.

- مساء الخير.

- مساء النور.

- أرجو أن يكون قد أعجبك المنزل؟

- روعة.هل هذا ذوقك يا دكتور مصطفى؟

- الحقيقة أنه اختياري وذوقي، ولكن من تولى التنفيذ هو مهندس الديكور وهو مصري على فكرة.

- ذوق حضرتك رفيع.

- نهى هانم طبعًا لاحظت وجود التلفزيون وطبعًا متصل بالدش وعليه كل قنوات الناييل سات وكل الأقمار الأخرى ولو فيه قناة معينة ومش موجودة سهل ممكن نجيبها.

- حاضر حأقلب فى المحطات وحأشوف.

- أيضًا فى غرفة المكتب هذه -وأشار إليها- يوجد كمبيوتر متصل بالنت السريع، ولكنى أعرف أن السيدات تحب أن تعمل على الكمبيوتر وهى

مستلقية على السرير! لذا أحضرت لك هذا اللاب توب تفضلي.

- دكتور مصطفى. هذا كثير كثير جداً.

- مدام نهي من غير كسوف.. أي شيء تحتاجين إليه اطلبيه من مسر طومسون فمعها ميزانية مفتوحة. وعلى فكرة أرجو منك الآتي:

- خذي ورقة وقلم من على المكتب واكتبي:

- أولاً: اسم جاسم بالكامل ومقره وأرقام تليفوناته، ثانياً: أسماء الشركات والمنتجين اللذين تعاقدت معهم قبل سفرك من مصر، ثالثاً: عنوانك في مصر وأرقام تليفونات والدتك، وإذا تذكرت شيئاً آخر سأخبرك به.

- أيوة يا دكتور، ولكن لماذا كل هذا؟

- عنوان جاسم لأن لك عنده حقوق يجب أن تستردها.

- لا أريد منه شيء. يكفيني أنني حصلت على حريتي.

- هذا خطأ تنازلنا عن حقوقنا يطمع الناس فينا ويجعلنا لقمة سائغة في أفواههم، ولكن عندما يشعر جاسم أنك تطالبين بحقوقك سيعمل لك حساب و سيخشى حتى مجرد محاولة إيذاك.

- أما عناوين المنتجين فهذا لمعرفة موقفك القانوني ولبدء مفاوضات معهم، وبالنسبة لوالدتك فبعد إذنك سأطلب من مستشاري المالي معرفة أوضاع مشاريع والدتك وإمكانية إنقاذ ما يمكن إنقاذه. فهل تأذنين؟

- طبعاً وأكون شاكرة.

- سأنصرف الآن وأتركك لتأخذي حريتك.

- و لماذا لا تتناول معنا العشاء؟

- الحقيقة مرتبط بموعد هام، مرة أخرى تصبحين على خير.

لم تكد تمر ثلاث دقائق على انصرافه حتى اتصل بنهى على الموبايل:

- معلهش نسيت التليفون عندك، فيه دولي، بالطبع يمكنك الاتصال بوالدتك أو بأي شخص في أي وقت، باى.

قالت نهى لنفسها: ينصر دينك يا دكتور مصطفى

مرت ثلاثة أيام على نهى في منزل مصطفى... نامت فيها -ولأول مرة منذ شهور- بعمق وطمأنينة وبدون احتياج لتناول أي مهدئات، فراش نظيف ووشير، ومدفأة موقدة طوال الليل، الصباح تقضيه في لندن بصحبة سنج وأحياناً مسر طومسون تتسوق أو تزور بعض الصديقات، وفي المساء أمام التليفزيون تنتقل عبر الفضائيات، أو تتصفح الإنترنت أو تتحدث مع بعض المقربين لها في مصر.

كانت قد اتفقت مع مصطفى على أن يقولوا لوالدتها ولصديقاتها في لندن أنها سحبت مبلغاً كبيراً من الفيزا واستأجرت هذا المنزل من مصري مقيم بلندن بأجر زهيد بحكم أنها مصرية وفنانة أيضاً.

كانت الأيام الثلاثة الأخيرة في حياة مصطفى أيام عمل وإنجاز، فقد سافر إلى دبلن وألقى بها محاضرة هامة حضرها الطلبة والمهتمين على السواء وحازت على إعجاب الجميع، ثم سافر إلى بروكسل لحضور اجتماع الجيولوجيين، كان من الطبيعي أن يفكر في شيللا لماذا لا يقوم بزيارتها في براغ؟ اتصل بها فقالت

إنها في انتظاره، قضت معه الليلة في أحد فنادق براغ وكانت مفاجأة كبيرة لمصطفى ليلتها عندما وجد نفسه غير راغب فيها على الإطلاق ولا يدرى أى سبب لهذا... فالفتاة جميلة وتجه وهو يسعد بصحبته، فما الذي حدث؟ فكر في أن يكمل ليلته كصديق ويكتفى بالصحبة، ولكن ألن يكون هذا مشيناً بالنسبة له؟ أدى أداءً نمطيًا يحفظ ماء الوجه وسافر في اليوم التالي، كان من ضمن أسباب زيارة مصطفى المفاجئة لشيلا أن يؤجل زيارتها له في لندن حتى لا تكتشف وجود نهي، عندما عاد للندن استقبلته كارلا بحرارة وأخبرته أن شخصاً يدعى الشيخ مشعل أخذ موعداً لمقابلته اليوم فهل تؤكد الموعد؟ راح يقلب في ذاكرته: مشعل.. مشعل.. إنه لا يتذكره، أكدى الموعد يا كارلا.

الشيخ مشعل واحد من العائلة المالكة في إحدى إمارات الخليج رجل طويل القامة، في منتصف الثلاثينات، أسود شعر الرأس، وسيم وممشوق القوام، دخل مكتب مصطفى يرتدي حلة فاخرة. عرّف مصطفى بنفسه فحياه الأخير بما ينبغي له من تحية، كان مشعل لطيفاً ومجاملًا أثنى على مصطفى وعلمه وكفاءته ثم دخل في الموضوع مباشرة وعرض على مصطفى العمل في الإمارة في مشروع ضخّم وفي نفس الوقت رئاسة قسم الجيولوجيا بالجامعة الجديدة بأجر خرافي وامتيازات غير مسبقة، فوجيء مشعل برفض مصطفى للعرض.

- سمو الشيخ أنا تحت أمر كل البلاد العربية وأظنك تعلم أنني زرت وأقمت وعملت في كل دول الخليج وكان ذلك لفترات قصيرة وهذا ما يمكنني قبوله، أما العمل بصفة دائمة فصعب عليّ. أنا كالمسكة إذا خرجت من لندن ماتت!

- سيدى، يمكنك أن تجرب، أنت في بلادنا ستكون ملكاً متوجّاً!

- وهل كانت زيارتي قبل ذلك إلا تجارب؟ أنا أعرف نفسي أشكرك على عرضك الكريم ومن يدري ربما تسمح الأيام بتغيير الآراء.
- انصرف مشعل حزينا لأنه لم يوفق في مهمته، وقال مصطفى لنفسه: أظنني يا مشعل باشا لا أعرف ما الغرض من هذا العرض؟ ولكن.
- ألودكتور مصطفى؟
- أهلاً نهي هانم.
- سعادتك بقالك أد أيه ما أكلتش أكل مصرى؟
- الحقيقة أنا كنت متعود لو اشتقت للأكل المصري بروح لمطاعم معينة بتقديمه، لكن بقالي كتير ما رحتش ييجي سنتين أو أكثر.
- طيب ممكن حضرتك ما تكسفينيش وتقبل عزومتي في بيتك على الأكل المصري اللي تحبه؟
- الحقيقة أنا مش عايز أتعبك.
- مفيش تعب ولا حاجة حضرتك بس حدد الميعاد.
- الثلاثاء تسعة ونصف مساءً ينفع؟
- ينفع جداً، مستتية حضرتك. بس أحب أعرف أكلة معينة تكون حضرتك مشتاق لها أكثر؟
- بامية بامية ويا ريت أقدر أغمسها بعيش بلدى، متهيألى مش حا تقدرى؟
- ربنا يسهل، باي.

استيقظت نهي يوم الثلاثاء مبكرًا وذهبت مع روز بصحبة سنج إلى الأسواق. لم تترك سوبر ماركت إلا ودخلته بحثًا عن بامية مجمدة، وأخيرًا وبعد طول عناء قال لها سنج ولماذا لم تخبريني منذ البداية؟ أنا أعرف مكانًا يبيع كل هذه النوعية من الخضروات وبالفعل، قادها إلى هناك، ووجدت الملوخية المجمدة والبامية وحتى القلقاس، وبعد معاناة أخرى وجدت من يبيع لها خبزًا أقرب ما يكون للخبز البلدي الشائع في مصر.

وضعت نهي «إشارب» قوي على شعرها وارتدت المريلة ودخلت المطبخ مثل أي ست بيت مصرية عادية تتابع روز وهي تقشر البصل وتقطع الخيار وتعصر الطماطم. إلا أنها تولت بنفسها عملية الطبخ التي تعتقد أنه لا أحد في هذا البيت يستطيع القيام بها مثلها، استغرقت المهمة وقتًا طويلاً، نظرت نهي لساعتها فوجدتها تقترب من السادسة.. تركت روز تكمل بقية المهمة ودخلت لتأخذ حمامًا ساخنًا.

قال مصطفى لـ كومار: يمكنك الآن أن تذهب. أنا سأتناول الغذاء بالخارج. قرر مصطفى أن يتخلى اليوم عن ملابسه التقليدية لن يرتدي البدلة فتح دولابه وانتقى فانلة صوفية برقبة لوها فاتح نسبيًا وبنطلون بني وجاكت سبور وطبعًا معطفه معه، صفف شعره جيدًا ووضع عطرًا جديدًا تمامًا، انطلق بسيارته وراح يفكر هل هو مهتم بنهي أم أن واقع الأمر هو ما يحتم عليه أن تشغل حيزًا من تفكيره؟ نهي جميلة بل جميلة جدًا، ولكنه التقى وعرف وعاشر الكثير من الجميلات، نهي فيها شيء مختلف يشده.

في تمام التاسعة والنصف كان مصطفى يقف أمام منزله في كرويدون يدق جرس الباب فتحت له نهي بنفسها، كانت ترتدي جونلة سوداء قصيرة

نسيًا وبلوفر لبني خفيف مفتوح من الصدر على هيئة رقم سبعة وحذاء بكعب عالي وشعرها الذي- تأكد مصطفى أن لونه خروبي- مصفف على هيئة كعكة بدت أكثر من رائعة، رحبت به وقادته إلى الصالة، شم مصطفى رائحة خفيفة للطعام المعد ولاحظ حركة نشطة لروز ومسز طومسون كما أن أضواء الطابق الأسفل كلها كانت مضاءة شكّل هذا كله جوًا من البهجة والحيوية في المنزل الذي كان حتى الأسبوع الماضي منزلًا كثيبًا شبه مهجور، أثار هذا الجو في نفسه ذكرى منزله في مصر، عندما كانت أمه تدعو أحدًا أو عائلة على الغذاء أو العشاء، فيصبح المنزل كله كخلية نحل.

- دكتور حضرتك تحب تشرب حاجة قبل الأكل؟ عندي عصير برتقال ممتاز.

- مفيش مانع.

- جلس على المقعد وجلست هي أمامه على الكنب القريبة، لاحظ جمال ساقها!

- تعبت نفسك.

- ولا تعب ولا حاجة ده أقل شيء أقدمه لحضرتك أنا عملت ملوخية بالأرناب وقلقاس ومحشي ورق عنب وكباب حلة، لاحظت انتظاره لشيء ما .. لأ.. حضرتك ماتخافش أنا لفيت الدنيا ولقيت البامية والأهم من كدة لقيت عيش بلدي!

- كدة؟ أنا جعت يللا على السفرة.

- جلس على المائدة يحدق في الأصناف غير مصدق أن التي أمامه الآن ممكن أن تصنع هذا الطعام وهي التي تبدو كمن لم تدخل مطبخ في

حياتها!

- حضرتك تحب البامية الأول ولا الملوخية؟
- حأخذ شوية ملوخية صغيرة وأرز وورك أرنب وبعدين أحلى بالبامية! قال ذلك وضحك ربما لأول مرة منذ سنين!
- قبل أن يأكل فوجئت نهي به ينادي روز ومسر طومسون ويطلب منهما أن تجلسا على المائدة قائلاً: لا بد أن تتعرفا على المطبخ المصري، جلستا وراحتا تتذوقان الأصناف المختلفة.
- تناول مصطفى معلقتين من الملوخية بالأرز ثم قال لنهي: حضرتك متأكدة أنك أنت من صنع هذا الطعام؟
- طبعاً يا فندم وللأمانة اتصلت بماما مرتين لأخذ المشورة..
- بصراحة حاجة رائعة، لكن مش أحكم حكم نهائي إلا بعد ما أتذوق البامية!
- أخذ مصطفى معلقتين من البامية عصر وعليها ليمونة كبيرة، أمسك برغيف الخبز البلدي واقتطع منه جزءً وصنع منه ما يسمى عند العامة في مصر «ودن القطة» وراح يغمس البامية بشهية مفتوحة وأريحية وانسجام ابن بلد يأكل مع أمه أو أخته، ونهي تشعر بسعادة أم جاء ابنها من سفر طويل ليأكل معها!
- بصراحة يا مدام نهي أنا شاكر فيك، شكلك لا يدل أنك من الممكن حتى أن تدخل المطبخ، ولكن هذه البامية تشهد لك؛ إنها تذكرني ببامية أمي الله يرحمها.
- ضحكت نهي حتى بدت بوضوح السنة اللؤلؤ التي تزين أسنانها، وقالت:

ماهو مش معقول تكون روز أو مسز طومسون طبخوا الأكل ده. أنا من صغري أدخل المطبخ مع ماما ولم أتوقف عن هذا إلا في فترة السعودية. فترة الكبسة والمبشور وخلافه!

- برافو عليك، أنا حقيقي استمتعت بالأكل أنا متشكر جدًا.
- لأ حضرتك لسة فيه شىء معلش، مفاجأة حاتعرفها بعد ما تغسل إيدك و نقعد في الصالة.
- قال مصطفى وهو يغسل يديه ثم يجففها بالفوطه التي أحضرها مسز طومسون: ما رأيك يا مسز طومسون في طعام نهي؟
- رائع يا سيدي، ولكنه يحتاج لمعدة قوية! ضحكت ثم استطردت: عمومًا مسز نهي شخصية رائعة.
- جلس مصطفى في الصالون ينتظر المفاجأة، حضرت نهي بعد قليل وورائها روز تجر عربة الشاي، فوجىء مصطفى بصينية كبيرة على العربة قال لنهي: ما هذا؟
- شىء حضرتك بتجبه، ولم تأكله منذ فترة.
- إوعى تقولي قرع عسلي؟
- بالضبط. وحضرتك حاتشرب معاه شاي بالنعناع.
- نظر مصطفى لعينيها العسليتين وقال: ولكن من الذي أخبرك بهذا؟
- العصفورة!
- لأصحيح؟

- مسز طومسون حكّت لي عن اليوم الذي طلبت فيه منها أن تعدّه لك كصينية بالشامل كما تعودت أن تأكله في مصر ففشلت فشلاً ذريعاً!
- أيوة أيوة فاكّر ومن يومها وأنا أذكرها بهذا حتى تتقن الطبخ، بس ده كتير يا مدام نهي، خليني أذوق كدة.
- راح مصطفى يأكل قطع قرع العسلي ويرشف الشاي بالنعناع بتلذذ وراحت نهي تراقبه بتلذذ أكبر!
- قال فجأة و بنبرة جادة:
- على فكرة أنت بتخدعيني أنا أكلت وحدي وأنت يا دويك لقمة عشان تحتفظي برشاقتك!
- لا يا فندم، حضرتك بعد ما تمشي حأخلص الأكل ده لوحدي .. ضحكا سوياً.
- أحست نهي أن مصطفى كان كالمقيد أو من يتحرك في إطار محدد ثم فجأة جاء منفك قيده فانطلق، أحست أن الشخصية المتحفظة التي تعرفت إليها من أسبوع أصبحت أقل تحفظاً، قررت أن تحاول أن تجعل أبو الهول ينطق، إنها تريده أن يتكلم حتى تراه وتعرفه، ساد الصمت للحظات كان خلالها مصطفى يرتشف الشاي بالنعناع ببطء وينظر لنهي نظرة هو نفسه لا يعرف معناها!
- حضرتك آخر مرة كنت في مصر امتي؟

فوجيء بالسؤال لأن طبيعته المتحفظة كانت تحول بين الآخرين وبين إلقاء أسئلة كهذه عليه.

- الحقيقة أنا زرت مصر من حوالي عشر سنين، ولكن كانت زيارة علمية

بجثة ولم أمكث إلا يومين وفي فندق وفي شرم الشيخ وليس في القاهرة!

- يااااا، ويا ترى ليه حضرتك ما بتنزلش؟ المشاغل الكثيرة طبعاً؟
- ليس لي أحد في مصر، والدي ووالدي متوفيان، وكذلك أخي، وأختي
تقيم مع زوجها الطبيب في الرياض وأحياناً التقى بها هناك وأحياناً تأتي
هي لزيارتي هنا.
- قال ذلك وهو مقطب الجبين فخشيت نهي أن تسأله سؤالاً آخر.
- أكيد سأفكر في زيارة مصر قريباً.
- يا ريت يا فندم، مصر اتغيرت جداً في السنين اللي حضرتك غبتها.
- إلى الأحسن إم إلى الأسوأ؟
- فوجئت بالسؤال فقالت: أكيد فيه حاجات وحاجات.
- قام فجأة من مقعده ومد يده إلى نهي ليسلم عليها قائلاً:
- مدام نهي أنا متشكر جداً على هذا اليوم اللطيف، حقيقي أنا كنت
سعيد اليوم، ولكني مضطر للانصراف الآن.
- لاحظت نهي تغير وجهه وعبوسه.. ليس هو الرجل الذي كان يضحك الآن،
إنه رجل أول لقاء، تشجعت وقالت:
- أنا آسفة جداً يا دكتور لو كنت تعديت حدودي وسألتك بعض
الأسئلة، ولكن والله ليس هذا تطفل مني، فقط كنت أريد أن أسمعك
كما تكلمت وسمعتني.. نوع من المشاركة يعني.
- و لماذا تصورت أن أكون قد غضبت؟

- قيامك فجأة وعبوس وجهك ..
- لا لا أبداً أنا هكذا وعندما تعرفيني أكثر ستتعودين على ذلك، أنا سعدت بعزومتك وأسئلتك.
- هل أطمع إذن في مرة قادمة وقد أتجراً وأسأل بعض الأسئلة بدون تجاوز طبعاً؟
- هل أنت صحفية أم فنانة؟
- أنا فقط إنسانة تريد أن تتعرف على إنسان أضاء لها شمعة في ليل حالك الظلمة.
- ده كلام كبير جداً... أعدك بزيارة قريباً وأسألي كما تريدين.

اتصلت شيللا بمصطفى من مطار هيثرو، لم يفرح بالمكالمة وفكر في عدم الرد ثم وجد نفسه يضغط على الزر الأخضر.

- أهلا شيللا من أين تتكلمين؟
- من هيثرو، هل أنت متواجد؟ متى ستعود من العمل؟
- كالمعتاد، ولكن تعالي إلى منزل لندن.
- لماذا؟ إن منزل كرويدون أوسع.
- الحقيقة أنه توجد هناك عائلة صديقة من مصر تقيم فيه لبعض الوقت.
- أوكي.
- كومار موجود، خذي راحتك إلى أن أجيء.

شيللا حضرت في الوقت غير المناسب. قال مصطفى لنفسه: ليت إقامتها تكون قصيرة هذه المرة، تردد قبل أن يمكس بموبايله ليتصل بنهى، حسم الأمر بأن أقنع نفسه بأنه يريد فقط أن يشكرها!

- نهي هانم؟ أتمنى ألا أكون قد أيقظتك؟
- حضرتك الساعة الآن الحادية عشرة والنصف صباحًا.. أنا فنانة نعم، ولكن أستيظ مبكرًا!
- الحقيقة أنا أردت أن أشكرك بشدة على العزومة؛ لقد ذكرني بالأيام الجميلة.
- إن شاء الله أيامك كلها جميلة.
- ألا تريدن شيء؟

- حضرتك مش مخليني عايضة شىء، أدركت نحي أنه هو الذي يريد شيئاً فرأت أن تسهل عليه المهمة.
- ولكن حضرتك وعدتني بزيارة أخرى أرجو أن تكون قريبة.
- طبعاً طبعاً، ولكني أرى أن ترفهي عن نفسك قليلاً، معلوماًتي أنك لا تخرجين كثيراً من المنزل، لماذا لا تقبلي أنت دعوتي على العشاء خارج المنزل؟
- بكل سرور، ولكن هذا دليل على أن طعامي لم يعجبك!
- يا خبر.. معقولة، الدليل على أنه أعجبني أنني سأقبل عزومتك، ولكن بعد عزومتي.
- ماشى، امتى عزومتك؟
- فكر مصطفى في أن شيللا هنا ولا يعرف متى سترحل. قال:
- مبدئياً بعد غد في التاسعة، ولكن سأؤكد الموعد، قبل أن أنسى لماذا لا تقومى بدعوة والدتك لزيارتك هنا؟ أعتقد أنها مشتاقة لك وأنت أكثر.
- هذا كرم كبير من حضرتك، سأدعوها وربنا يسهل.

دخل علي فريد المحامي علي مصطفى في مكتبه.

- حمدًا لله علي السلامة يا علي.

- متشكر يا مصطفى باشا.

- سبع ولا ضبع؟ مش كنا بنقول كده في مصر؟

- سبع طبعًا، أحضرت لك كل المعلومات عن نهي خطاب وجاسم وعليه الألفي والدة نهي، بالنسبة للموقف القانوني لنهي فلا أعتقد أنه خطير؛ يمكننا تسوية الموضوع مع المنتج ينبرد العرباين مع بعض التعويض، مصطفى باشا، احنا عشرة قديمة ومصلحة واحدة من زمان، أرجو أن تصارحنى ما الذى يهمك فى أمر نهي خطاب؟

إذن هذا موسم الأسئلة - قال مصطفى لنفسه - بالأمس نهي واليوم علي فريد، أنا لم أعود علي هذه الاستجابات.

- أنت تعرف علاقتي بالجالية المصرية وقد لجأت إلي نهي تطلب المشورة لذا استعنت بك هذا كل ما فى الأمر.

- فقط؟

نظر إليه مصطفى نظرة نارية وقال: فقط.

- علي العموم، المعلومات عند سيادتك وعندما تأمرني أن أنفذ. سأنفذ.

- متشكر يا علي متشكر جدًا.

أمسك مصطفى بالملف وراح يقرأ، اهتم أولاً بالفقرة الخاصة بنهى: نهى كمال خطاب، واحد وثلاثون سنة، خريجة آداب قسم اللغة الفرنسية، وقبل ذلك مدرسة الراهبات الفرنسية بمصر الجديدة، بدأت رحلتها الفنية منذ كانت في الجامعة بتصوير بعض الإعلانات والكليبات، وكان هذا مثار خلاف بينها وبين والدتها من جهة وبين والدها من جهة أخرى. توفي الوالد بعد ذلك فأخذت خطوات إيجابية في الفن - ثلاثة أفلام وأربعة مسلسلات وأغنيتان - أمها كانت ترافقها في كل تنقلاتها وتلازمها أثناء التصوير، عمومًا البنت ملتزمة، ولم يكن لها علاقات تذكر، يحتمل أن تكون قد نشأت علاقة عادية بينها وبين الممثل الشاب كريم سليمان، جمالها لفت نظر رجل الأعمال المعروف جاسم بن نايف فألح عليها بالزواج ووافقت وسافرت معه لبلاده منذ ثلاث سنوات ثم انقطعت أخبارها.

انتقل مصطفى إلى الفقرة الخاصة بعلية الألفي ولفتت نظره هذه العبارة: «سيدة أعمال بالفطرة» كان لديها بوتيك تباع فيه الملابس النسائية الجاهزة، أرادت أخيرًا أن تحوله إلى مصنع كبير، لم يكن دكتور مصطفى بأي حال من الأحوال بالرجل السهل العادي الذي من الممكن أن يزج بنفسه وباسمه في موضوع دون أن يحصل على المعلومات الكافية عنه .. وهاهي المعلومات أمامه وعليه أن يقرر.

- دخل مصطفى منزله فعرف من كومار بوجود شيللا أحست بقدمه فخرجت من غرفتها بملابس النوم لتحيته غير مبالية بوجود كومار
- هلا تناولت معي الطعام ؟ لقد انتظرتك.
 - لا مانع، سأغير ملابسي وأحضر حالاً.
 - تناول مصطفى الطعام كأداء واجب وأحست «شيللا» بتغيره..
 - مصطفى.. ماذا بك؟
 - ماذا؟
 - منذ زيارتك لي في براغ وأنت لست على ما يرام، ماذا حدث؟ هل توجد أي مشاكل؟
 - على الإطلاق، ولكنني أواجه فقط بعض الصعاب في العمل. أنت بمنأى عن هذه المشاكل.
 - كنت ترحب بي دائماً أكثر من هذا، وكنت أحسد نفسي على معاملتك لي.
 - و سأظل أرحب بك دائماً. انتهى الموضوع يا شيللا. قلت لا شيء حدث، أنت بعيدة عن مشاكلتي. هيا الطعام سيبرد.
 - انتهى هذا اليوم على خير بالنسبة لمصطفى، أدى الأداء النمطي مثل يوم براغ، وآوى إلى غرفته، لأول مرة يفكر مصطفى في الحلال والحرام بعد لقائه بشيللا، لم ينته اليوم على ما يرام بالنسبة لشيللا؛ فهي أنثى ذكية تعرف تماماً إذا كان رجلها معها بكل كيانه أم أن الذي تم هو ميكانيكية العلاقة فقط، لا بد أن في الأمر شيء.

في الصباح طلب مصطفى من كومار أن يعرف من شيللا موعد مغادرتها لندن وأن يخبره بذلك على الفور، دخل مكتبه في الجامعة وراح ينتظر مكالمة كومار بفارغ الصبر فلما انتصف النهار ولم يكلمه اتصل هو به وعلم منه أن شيللا لم تستيقظ بعد لذا لم يسألها، كان كل ما يهم مصطفى أن يؤكد لنهى على الموعد! أخيراً اتصلت شيللا.

- حبيبي لقد نمت طويلاً الليلة، معذرة ما برنامجك اليوم؟

- كما تريد.

- لا بد أن يكون برنامجاً حافلاً لأني سأرحل مبكراً غداً.

«ياما أنت كريم يا رب سترحل غداً» - قال مصطفى لنفسه وابتهج -

- سيكون لنا برنامج رائع اليوم، سأحضر في الخامسة والنصف ويمكن أن نذهب للسينما ونتعشى بالخارج. أوكي؟

- ممتاز أنا بانتظارك.

أسرع مصطفى بالاتصال بنهى وأكد مواعده معها.

دخلت كارلا المكتب وقالت: عصام شعبان بالخارج ينتظر الإذن بالدخول.

- من عصام شعبان؟؟

- قريبك!

- ولماذا جاء، ألا يعمل في كارديف؟ ادخليه.

دخل عصام ومعه لفافة كبيرة وقال:

- السلام عليكم، أعرف أنه من الذوق أن أتصل بحضرتك قبل المحي، ولكنني حضرت إلى لندن لاستقبال زوجتي وابني، ستصل الطائرة بعد ساعتين فكان لابد أن أمر على سعادتك.
- اتفضل يا بني.
- أنا لن أعطل سيادتك، فقط أرجو أن تقبل هذه الهدية، فتح اللفافة وأخرج ما فيها، فوجد مصطفى بين يديه مصحفًا كبيرًا جدًا ومذهبًا ويبدو غاية في الجمال.
- شيء رائع، ولكن بالله عليك كيف حصلت على مصحف كهذا في بريطانيا؟
- من المركز الإسلامي.
- حبيبي أنا أعرف المركز جيدًا، ليس فيه مصحف كهذا.
- سألتهم فدلوني!
- أنا متشكر جدًا، ولكن ما المناسبة؟
- هذا شكر لسيادتك وعرفان بالجميل.
- و برضه ركبت دماغك وجبت عيالك؟ وحياتك حايعطلوك.
- معلهش يا فندم أنا أشعر بالاكتئاب هنا، وهذا سيؤثر على دراستي وعملي.
- على العموم لو واجهتك أي مشاكل اتصل بي دون تردد، وشوية كدة وحانشوف ممكن نعمل أيه مع مراتك، قلت لي هي مهندسة؟
- طيبة يا فندم.

- ماشي، يللا الحق الطيارة.

انصرف عصام، أخذ مصطفى المصحف واسترجع عادة قديمة كان يزاولها في مصر: يفتح المصحف عشوائياً ويرى ماذا يقول له فعلها الآن وقرأ: « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» أحس بقشعريرة تسري في بدنه.

حاولت شيللا بكافة الطرق أن تعيد مصطفى إلى الحظيرة، ارتدت من الملابس ما تعرف أنه يعجبه و يثيره، انتقت من كلمات الحب ما يذيب الحجر، لم يصددها ولم يقل لها أي كلمة تعبر عن الملل أو عدم الاهتمام، ما كان ينقص لقائهما في هذا اليوم هو « الروح»، ذهب معها للسينما وبالكاد استطاع أن يتابع أحداث الفيلم، ذهباً لمطعم فاخر وتناولوا طعام العشاء، عشاءً ملاً معدته، ولكن شتان بين امتلاء المعدة وبين شبع المذاق الجميل!، قد تكون شيللا قد خدعت بمظاهرها هذا اليوم، ولكن وسواسها ظل يقظاً خاصة وقد أطل مصطفى من وقت العشاء حتى يعودا للمنزل متأخرين؛ فيهرب من اللقاء النمطي!

تحدث مصطفى مع نفسه: ما الذي حدث؟ هذه الفتاة الرائعة التي كانت تملأ حياتك الكئيبة بهجة وسعادة ما الذي غيرك من ناحيتها؟ هل شاخ الجسد أم أن القلب مشغول؟ اعقل يا مصطفى نهى خط أحمر، موضوع شائك، حقل ألغام، بلاش كلام فارغ نهى واجب ورد فعل طبيعي فقط لا غير.

انتهى اليوم على خير.

تمام التاسعة مساءً، نهي في أبهى صورة؛ فستان سواريه بنفسجي غامق مكشوف قليلاً، الشعر مصفف بطريقة مختلفة تماماً عن كل مرة، قرط ماسي طويل، ماكياج خفيف، وإن كانت الألوان الطبيعية التي حباها بها الله تجعلها لا تحتاج لماكياج على الإطلاق!، أوصلها سنج إلى منزل مصطفى بلندن، لم تدخله، ولكن نزل مصطفى وفتح باب السيارة السبور..ركبت..وركن سنج السيارة الكبيرة وانصرف.

- لماذا بدلنا السيارة يا دكتور؟
- الحقيقة أنا لا أرتاح إلا في هذه السيارة.
- معك حق دمهأ أخف.
- أخبارك أيه؟
- ممتازة، الحمد لله.
- خير؟ فيه جديد؟
- لا .. فقط قبضت اليوم باقي مستحقاتي عن الإعلان! وش حضرتك حلو على!
- ألف مبروك، عقبال الأفلام الكبيرة. أنا سعيد أنك قبلت دعوتي.
- لا أستطيع أن أرفض.
- تغير وجهه وقال: طبعاً تستطيع أن ترفضني وأرجو أن تكوني قد حضرت لأنك راغبة في ذلك وليس لأنك محرجة أن ترفضني.
- ضحكت نهي وقالت: هل هذه الغضبة مثل غضبة يوم الجمعة «عادي وسوف أعود عليها «؟ والله أنا أقصد أنني لا أستطيع أن أرفض دعوة من دكتور مصطفى لأن هذا شيء كبير!

- متشكر جداً. أنا فقط أردت التوضيح و التأكيد على حريتك.
- دخلا المطعم الفاخر. قادهما الجرسون إلى مائدتهما المحجوزة مسبقاً والموضوع عليها ورد أحمر جميل وشمعتين.
- ما رأيك في المكان؟
- رائع.
- منزل كرويدون والأكل المصري والحركة النشطة التيدبت في المنزل يوم الجمعة الماضي أروع بكثير، ولكن مغلش التغيير مطلوب..
- طلبا الطعام وأسلمت نهي له القياد قائلة: واضح أنك ذواقه ولذلك سأتركك تختار لي، وعموماً أنا أكل كل شيء!
- مدام نهي.
- قبل أن تكمل، أنا ممكن أقول لك «دكتور» مصطفى احتراماً على الأقل للمكانة والدرجة العلمية، ولكن أرجوك كفاية «نهي» بدون مدام.
- حاضر، نهي بس على فكرة لن تحدي اثنين إنجليز يقول أحدهما للآخر دكتور فلان، فهذه الألقاب لها استخدام آخر، لكننا في مصر على العموم لنا طريقتنا، ناديني بما شئت مش مشكلة! نهي..أريد أن أسألك سؤالاً مهماً وأساسياً وأرجو أن أكون مفهومًا هل ما زلت تريد أن تكملني حياتك كفنانة؟ سأحتاج لشيء من التفصيلاً أنا أعتقد أن كل إنسان لديه هاجس ما يسيطر عليه؛ فهناك مثلاً من تسيطر عليه فكرة أنه «مظلوم وضحية» ... ويظل طوال عمره يعتقد هذا وأحياناً بدون مبررات ... أنا مظلوم وضحية أنا مظلوم وضحية، ويعيش ويموت ومعه هذا الهاجس، ويسوق كل أحداث حياته لتكريس هذا المعنى: مظلوم

و ضحية. وهناك شخص يسيطر عليه هاجس أنه مهم جدًا أو غني جدًا وقد يجعله هذا الهاجس مهمًا بالفعل أو غنيًا بالفعل، وهناك أشخاص أكثر طبيعية لديهم هاجس أنهم لا بد أن يكونوا أشخاصًا ناجحين يشار إليهم بالبنان منهم من يتحقق له هذا ومنهم غير ذلك، ولكن في النهاية الهاجس موجود معه، بالنسبة للفنان الحقيقي كون هاجسه هو فنه، لديه إحساس بأن لديه طاقة ما..إبداع ما .. يريد أن يسعد به الناس فيسعد هو أيضًا، نهي ..هل لديك هذا الهاجس؟

- مصطفى باشا- أظن حلوة باشا دي- مقدمتك رائعة، وليس فيها شيء من الجيولوجيا! وإجابتي هي نعم نعم لدي هذا الهاجس، وهو الذي دفعني للتمرد على جاسم، ليس فقط العبودية أو سوء المعاملة، ولكنه أساسًا هذا الهاجس.

- إذن فنحن متفقان. لا بد أن تكون أول خطوة هي العودة للفن.

- قالت فجأة وبطريقته وحضرتك ماذا كان هاجسك؟ هل كنت تتمنى بالفعل أن تكون عالم جيولوجيا؟

قال مصطفى لنفسه لا تلومها فأنت الذي قلت لها «اسألي كما تريدين» سكت قليلًا ثم قال بتردد وبين كل كلمة أو جملة وأخرى فترة صمت:

- الحقيقة أنا كنت أتمنى أن أكون جراحًا، وبالذات جراح مخ وأعصاب أو قلب وصدر.. شيء صعب والسلام، كنت أرى في نفسي كل المقومات لذلك، كنت متفوقًا في دراستي..الأول على الفصل، وأحيانًا قليلة الثاني، ولذلك لم يكن يرادني أي شك في أنني سأحقق حلمي، ولكن في خلال عام الثانوية العامة وقعت أحداث كبيرة ومشاكل لا حصر لها أثرت على تركيزي وتششتت أفكاري فلم أحصل على مجموع كلية الطب، حصلت على مجموع يدخلني الصيدلة أو الأسنان أو السياسة

والاقتصاد، ولكنني فضلت أن التحق بالعلوم و بالذات قسم الجيولوجيا،
وقررت أن أكون أستاذًا جامعيًا، كان هاجسي هو أن أنجح أو أكون
إنسانًا مهمًا أيًا كان المجال، ها قد حضر الطعام، ووقت الطعام لا
كلام.. صح؟

- صح.

راح الجرسون يضع أصناف الطعام على المائدة، استأذن مصطفى وأخذ صحن
اللحم الخاص بنهى وراح يقطعه قطعًا صغيرة بحرفية وسهولة، ثم وضعه أمامها.
- متشكرة جدًا.

أثناء الطعام كانت تعزف في الخلفية موسيقى أغنية انتبه لها مصطفى على
الفور، قال لنهى: هل تعرفين هذه الأغنية؟ لا بد أنك تعرفينها فهي أغنية
فرنسية وأنت ثقافتك فرنسية «مدرسة وجامعة ..

- وكيف عرفت؟ أنا لم أذكر ذلك على الإطلاق!

أدرك مصطفى خطأه؛ فهو بجملمته الأخيرة كأنه يقول أنه جمع معلومات عنها!

- ربما أكون قد عرفت من مجلة أو حديث تليفزيوني.. المهم هل تعرفين
الأغنية؟

- أعتقد أنها أغنية لأنريكو ماسياس؟

- فعلاً هو المطرب الجزائري اليهودي هاجر من بلاده فغنى هذه
الأغنية: وداعاً بلادي - قالها مصطفى بفرنسية سليمة- أنا لم
أدرس الفرنسية إلا بالقدر البسيط في الثانوي، ولكنني تعلمتها
هنا.. سكت قليلاً وقال: أخذت دروسًا لأتقنها... - الحقيقة أنه

تعلمها من الفتاة الفرنسية التي صادفها لثلاث سنوات أيام دراسته في بريطانيا!- لم أعرف معاني الأغنية إلا بعد أن أحببت اللحن: تركت بلادي .. تركت منزلي ... تركت حياتي البائسة... تركت شمسي و بحري الأزرق... أتذكر الآن بعد أن رحلت. تركت صديقة....مازلت أرى عينيها المبللة بدموع الوداع..

قال مصطفى هذه الكلمات، فصنعت مع فرنسيته السليمة وهدوء إلقاءه جوًا من الدفء وإن كان لا يخلو من الدهشة بالنسبة لنهى.

- دكتور مصطفى.. أنت اليوم مختلف.. مختلف جدًا. أعتقد أن فرنسيته أفضل من فرنسيتي. سأتكلم معك بها حتى أتذكرها وأقويها!

- أنت تبالغين. وابتسم نصف ابتسامة!

تناولا طعامهما باستمتاع بينما كانا يتبادلان أحاديثًا دارت مابين حياة نهي السابقة للفن وحياتها في منزل جاسم وأيام لندن الأولى. استمع إليها مصطفى بشغف، وفجأة وبدون مقدمات وعلى طريقته قالت نهي:

- ممكن حضرتك تقول لي ما الظروف التي حدثت وأثرت على تركيزك في الثانوية العامة؟ قالت ذلك وأمسكت بحقيبة يدها مبدية استعدادها للرحيل ضاحكة وقائلة: أنا عارفة أن قبلة ستنفجر والله لو السؤال ده هايضايقك بلاش منه!

ضحك مصطفى كما لم تشاهده نهي من قبل وقال:

- لا لا اقعدي هاحكيلك، ولكن ممكن ده يكون عندك وأثناء تناول طعام مصري؟! اعتبري أنني بأجل الكلام عشان أحظى بعزومتك. ممكن؟

- طبعًا ممكن، حضرتك حدد الموعد، كده بقى يبقى حضرتك مثل شهرزاد عندما كانت تشوّق شهريار لسماع حكاياتها!
- حاجة زي كدة.

- قال مشعل ل دينو وهما يجلسان في إحدى بارات لندن
- لقد رفض اللعين العرض.
- وما العمل؟ ما الخطة البديلة؟
- ليس أمامنا إلا الإلحاح مرة ومرتين وثلاثة.
- أو التهديد؟
- ممكن طبعًا ولكن بم تحدده؟
- سنبحث في هذا وسنجد شيئًا. هل تظن أن الرجل يحتفظ بعلمه وبالمعلومات الجديدة ليعطيها لمصر؟
- مصر؟ لا أعتقد هذا. لقد خرج منها منذ وقت طويل بدون سبب معروف على وجه الدقة وإن كان ممكن استنتاجه. خرج ولم يعد، ومعظم علاقاته -رجالاً ونساء- من الأوروبيين، ولغته العربية لكننتها غريبة - هذا إذا تكلمها- والأهم من ذلك هويته الدينية المشكوك فيها، فالكثيرون يرون أنه يصلي الجمعة في المركز الإسلامي مجاملة للجالية فقط.
- ولكنه يساعد الجالية ويقدم لها خدمات واضحة كما سمعت.
- هو مضطر لذلك؛ سياسة يعني.
- دعنا لا نسبق الأحداث وسنأخذ رأي الجماعة هناك وسنبحث في الماضي السحيق!

قررت نهي أن تكون العزومة القادمة أجمل وأروع وأكثر حميمية، ولم لا وقد زال الحاجز النفسي بينهما واستطاعت أن تجعله أولاً يتسم ثم يضحك وأخيراً استطاعت أن تجعله يتكلم! أكدت عليه الموعد وسألته إن كانت له طلبات معينة، فقال لها راعباً أن يعجزها:

- أيوة بليلة أو عاشورا، طبعاً مش حاتعري؟
- ياسلاام دانا بعملها وأنا في خامسة ابتدائي!

- ألو مدام نهي؟
- نعم.
- أنا زين الدين من طرف الأستاذ جاسم.
- أسقط في يدها. تماكنت نفسها وقالت:
- خير؟
- عندي رسالة من الأستاذ جاسم. ممكن أقابلك وأعطيها لك؟
- لأ غير ممكن، قل لي مضمون الرسالة الآن.
- أفضل أن تتسلميها بنفسك. قد يكون في الأمر خير.
- أرجوك قل لي مضمون الرسالة الآن.
- على العموم حضرتك حرة. الأستاذ جاسم يريدك أن تفكري بعمق في عودتك إليه. باقي على فترة العدة حوالي أربعة أيام. ويقول لك ممكن إصلاح كل شيء ولتكن بداية جديدة.
- أرجوك أبلغه شكري، ولكن كل شيء انتهى، وكل شيء قسمة ونصيب وربنا يوفقه ويوفقي.

في تمام التاسعة مساءً كان مصطفى رضوان يدق جرس باب منزله في كرويدون ومثل المرة السابقة كانت نهي هي التي فتحت له الباب.

- أهلاً وسهلاً. تصورت أن المطر والعاصفة قد تؤخرك قليلاً، لكن الحمد لله جئت في الموعد.

كانت ترتدي تاير كحلي تحته بلوزة زرقاء. والشعر حر منسدل والكعب عالي. يبدو أن العاصفة شديدة. لم أرملها من مدة.

- تفضل.

- ما أخبارك؟

- توجد أخبار، اتصل بي أمس مندوب عن جاسم وأراد مقابلي. رفضت فأبلغني رسالة منه، يرغب أن أعود إليه، أبلغته راضي. وباكراً تنتهي العدة.

- كان يريد مقابلة لي عرف مكانك!

- فطنت لذلك.

- على العموم سنرى رد الفعل.

رحبت مسز طومسون وروز بمصطفى وقدمتا له عصير البرتقال. قالت نهي باسمه: طبعاً البامية موجودة، لكن برضه أحب أن حضرتك تجرب الأصناف الأخرى مثل الكشك، محشي الكرنب وحاجات تانية كتير. تفضل.

- من البداية عشان مانزعش من بعض لو ضحكت على زي المرة اللي فاتت وسيتيني أكل وحدي حابطل أكل على طول. الأكل مشاركة يا هانم!!

- حاضر والله حأكِل.

وبالفعل شاركته نهي الطعام ولم تكتفِ بمراقبته مثل المرة السابقة.

- والآن جاء وقت العاشوراء حضرتك اتحدثني. تفضل إن شاء الله حاتدوق أحلى عاشورا.

- ضحك مصطفى وقال: لأ خلاص أنا سلمت وأشهد لك أنك أجمل طباحة في العالم.

لم يكن يريد أن يقول أجمل كان يقصد لفظ بمعنا أفضل، ولكن خرج اللفظ الذي يقصده عقله الباطن بدون وعي!

- نهي ممكن أدخن؟ الحقيقة أنا غير مدخن، ولكن أحياناً-وخصوصاً بعد وجبة مثل هذه- أحب أن أدخن سيجار ممكن؟

- طبعاً يا فندم البيت بيتك.

أخرج مصطفى سيجاره الكوبي الفاخر وأشعله وراح يدخن في هدوء واستمتاع.

- على العموم تدخين السيجار سيساعد حضرتك على الحكي واستدعاء الماضي. قالت ذلك وغطت وجهها بيديها مازحة؛ علامة على أنها تخاف رد فعله!

ضحك مصطفى وقال: إنت لسة فاكرة؟ هو أنا وعدتك أحكيك؟

- أيوة وأنا سألت حضرتك عن الظروف التي حدثت وقت الثانوية العامة.

عاد مصطفى إلى تجهمه، وأخذ نفساً عميقاً من السيجار ثم أخرجه ببطء:

- الحقيقة أن الشيء اللي جايز ناس كثير ماتعرفهوش هو أن أخي -رحمة الله عليه- كان عضوًا في التنظيم الذي قتل السادات!

أبدت نهي دهشتها واقتربت على الكنبه من مقعده وكلها آذان صاغية لما يقوله.

- نعم هذه حقيقة، وبعد اغتيال السادات بفترة قصيرة جدًا تم القبض عليه مختبئًا في الجبل. بعدها تم استدعاؤنا والتحقيق معنا جميعًا حتى أختي التي كانت وقتها طالبة في كلية الحقوق. عشنا على أعصابنا طوال فترة المحاكمة، ثم حكم عليه بالسجن المؤبد. وتعرض والدي لمضايقات كثيرة في العمل وكذلك أختي في الجامعة. لم يتحمل والدي المعاناة فتوفي قبل امتحاني بشهر واحد... وأصبحت أنا رجل البيت، كنا عائلة سعيدة نعيش في بني سويف، والدي موظف حكومي ولديه قطعة أرض وعمارة صغيرة؛ لذا كانت أحوالنا المادية معقولة جدًا. كان أخي طالبًا عاديًا في كلية الهندسة نعلم تدينه والتزامه، ولكن لم يخطر ببالنا قط أن يكون عضو في تنظيم. كان يغيب عنا أحيانًا أسبوع أو اثنين وعندما يسأله والدي عن ذلك يجيبه: «كنت في سبيل الله». حاول أبي بقدر الإمكان أن يبعده عن الشبهات فكان أخي يقول جملته المعتادة «لا تخش من شيء يا أبي نحن لا نفعل سوى التجمع لحفظ القرآن الكريم ودراسة أحكام تلاوته وتفسيره» وكان والدي يصدق.

- نهي ممكن طبق عاشورا كمان؟ وحطفي الهباب اللي بدخنه ده، ما لوش لزمة!

لم تعلق نهي. قامت على الفور وأحضرت طبق عاشوراء، ثم اقتربت أكثر على الكنبه من مقعده واستعدت لسماع بقية القصة.

- التحقت بكلية العلوم وعقدت العزم على التفوق فيها. كنت الأول

على الدفعة في الثلاث سنوات الأولى وكثفت جهودي في السنة الأخيرة لأحافظ على التفوق وأضمن التعيين في الجامعة. وكان الذي ينافسني على المركز الأول طوال سنين الدراسة مستواه أضعف بكثير من مستواي وكان الفرق بيننا في الدرجات هائل. إلا أنني فوجئت به الأول على الدفعة في البكالوريوس! كان هذا غير منطقي ومثار دهشة الجميع. طالبت بإعادة تصحيح أوراقي ولم ألقَ أذنًا صاغية. انتظرت إعلانًا لطلب وظائف معيدين: طلبوا معيّدًا واحدًا في قسم الجيولوجيا وهذا لم يحدث من قبل. كان لابد لي أن أسأل وأبحث عن سبب لما يحدث. كنت كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال حتى لا ترى الحقيقة. الحقيقة أنني أعاقب بجرمة أخى. قال لي أحد الكبار ذات يوم: يا مصطفى خليك واقعى. تفتكر شقيق واحد من اللي قتلوا السادات يعين في الجامعة؟! أدركت ساعتها أنه لا عيش لي في هذا البلد، لكن لم يكن من الممكن أن أترك أُمي وحيدة هنا وفي مثل هذه الظروف. وجاء الحل من عند أختي حيث تزوجت من طبيب أطفال - شجاع بما فيه الكفاية - وسافرت معه للسعودية وقررت أن تستقدم والدتي للعيش معها إلى أن أستقر أنا في مكان. زرت أخى في السجن وبكىنا سوياً على ما أصابنا جميعاً. استأذنته في السفر بعد التطورات الجديدة فقال لي: ليس هناك خيار آخر أنا جنيت عليكم كلكم. من يستطيع أن يهرب فليفعل سامحني. قلت له والله أنا مسامحك ولم أفكر أبداً في توجيه أي لوم أو عتاب لك، ولكن أريد أن أسالك سؤالاً واحداً: هل أنت مقتنع بما فعلت؟ - كنت أريد من هذا السؤال إنقاذ نفسي شخصياً من الحيرة والاضطراب والتخبط الذي كنت أعيش فيه - أجاب: لا أعرف. لاحظ مصطفى شدة انتباهه نحى لكل كلمة يقولها فقال: أثقلت عليك. الجرعة كانت كبيرة اليوم.

- لأ أرجوك لا تتركني قبل أن أسمع بقية الحديث.

- أرجوك أنت. هل تعلمين أنني لم أحك هذه القصة بنفسى لمخلوق على وجه الأرض. الوحيدون الأحياء الذين يعرفون تفاصيل هذه الحدوتة هم مرفت أختي وزوجها دكتور كمال وأنا.

قام دكتور مصطفى من مقعده وتوجه للنافذة. أزاح الستارة ونظر للخارج وقال: لقد اشتدت العاصفة وستظل كذلك ربما ليومين.

توجهت نهي ناحيته ونظرت من النافذ:

- يا إلهي. لم أر شيئاً كهذا: رياح وأمطار وهناك أيضاً قطعاً من الثلج!
- اسمعي. سأجلس نصف ساعة ثم سأنصرف وأعدك أن أكمل القصة فيما بعد، لم أتصور أن «البوح» متعب هكذا!

- تشرب نسكافيه معي؟

- مفيش مانع.

احتسب القهوة، وتحدثا في أمور شتى بعيداً عن قصته، هم بالانصراف إلا أنّ نهي قالت فجأة:

- كيف تخرج يا دكتور في جو كهذا؟ وتقود سيارة؟ ما ينفعش!

- أنا متعود على كدة!

- أرجوك، هذا منزلك لا بد أن تبيت هنا الليلة واستيقظ مبكراً كما تشاء لتذهب لعملك. الصباح رياح.

- ولكن ما يصحش، أنا...

- لأ .. يصح، أولاً: روز ومسز طومسون معنا، ثانيًا: أنت ستيت في الطابق العلوي، لا حجة إذن.
- نهي لا يمكن أنا..
- أرجوك هذا طلب شخصي مني!
- حاضر. سأيت.

أبلغت نهي مسز طومسون فقالت: هذا ما كنت أريد أن أقوله، ولكني أعرف طبيعة العناد لديه. وأنا أيضًا لن أستطيع أن أعود للندن اليوم. على العموم غرفته معدة وبيجامته جاهزة وكل شيء متوفر، أكمل مصطفى تدخين سيجاره في غرفة نومه وهو يفكر في هذه الفاتنة التي دخلت حياته فجأة وقال لنفسه: إنها تجمع بين صلابة و «جدعنة» والذكاء الفطري لفلاحة مصرية وأناقة فتاة باريسية وجمال سيدة من أمريكا اللاتينية والأهم من ذلك خفة دم بنت بلد من شبرا!.. أطفأ سيجاره وغط في نوم عميق.

ارتدت نهي ملابس النوم واستلقت على الفراش. راحت تفكر فيما قاله مصطفى. إذن فالحيث الهادئ على السطح يخفي تحته بركان! ترى ماذا يخفي أيضًا من أسرار؟ علمت نهي من مسز طومسون أن مصطفى لا بد أنه سيستيقظ في السابعة والنصف أو الثامنة. ضبطت المنبه على السابعة صباحًا وبعد مجهود جاء النوم. استيقظت في الموعد وارتدت ملابس منزلية عادية. وجدت مسز طومسون في المطبخ تعد القهوة لمصطفى أخذتها منها وطرقت الباب.

- ادخل، قال بالإنجليزية.
- أنا نهي حضرتك تشرب قهوتك عندك ولا معايا في الصالة؟
- حاضر. سأرتدي ملابسني وسأشربها في الصالة.

- مارس طقوسه، فبردت القهوة بالطبع، فقامت نهي تصنع قهوة من جديد.
- وجدته جالسا على المقعد في الصلاة.
- صباح الخير حضرتك نمت كويس؟
- نهي لماذا استيقظت مبكرة؟ مسرطومسون كانت ستعد القهوة.
- لأنا استيقظت لأحاول أن أقنعك بأن تؤجل ذهابك للعمل قليلاً؛ فالعاصفة مازالت على أشدها.
- لا أنت فقط غير معتادة على هذا الطقس. هذا يحدث كثيراً هنا والحياة تستمر. قد تكون هذه المرة الأشد منذ عدة سنوات، ولكنها مازالت غير خطيرة.
- اتفضل القهوة.
- وأنت هل نمت جيداً؟
- لأ.
- ليه.
- عندما أسمع شيئاً جديداً أو يقع حدث غير عادي أجد صعوبة في النوم، ولكنني نمت على أي حال!
- أريد أن أشكرك على اليوم الجميل أمس وخصوصاً العاشورا!
- وأنا أشكرك على ثقتك فيّ وأنتك بحت لي بما لم تبح به لأحد.
- أنت بدأت وحكيت لي قصة قد لا تتكرر كثيراً.
- ولكنني حكيت الحكاية كلها أما أنت فمازال هناك الكثير.
- حاضر حاضر سأكمل القصة يوماً ما! وضحك.

- غادر مصطفى المنزل والعاصفة على أشدها. رنت في أذنه كلمة نهي وهي تودعه على الباب «طمني أول ما توصل»

قالت عليّة هانم الألفي -والدة نهي- لشقيقتها:

- أمس دعيني نهي لزيارتها في لندن ولا أدري ماذا أفعل؟
- طبعًا لا بد أن تذهبي، ولكن أين تعيش هي الآن؟ وكيف تنفق؟
- قالت لي أنها استأجرت منزل في ضاحية من ضواحي لندن بسعر معقول جدًّا؛ خدمة من أحد المصريين العاملين هناك.
- وهي تنفق من بقايا مبلغ كبير موضوع باسمها في الفيزا كارد ومن مبلغ حصلت عليه من تصوير إعلان عن عطر جديد.
- ممتاز، ولكن عندما ينفد المال فماذا ستفعل؟ أنا أرى أنها لا بد أن تعود لمصر ولا بد سيكون هناك حل.
- يعني أنت شايقة أني أتوكل على الله وأسافر لندن؟ أنا قلبي واكلى عليها!
- ضروري البنّت محتاجة لك.

- ألو دكتور مصطفى؟ أنا مشعل.
- أهلاً وسهلاً.
- لا أريد أن أثقل عليك، ولكن يهمني أن أكرر على سيادتك دعوتي للعمل في بلدك الثاني وإذا كان لك أي طلبات خاصة فأنا أكرر:
- نحن على استعداد تام لتبليتها.

- سمو الأمير وأنا أكرر شكري لثقتكم الغالية وعرضكم الكريم وأؤكد أن رفضي ليس راجعاً لرغبتي في إملاء شروط أو رفع سعر إطلاقاً، كل ما هناك ظروف خاصة بي. وأكرر أيضاً استعدادي التام لخدمة بلادكم لفترة قصيرة في أي وقت تشاءون. أكرر فترة قصيرة شهر على الأكثر.
- دكتور مصطفى إن فترة شهر أو حتى ستة أشهر لا تكفي للاستفادة من علمكم الغزير في بلد يرقد على ثروات طبيعية هائلة والحمد لله.
- للأسف هذا ما أقدر عليه.
- أشكرك على العموم، ولكن إذا حدث وغيّرت رأيك فأرجو أن تكون الأسبقية لبلادي.
- من عيني.
- راح مصطفى يضرب أحساساً في أسداس: لماذا الإلحاح عليه؟ إنه يعلم ماذا يريدون بالضبط، وهو رفض عرضهم واليوم يكررون العرض. هل وصلتهم أي معلومة تفيد أنه من الممكن أن يغير رأيه؟ هل وصلتهم الأخبار المؤسفة عن أنّ مصر لم ترد إلى الآن على المعلومة التي سربها للحكومة في القاهرة عن طريق قناة غير رسمية؟ لو أن هذا حدث فلا بد أنّ الخبر قد تسرعن طريق جهاز قوي لا تملكه الدولة التي يمثلها مشعل وتملكه دولة أو دول أخرى صديقة لها؟ طرد مصطفى هذه الأفكار من رأسه وقرر أن يتصل بنهى على تليفون المنزل.
- آلو، نهي صحتك من النوم؟
- لا أبداً أنا صاحبة من بدري.
- كيف أحوالك؟
- الحمد لله. دعوت ماما لزيارتي ووعدتني بالتفكير في الأمر.

- تمام. وإذا وجدت أى صعاب في الحصول على التأشيرة يمكنى أن أرسل لها دعوة رسمية بصفتي مواطن إنجليزي.
- ده لطف من حضرتك. سأبلغها.
- باقول أيه أنا عندي محاضرة بكرة في جامعة سوانسي فيويلز على بعد حوالي أربع ساعات من هنا بالسيارة وخرجع في نفس اليوم. لوحيت تيجي معايا كنوع من تغيير الجو وخاصة أن الطقس معقول جدًا بعد العاصفة؟ وما تخافيش ممكن روز أو مسزطومسون تيجي معانا؟
- وليه حد ييجي معانا؟ هو حضرتك ناوي تاكلني مثلاً؟
- لأ. الحقيقة أنا أكل البامية والملوخية! قال ذلك ولم يضحك.
- ظلت نهي تضحك حوالي نصف دقيقة ثم قالت: خلاص يبقى حاجي لوحدي. بس ألبس أيه؟
- كاجوال. سنج سيوصلك للندن في الساعة صباحًا ثم سنذهب بسيارتي. نهي .. لو مش عايزة تيجي قولي ومش حزعل.
- لو قلت لك أني ما صدقت .. لأنى مللت من الجلوس في المنزل، تصدقني؟
- ماشي، إلى اللقاء.

انطلق مصطفى بسيارته وإلى جانبه نهي ترتدي بنطلون جينز أزرق وبلوفر فوشيا فوقه جاكيت جلد وحذاء بوت يصل للركبة. أما مصطفى فكان لا بد من البدلة لأنه ذاهب لإلقاء محاضرة.

- حضرتك تنتقل دائماً بالطائرات فلماذا السيارة اليوم؟
- تغيير. أنا كنت ناوي على القطار، ولكن وجدت أن السيارة ستكون مسلية بالنسبة لك.
- ولكن هل تستطيع أن تحكي وأنت تقود السيارة؟
- أستطيع أن أنام وأنا أقود السيارة، ولكن ماذا أحكي؟
- يا إلهي؟ بقية القصة...
- أنت طماعة يا نهي أنا حكيت لك الكثير بل الكثير جداً.
- ولكن يبقى أهم ما في القصة ماذا فعلت بعد أن قررت السفر؟
- حاضر، أمري لله أنا اللي جتبه لنفسي وضحك.
- بعد زيارتي لأخي -والتي أعطت لي الضوء الأخضر للتحرك- وبع.. وسكت -

ففهمت نهي أنه يريد أن يخفي شيئاً

- وبعد أن سافرت والدتي إلى مرفت أختي بدأت في التنفيذ؛ أخرجت بعض المال الذي كنت قد ادخرته والبعض الذي أعطته ليأميوبعد بيع بعض الممتلكات الصغيرة. استخرجت جواز السفر وقدمت على أجازة بدون مرتب من المدرسة التي عينت فيها كمدرس علوم فوافقوا عليها على الفور. خضت معركة عنيفة لأحصل على تأشيرة بريطانيا. استخدمت فيها الحيلة والواسطة والكذب وكل شيء. وأخيراً ركب

الطائرة وحقيبتى فيها بنطلون جينز غير الذي كنت أرتيه وأربعة قمصان وبلوفرين وبدلة وربطتي عنق وغيارات داخلية والباقي كله كتب. وفي محفظتى بالطبع نقود قليلة وعدد كبير من العناوين. و بدأت الرحلة. كنت قد وضعت الخطة الدقيقة: أن أعمل في أي شيء وفي كل شيء وفي كل الوقت لمدة عام كامل. أذكر فيه أقصى ما يمكن ادخاره حتى أستطيع أن أدفع مصاريف الالتحاق بالجامعة لدراسة الماجستير. ولك أن تتخيلي ما فعلته؛ لقد عملت بكل الوظائف المتاحة: جرسون في مقهى، عامل تليفون في فندق، عامل تعبئة في مصنع «ماذرز برايد» للخبز في «فورست جيت»، قلي الدجاج في كنتاكي وغسيل الصحون في المطاعم. درست اللغة العربية للإنجليز اللذين اعتنقوا الإسلام. ترجمت من العربية للإنجليزية وبالعكس للمرضى العرب اللذين يأتون للندن للعلاج. كل شيء يمكن أن تتخيله. لم أكن أنام أكثر من أربع ساعات يوميًا، وكنت أعمل أكثر من عمل في وقت واحد؛ مثلاً عامل تليفون من الثانية عشرة صباحًا وحتى الثامنة ومن التاسعة حتى الخامسة في كنتاكي وهكذا.. كانت فترة قاسية جدًا، ولكنها الفترة التي صنعتني، والتي حولتني من طالب ألقى الطعنات وهاجسى أنني مظلوم وضحية إلى رجل أغير من الواقع على قدر استطاعتي.

- قابلت الكثير من المصريين منهم من خذلني وجعلني أفكر في أن أكفر بالوطن - خاصة وأن الطريق في وجداني ممهد لذلك - ومنهم من أضاء لي الطريق وأعطاني الأمل. انتهى العام الصعب والتحققت بالجامعة، جامعة كاريفالقرية جدًا من سوانسي التي سنذهب إليها الآن. اجتزت كل الاختبارات بنجاح وتم قبولي. وكان لابد من خطة جديدة حتى أستطيع أن أجد عملاً، وأدرس في نفس الوقت. ساعدني واحد من المصريين ووجدت عملاً في منتهى الظرف هو أن أذاكر للطلبة العرب هنا! لا تضحكي، فهذه هي الحقيقة، بعض العرب هنا غاية في الذكاء

والتفوق، والبعض الآخر جاء إلى هنا بحثًا عن الحرية والبعد عن التقاليد والكبت في بلادهم رجالًا كانوا أم نساء. كنت أقوم بجمع المادة العلمية لهم من المكتبات حتى ولو في غير تخصصي، وأقوم بعمل الملخصات والصياغة والترجمة، هل تصدقون أنني قمت يومًا بإعداد بحث عن «لورد بايرون» لإحدى طالبات الآداب!

- معقولة؟ لا لا لا.

- صدقيني ويومها أخذت مبلغًا كبيرًا والغريب أنه تم قبول البحث! المهم حصلت على الماجستير وكان موضوعه عن المعادن النادرة. استقرت أحوالي قليلًا وأصبح لي منزل. صحيح متواضع، ولكن على الأقل لا يشاركني فيه أحد. قررت أن أدعو والدتي للإقامة معي ولو لفترة بسيطة. وبالفعل حضرت وكانت سعيدة جدًا لأنها أحست أنني قد تجاوزت مرحلة الإحساس بالظلم إلى مرحلة إصلاح الواقع. لم تستطع أن تقيم معي أكثر من شهر وقالت لي أنها تود أن تظل معي العمر كله، ولكنها لا تتحمل البرد والأمطار كما أنها لا تستطيع أن تقيم في بلد لا يسمع فيه الآذان. عاشت بعد ذلك حوالي خمس سنوات ثم توفيت في مكة ودفنت هناك. وطبعًا لا أعرف لها قبر لأزوره؛ فكما تعرفين هناك لا يضعون شواهد على القبور.

- دكتور مصطفى. بدون قطع حديثك معي سندوتشات وترموس قهوة، هلا شاركتني؟

- أكيد. متشكر جدًا.

- بيض ولّا جبنة ولّا كبرى ولّا تونة؟

- تونة.

- تفضل وها هي القهوة. أرجو ألا تسقط على ملابسك!

دخل مصطفى حارة جانبية على الطريق وأوقف السيارة واحتسى قهوته وهو يقضم من الساندوتش.

- هنا ليس مثل مصر؛ ليس من المفروض أن أكل أو أشرب أثناء القيادة؛ هذا يعرضنا للحوادث.

قاد السيارة مرة أخرى بينما كانت نهي تحتسى قهوتها على مهل.

- وبعدين؟

- حصلت على الماجستير ولفقت نظر المشرف على الرسالة، فوجد لي عملاً بسيطاً كمساعد باحث. وبدأت ظروفي المالية في التحسن. ثم بدأت في إعداد رسالة الدكتوراة، والتي كانت استكمالاً لنفس موضوع الماجستير. استغرقت حوالي أربع سنوات في إعدادها، وفوجئت يوم مناقشتها بالاهتمام الشديد من المناقشين والحضور، والثناء عليها وعلى دقتها وأهمية موضوعها. بعدها عرضوا عليّ التدريس في الجامعة. وافقت على الفور. يومها فقط أحسست بالراحة. ورحت ألتقط أنفاسي وقلت لنفسى: الآن فقط رفع الظلم عني. تذكرت أخي فأرسلت له رسالة أبلغه فيها بنجاحي وبأنى لا أحمل له ذرة واحدة من كراهية أو إحساس بأنه أذاني كما يردد دائماً. توفي أخي بعدها بخمس سنوات في السجن من مضاعفات مرض القلب وتسلم عمي جثمانه ودفنه في مقابر الأسرة بجوار والدي.

- ربنا يرحمهم جميعاً.

- تدرجت في الكادر الجامعي وحصلت على الأستاذية وانتقلت للجامعة في لندن و... بس.

- بس؟ بس إزاي؟
- خلاص هو فيه حاجة تانية؟
- طبعاً، توجد بعض التفاصيل: كيف كانت أيامك؟ ماذا كنت تفعل في وقت الفراغ.. كده يعني!
- نهى.. دي تفاصيل؛ بمعنى أنه من الممكن أن أذكرها بظروفها، يعني مثلاً أسمع حاجة فتذكرني بموقف ما فأحكيه لك، زي موضوع «لورد بايرون» مثلاً.
- آه فهمت، ولكني أريد أن أسألك سؤالاً مهنيًا بحثًا. ألم تحلم بالعمل في «ناسا» خاصة وأن لك اهتمام بالاستشعار عن بعد؟
- ناسا أو وكالة الفضاء الأمريكية حلم لكثير من العلماء ولا أنكر أنني قد فكرت فيه، ولكن أولاً: ليس هذا تخصصي. صحيح أنني مهتم بالاستشعار عن بعد كضرورة في الوقت الحالي، ولكنه ليس تخصصي، ثانيًا: ناسا مهتمة بالفضاء والبحث عن الاستفادة من خارج الأرض، بينما لا تزال تحت الأرض في كوكبنا هذا ثروات ضخمة لم تستغل بعد. هل تعلمين مثلاً أن هناك دولاً تحت خط الفقر على الرغم من أن تحتها ثروات هائلة لا تستطيع الانتفاع بها.
- و لماذا لا تستطيع؟
- هذا هو مربط الفرس! لأسباب كثيرة أولاً: لأنها لا تعلم ما تحبّه أرضها. ثانيًا: لأن تكاليف استخراجها باهظة. ثالثًا: وهو الأهم لأن هناك قوى عظمى تحول بينها وبين ذلك، تردد قليلاً ثم قال: هل سمعت عن اليورانيوم؟

- طبعًا. إنه يستخدم في صنع القنبلة الذرية.
- بالضبط. قد لا تتصورين أن هناك دولًا بائسة تعوم فوق بحر من هذا المعدن الخطير، ولكنها لعبة سياسية ومسألة توازن.
- و مصر؟ ألا تعوم فوق شيء؟ أي شيء يخرجها من المعاناة وينقلها إلى مرتبة أعلى تستحقها؟
- سكت طويلًا حتى ظنت نهي أنه نام .
- عارفة يا نهي أثناء دراستي في كلية العلوم في مصر، وطوال أربع سنوات جبت مصر من أقصاها إلى أقصاها: من القاهرة إلى حدود ليبيا، من القاهرة إلى وادي حلفا، الواحات، حلايب وشلاتين، سيناء، لا يوجد شبر لم أره، جمعت الرمال والصخور من كافة الأنحاء، تسلقت جبال الصعيد وسيناء، رسمت لنفسي وبنفسي خريطة لمصر، أراجعها كل شهر وأضيف إليها ما أحصل عليه من معلومات جديدة، هذه الخريطة الضخمة موجودة في منزلي بلندن، ولكنها أساسًا موجودة في عقلي.. إنني حين أغمض عيني أرى هذه الخريطة أمامي بألوانها ومرتفعاتها ومنخفضاتها، لا أعتقد أن أحدًا يعرف خريطة مصر كما أعرفها.
- ولكنك لم تجيئي. ألا نرقد على شيء؟
- بدون الدخول في تفاصيل قد لا تمك، توجد عندنا الكثير من الثروات كما توجد مثلها في دول مجاورة لنا وهذا ما يقلق. ممكن المزيد من القهوة لو سمحت؟
- فهمت أنه يريد أن يغير الموضوع. أوقف السيارة مثل المرة السابقة وراح يحتسي القهوة.

- نهى، وقبل جاسم هل كان لك أي علاقات أو مشاريع مع أي شخص؟
- قالت نهى ضاحكة: تقصد مشاريع تجارية مثلاً؟!
- لأ صحيح، ليس من المنطقي أن يكون جاسم أول من قابلته في حياتك!
- كان يوجد مشروع زواج بيني وبين ممثل شاب ربما تعرفه اسمه كريم سليمان.
- أحببته؟
- ممكن أن أقول ذلك.
- وماذا حدث؟
- خفت؟ «الأنا» عنده كانت متضخمة!
- كيف؟
- كان لطيفاً و ودوداً، ولكنه لم يكن يتكلم إلا عن نفسه بالرغم من أن خطواته الفنية كانت ولا زالت متواضعة جداً. نصحني البعض بقولهم أن زواج الفنانين لا يدوم، خاصة إذا كان أحدا الطرفين أكثر نجاحاً من الآخر.
- وكيف استطعت أن تتخلصي من الحب؟ إهمثل المرض يحتاج إلى مناعة وقوة وصلابة؟
- لا أنكر أنني تعبت من أجل التخلص من الحب، ولكن كريم ساعدني؛ فقد كان متعجلاً للنجاح والشهرة بطريقة مقززة أو مرضية.
- ولكنك تركت هذا الحب لاحتمال بسيط أن يفشل الزواج. من أجل زواج ليس فيه من مقومات النجاح سوى ... سوى المال.

- ودفعت ثمن هذا الغباء. لا أحد يتعلم مجاناً.
- سادت فترة صمت قطعها مصطفى بأن أدار محرك السيارة وانطلق على الطريق.
- دكتور مصطفى... عندما قررت السفر وودعت أخاك ووالدتك والأصدقاء، ألم يكن من ضمن من ودعتهم «فتاة» مثلاً؟
- ماذا تقصدين؟
- أعطيني الأمان لأقول.
- أعطيتك الأمان..
- ألم تكن مرتبطاً بشكل أو بآخر بأي فتاة في مصر قبل السفر؟ تذكر أنك أعطيتني الأمان!
- باقٍ على وصولنا لسوانسي حوالي نصف ساعة ممكن أن أوصل الحديث لحين الوصول، أو في أثناء رحلة العودة؟
- ممكن.

- مدينة سوانسي إحدى مدن ويلز مدينة صغيرة وجميلة وتطل على المحيط وبها الكثير من المرتفعات الجبلية وفيها جامعة يلتحق بها الكثير من الطلبة العرب. وصل مصطفى ونهى المدينة في الواحدة ظهراً. راح مصطفى يطوف المدينة بسيارته، شارحاً لنهى معالم المدينة مثل: الجامعة والمستشفى ووسط المدينة. أخذها مصطفى إلى حديقة ضخمة، من الممكن أن تسمى غابة. جلسا على أحد المقاعد وراحا يتأملان الخضرة ويستمتعان بالهدوء من حولهما.
- يبدو أنك معتاد على هذه المدينة وبالذات على هذا المكان؟

- نعم، فكما قلت لك كنت أدرس في جامعة كارديف عاصمة ويلز وهي قريبة من هنا لذا كنت أفضي عطلات نهاية الأسبوع -إن وجدت-
- هنا في سوانسي.
- وحدك؟
- أنت خبيثة.
- ضحكت وقالت: مجرد سؤال!
- أحياناً وحدي وأحياناً لأ.
- لن ندخل المواضيع في بعضها. على العموم، أستجيبني على سؤالي بخصوص فتاة مصر الآن أم بعد المحاضرة؟
- لا بعد الغداء. ستمشى قليلاً في هذه الغابة الجميلة ثم سنذهب إلى مطعم أعرفه وهناك نتكلم.
- راحا يتجولان في الغابة الجميلة، ولفت نظر نهي وجود سناجب بكثرة في المكان. لم تكن قد رأت سنجاباً من قبل في حياتها.
- نهي. هل تغنين بينك وبين نفسك أحياناً؟
- طبعاً. معظم الوقت.
- وماذا تغنين؟
- حسب الأحوال، عندما أكون سعيدة أغني لحليم وعمرو دياب وعندما أكون حزينة أغني لأم كلثوم وعبد الوهاب ونجاة.
- يا سلام يعني حليم رمز السعادة وثومة رمز الحزن؟

- لأ طبعًا..فقد غنى حليم «في يوم .. في شهر» وهي قمة الحزن وغنت
ثومة «افرح يا قلبي» ولكن أنا قلت ما أفعله أنا.

- وهذه الأيام ماذا تغنين؟

- أغاني وطنية.

ضحك مصطفى حتى بدا كإنسان عادي وقال: لماذا؟ هل تنوين إعلان
الحرب؟ ضحكت نهي ولسان حالها يقول: إن كنت خبيثًا فأنا أحبث منك.

جلسا في المطعم الصغير الذي يقدم وجبات «ويلش» بجثة قال مصطفى: توجد مطاعم
أكبر من هذا، ولكني أردت أن أجعلك تعيشين في جو هذه المدينة... فهذا هو التغيير.

- حضرتك اطلب لي.. لأني لا أعرف أيًا من هذه الأصناف.

أخذ منها قائمة الطعام فلامست كفه يدها البيضاء الناعمة فأحس بالكهرباء
تسري في يده.

في انتظار وصول الطعام، أخذت نهي زمام المبادرة وقالت:

- تفضل

- أتفضل أيه؟

- تفضل احكِ.

- آه الفتاة.. الفتاة، ولكن لماذا يجب أن تكون هناك فتاة؟ لماذا لا أكون

قد تركت البلد وركبت الطائرة بدون أن يكون هناك أي فتاة؟

- ولكن الحقيقة أنه كانت هناك فتاة.

- وكيف عرفت؟

- الحاسة السادسة.

- نعم كانت هناك فتاة. كانت تسكن في نفس الشارع في بني سويف. كنت أراها كل يوم، وكنت أتبع خطاها. وقتها كنت طالب ثانوي مراهق، أذاكر على أغاني أم كلثوم وأحس باللحن والكلام واستعيدهما عندما أراها. كانت جميلة ورقيقة وكانت عيناها عسليتين أغمق قليلاً من لون عينيّك. كان شعرها أسود طويل ودائماً على هيئة ضفّيرتين. في الثانوية العامة تحجبت فلم أجد أرى شيئاً منها غير الوجه وخاصة العينين. خلال فترة الجامعة كنت أعود لبني سويف كل خميس وجمعة.. وهي أيضاً فقد كنا في نفس السن، التحقت هي بالجامعة -بكلية التربية- وأقامت في المدينة الجامعية في القاهرة، كان القطار هو المكان الذي بدأ فيه تعارفنا.

- عام كامل اكتفينا فيه فقط بالكلام. في العام الثاني أصبحنا شبه متلازمين بدون أن نتصارح. في العام الثالث صارحتها أنا ولم تبدِ اعتراضاً.

- في البكالوريوس كان كل شيء واضحاً وأخبرتني سأقدم لها بمجرد نجاحي. كانت علاقة جميلة ونقية وبريئة. كانت كنسمة الصيف اللطيفة التي تهب فتزيل عن القلب بعض همومه، كانت شعاع الأمل وسط الظلام والضباب. سكت مصطفى.

- وماذا حدث؟

- أبداً مثل كل الأحلام الأخرى تحطمت على صخرة أخي.

- تقدمت لوالدها والذي كان يعرفني طبعًا ويعرف والدي و أخي بحكم أننا نسكن في نفس الشارع. لم يجرحني ولم يهينني، فقط وعد بالتفكير في الأمر. بعدها بأسبوع جاءت باكية لتقول لي أن والدها رفض رفضًا قاطعًا، وقال لها بالحرف الواحد: مصطفى لا غبار عليه، ولكن سيظل طوال عمره ضحية لذنب أخيه. لن يكون له مستقبل، وحرام أن أربط مستقبلك بمستقبله .. انسه يا سناء.

- ظللنا نتقابل ونحاول أن نفكر فيما سنفعل إلى أن حدث مثل ما يحدث في الأفلام العربية؛ جاءني والدها و قال لي: إن كنت تحبها فعلاً ابتعد عنها وليوفقك الله.. أنت تعرف أكثر مني أن طريقك صعب.

- ودعتها قبل أن أسافر.

- حاولت أن تقنعني أنها يمكن أن تنتظرنني إلى أن أحقق شيئًا فيتغير موقف والدها، فأفهمتها أنه ليس هذا ما يهم والدها، ما يهمه هو أن الوصمة ستظل عالقة بنا وبأولادنا أي أحفاده.

- تراسلنا لفترة بسيطة بعد سفري، ثم انقطعت الرسائل ولم أعد أعرف أي شيء عنها بعد ذلك.

- هل يمكن أن تتفضلي وتأكلي بقي لأن الأكل حايبرد؟

- حاضر. أرجو أني ماكنش أثقلت عليك أو زي مايقولواقلبت عليك المواجه.

- بالعكس، أنا حاسس أن حجرًا ثقیلاً انزاح من على صدري، حتى وإن كنت قد تذكرت أشياء لا بد أن أنساها. بأقول أیه.. أمامك حل من اثنين بالنسبة للساعات القادمة.. إما أن تحضري المحاضرة، و جازي ده يكون وقت ثقيل بالنسبة لك، أو أوصلك للسينما وتقضي فيها ساعتين

ثم أحضر لأخذك بعد المحاضرة؟

- هل السينما وحدي هنا «أمان»
- نعم جدًا. هذا بلد هادئ وأهل ويلز مسالمين.
- خلاص يبقى السينما.

ألقى مصطفى محاضراته وسط حضور غير متوقع من الطلبة العاديين وطلبة الدراسات العليا من العرب وغير العرب وطلبة من تخصصات أخرى غير الجيولوجيا. فقد كانت محاضرات مصطفى تتميز بالسهولة والعمق في أن واحد. كما أن المواضيع التي يتحدث عنها تهم كل الناس: ثروات الشعوب المختبئة تحت الأرض، حزام الزلازل، البراكين، كوارث المحيطات الجديدة.. إلخ.

في هذه المحاضرة بالذات كان الحضور أكبر؛ لأنها كانت تركز على موضوع خطير وهو أنه خلال الخمسين عامًا القادمة لن يكون البترول بنفس الأهمية التي هو عليها الآن، ألقى مصطفى محاضراته في ساعة ونصف وخصص نصف ساعة للأسئلة، والتي كانت من الكثرة بحيث اكتفى منظم المحاضرة ببعضها فقط.

التقى مصطفى بزملائه القدامى في الجامعة ودعاه بعضهم لقضاء الليلة معهم، فاعتذر بأنه لا بد أن يكون على مكتبه في لندن باكراً، فوجيء مصطفى عندما هم بركوب سيارته بمن يرت على كتفه ويقول له:

- دكتور مصطفى دكتور مصطفى.
- التفت مصطفى فوجد أمامه عصام شعبان.
- عصام! إيه اللي جابك هنا يا ولد؟

- أنا قرأت الإعلان عن محاضرتك فكان لابد أن أحضرها. جئت من كارديف بالقطار وسأعود الآن.
- أعجبتك المحاضرة؟
- طبعًا.
- بالرغم أنها مش تخصصك!
- هذه المحاضرة بالذات تهم كل الناس.
- اسمع أنا ذاهب لوسط البلد تعالى معي، ولكن بعد ذلك ستكمل المشوار للمحطة وحدك؛ لأن سيارتي مقعدين فقط و أنا سأخذ معي شخص منوسط البلد.
- ماشي ماشي هذا سيوفر عليّ جزء من المشوار.
- أدار مصطفى محرك السيارة.
- وأنت عامل أيه؟
- أنا بخير والحمد لله. زوجتي وابني هنا كما تعلم.
- ومعطلينك طبعًا؟
- كلام حضرتك كان صحيح. خوفي عليهما ورغبتني في توفير سبل الراحة لهما، يأخذ من وقتي الكثير، ولكن ما باليد حيلة.
- اتصل بي بعد كام يوم وفكرني نبحت لزوجتك عن عمل مناسب. هل لديها الاستعداد للعمل في غير الطب مؤقتًا؟
- بكل تأكيد. وأكون شاكر لو حضرتك فعلاً وفرت لها عمل.

- اتصل مصطفى بنهى وعلم منها أن الفيلم قد انتهى وأنها ستنتظره خارج السينما.
- عصام ممكن تعطيني رقم تليفون جدتك عواطف في القاهرة؟
- طبعًا. حالًا.
- هو أنت ابن وفاء ولا كوثر؟
- انا ابن وفاء. كوثر في أبوظبي مع زوجها وأولادها.
- وفاء هي الأكبر؟ صح . كانت في عمر عبد الرحمن الله يرحمه.
- الله يرحم الجميع.
- وقفت السيارة أمام السينما، وكانت نهي على مسافة قريبة.
- قال مصطفى: يللا يا عصام انزل أنت هنا.
- حذق عصام في نهي، ثم مال على مصطفى وقال: دكتور إن لم يكن قد خانني بصري أليست هذه المرأة نهي خطاب الفنانة المعتزلة؟
- يبدو أنه كان لديك وقت كاف لمتابعة الحركة الفنية في مصر. أيوة يا سيدي هي وستركب معي الآن لأوصلها للندن، واكتم هذا السر
- لأنها في مشكلة ستحلها لها الجالية المصرية. يللا.
- انصرف عصام مسرعًا وركبت نهي السيارة.
- تقولين أن الناس قد نسيتك؟ هاهو شاب في العشرينات، ومعيد بالجامعة، وتعرف عليك في الظلام من أول نظرة!
- بجدة؟
- آه والله، إنه قربي و يدرس هنا في كارديف.

- وهل أكدت له المعلومة؟
- نعم.
- لم تستطع نحي أن تخفي شعورًا بالسعادة انتابها لمجرد أنّ شابًا صغيرًا تذكر وجهها!
- استغرقت رحلة العودة للندن وقتًا كافيًا لأن يتحدثنا في أمور شتى.
- وكانت هي من الذكاء بحيث لم تشعره لحظة أن قصته ستكون على لسانها بعد ذلك. وقررت ألا تفتح سيرة الماضي إلا لو فتحها هو.
- دكتورولو أنه من الأولى أن أسال نفسي هذا السؤال، ولكن اسمح لي أن أسألك-وأنت الآن على القمة كما يبدو لي-وكما قلت لي من قبل كل إنسان له هاجس- وقد تكون قد حققت هاجسك- ولكن ماالذي تريد أن تفعله الآن؟ مالذي تحلم به وتريد أن تحققه؟
- الحقيقة يا نغو قبل أن أجيبك وأتفلسف وأعمل نفسي حاجة، لا بد أن نحل مشكلتك أولًا. هذا شغلي الشاغل الآن.
- إذن فلا بد أنني أصبحت عبثًا ولذا تتعجل الخلاص؟ وضحكت.
- آه لو كنت واخذ عليك شوية، كنت قلت لك كلام مش كويس. متأسف يعني. ما الذي تقولينه؟ أي عبء؟ أنت الشيء ال... وسكت.
- الشيء الأيه؟ ..كمل حضرتك.
- الشيء الجميل في حياتي الآن. خلاص استرحتي؟
- لم ينسا بينت شفة طوال الطريق بعد ذلك.

- هو خجل من هذا الاعتراف الذي جاء مبكرًا وهيخافت من ردود أفعاله فآثرت الصمت، وإن كانت في قمة بحجتها.

- صباح الخير يا مصطفى باشا، علي فريد معاك.
- أهلاً يا علي بتتكلم منين؟
- من مصر يافندم أنا انتهيت من صيغة الدعوى التي سنرفعها على جاسم وطالبته بنفقة. باقي أن توكلني هي فأرفع الدعوى. أنا سأكون في لندن الأسبوع القادم، أرجو ترتيب مقابلة معها.
- وموضوع المنتجين؟
- قابلت واحدًا منهما وكان متساهلاً أخبرني أن موضوع الشرط الجزائي ممكن التنازل عنه لو أن أول عمل لنهى بعد العودة يكون معه. أما المنتج الثاني فخارج البلاد ولم أقابله بعد.
- ماشي دي أخبار كويسة، أنا منتظرك الأسبوع القادم.

شعر مصطفى أنه بحاجة لممارسة الرياضة، فمِنذ دخول نهي حياته لم يذهب لنادي البولنج. كان في شبابه يلعب كرة القدم وبرع فيها وكان عاشقًا للنادي الأهلي. وفي الجامعة لعب الكرة الطائرة وتفوق فيها وعندما سافر لبريطانيا لم يكن لديه الوقت الكافي لممارسة أي لعبة وكان مقتنعًا أن عمله اليومي لمدة ستة عشرة ساعة أو أكثر يعتبر رياضة على أى حال! إلا أنه كان يلعب كرة القدم مع المصريين كلما حانت الفرصة في أحد الحدائق الكبيرة، تقلصت نشاطاته الرياضية بعد ذلك لضيق الوقت وتوديع مرحلة الشباب

ف لعب تنس الطاولة إلى أن وصل لكرسي الأستاذية فلم يعد يلعب إلا البولنج. ومن حين لآخر يذهب لصاله الألعاب «الجيم» للمحافظة على رشاقته وتناسق بدنه الذي يشهد الجميع أنه ليس بدن رجل يقترب من الخمسين.

توجه مصطفى لنادى البولنج بعد زيارة مطولة لمكتبه الاستشارى الخاص. التقى فى النادى ببعض الأصدقاء منهم الجيولوجيون ومنهم غير ذلك. أثناء اللعب اقترب منه رجل يميل للقصر، خفيف شعر الرأس وله لحية صغيرة «سكسوكة» وعينان زرقاوان.

- دكتور مصطفى، أليس كذلك ؟

- نعم.

- أنا دينوصاحب شركة كاروكس.

- أهلاً وسهلاً.

- هل يمكننا أن نجلس قليلاً؟ لذي شيء هام أقوله.

- ولماذا لا نتقابل فى مكتبيفهناك مكان العمل؟

- أرجوك أنا لن أخذ من وقتك الكثير. عشر دقائق فقط.

- تفضل.

- انتحيا جانباً وذهبا لكافيتريا صغيرة تقدم المشروبات لللاعبين.

- دكتور مصطفى العلم إذا لم ينفع أحداً فلا قيمة له، أتوافقني على ذلك؟

- بكل تأكيد.

- وأنا أعلم غزارة علمك فى موضوع محدد وأريد أن تنتفع به البشرية. وأنا

أمثل جهة تمتلك الإمكانيات اللازمة للانتفاع به. فلم لا نتعاون؟

- أفصح.
- باختصار أنا أعرض عليك العمل معنا بالشروط التي تملّيها.
- أفصح أكثر. من أنتم؟
- سكت دينو قليلاً ثم قال:
- شركة متعددة الجنسيات يهملها مثل الجميع البحث عن الطاقة البديلة.
- وأين سيكون مكان العمل؟
- في البلد الذي تقرر أنت البدء فيه وسيكون لنا جلسات طويلة معك بهذا الشأن.
- لم يرتح مصطفى للرجل فأراد أن يكسب وقت فقال:
- لن أعطيك ردّاً الآن، ولكنني أعدك بالتفكير. أكيد أنت تعرف كيف تتصل بي. أعطني مهلة معقولة.
- أكيد أكيد. سنكون على اتصال.

من دينو؟ ولماذا قابله في نادي البولنج؟ ومن الذي قال له أنه سيكون هناك في هذا التوقيت؟ إنه لم يذهب إلى هناك منذ أكثر من شهر.

تعب مصطفى من التفكير فأراد أن يستريح بمكالمة نهى، ولكنه تردد وقال لنفسه بعد اعترافي لها بأنها مصدر بهجتي، لا بد أن تبادر هي بأي رد فعل.

قضت نهي ليلة سعيدة بعد وصولها من سوانسي راحت تفكر فيما قاله مصطفى بكل عفوية لم يفكر ولم يختار كلماته، خرجت من فمه هكذا: «أنت الشيء الجميل في حياتي» يا سلام أن أجمل الكلام هو ما يخرج من القلب -قالت نهي لنفسها- ولكنه لم يتصل بها منذ هذا اليوم. هل هذا خجل أم «تقل»؟ أيًا كان السبب فلا بد أن تبادر هي بالاتصال. اتصلت به مساءً في منزله وكان يشاهد مصارعة المحترفين.

- ازي حضرتك؟
- أهلا ان أنت فين؟
- في منزلك في كرويدون ها ها أنت مشغول؟ اتصل في وقت آخر؟
- إطلاقاً فقط أفعل لا شيء أمام التلفزيون. أحبارك أيه؟
- لا جديد..
- أنا عندي جديد على فريد المحامي اتصل بي سيصل الأسبوع القادم ويجب أن تعطيه توكيل لرفع القضية على جاسم. وبالنسبة للشرط الجزائي، فإن أحد المنتجين اقترح التعاون معه مقابل التخلي عن الشرط أيه رأيك؟
- هل من الضروري موضوع القضية؟ أرى أنه الحمد لله أني تخلصت منه وهذا يكفي.
- مع احترامي لقناعتك ورغبتك في السلام، ولكن الأمور لا تؤخذ هكذا. إننا فقط سنرفع القضية للحصول على النفقة وهذا لا يشكل أي قيمة بالنسبة لشخص مثل جاسم. وكان لابد أن يبادر هو بذلك بدلاً من حركة سحب الأموال من الفيزا: حركة خسيصة لا يقوم بها رجل له وزنه مثله.

- المسألة لم تعد قضية من نهي ضد جاسم، ولكن قضية مبدأ ضد مبدأ، الخير ضد الشر. يحمد ربنا لأن علي فريد كان يريد أيضاً رفع قضية تطالبه برد المجوهرات التي لم يشتريها هو، ولكننا وجدنا أنه من الصعب إثبات ذلك.
- خلاص اللي حضرتك تشوفه. وبالنسبة لموضوع المنتج، هو طبعاً خبر كويس، لكن كيف يمكن التعاون معه من هنا؟
- سنتناقش في ذلك عندما أراك وبالمناسبة متى يمكنني ذلك؟
- حضرتك اللي تحددنا فاضية على طول.
- خلاص أنا سأصل بك غداً صباحاً من المكتب بعد أن تخبرني كارلا بالجدول.
- يا ابن الأيه يا دكتور مصطفى، نهي خطاب مرة واحدة! قال عصام شعبان لنفسه -ياما تحت الساهي دواهي- يا ترى ما نوع العلاقة
- بينهما؟ وما هي المشكلة الواقعة فيها نهي؟ هذا إذا كانت هناك مشكلة من الأصل! همّ عصام بأن يخبر زوجته، الدكتورة شيماء بالأمر إلا أنه تذكر قول مصطفى «اكتم السر» فسكت.

قررت شيللا أن تقوم بزيارة مفاجئة للدكتور مصطفى، وبذلك تضرب عصافورين بحجر واحد: أن تعرف الحقيقة وما إذا كانت هناك امرأة أخرى في الموضوع. وثانياً: أن تكون مفاجأة لمصطفى؛ فترى أثر ذلك عليه، أفرح وسرور أم ارتباك؟ وصلت شيللا إلى هيثرو وركبت تاكسي إلى منزل مصطفى بلندن. دقت الجرس ففتح كومار ورحب بها. راحت تجوب المنزل فلم تجد أحداً.

- كومانر أين مسز طومسون؟
- إنها في منزل كرويدن.
- وماذا تفعل هناك؟
- إنها وروز تقيمان هناك الآن لخدمة مسز نهي، قريبة دكتور مصطفى.
- من؟
- مسز نهي.. قريبة دكتور مصطفى.
- لم تفكر شيلا لحظة واحدة، تركت حقيبتها واستقلت تاكسي إلى كرويدن.

صباح هذا اليوم، استيقظت نهي على تليفون مصطفى يخبرها بالموعد. دعاها للعشاء في كرويدون. تركت السرير ودخلت الحمام وبدأت طقوسها اليومية من إفطار وبعض التمارين الرياضية وبعض الاتصالات التليفونية ثم تصفح الانترنت. سمعت صوت جرس الباب بعد قليل جاءها روز تخبرها بوجود شيللا.

- ومن شيللا؟

- صديقة دكتور مصطفى، مضيغة جوية من التشيك. تريد مقابلتك.

- أوكي

وضعت نهي ماكياج خفيف لا تحتاج إليه. بدلت بلوزتها بأخرى أكثر أناقة، صفت شعرها، ثم خرجت للصالة، فوجئت كل من السيدتين بجمال الأخرى. كانت شيللا تمني نفسها بأن تكون نهي سيدة مصرية تقليدية، تميل للسمنة، وترتدي الحجاب والملابس الواسعة، وقد يكون على وجهها مسحة من جمال أو سماحة وجه، وجدت أمامها نهي ببشرتها البيضاء وجسدها الممشوق وعينيها العسليتين وأناقتهما الواضحة. وكان في مخيلة نهي أن تكون الفتاة التشيكية، فتاة نحيفة مسترجلة تضع نظارة طبية، وشعرها قصير «ألا جرسون» فوجدت أمامها شيللا بجسدها المثير وجاذبيتها الخارقة.

- صباح الخير أنا شيللا صديقة مصطفى. آسفة على المجيء فجأة فقد كنت أريدها مفاجأة سارة له ولم أكن أدري أن أحداً يقيم هنا مع أنني اعتدت الإقامة هنا.

- تفضلي أنا نهي قريبة «دكتور» مصطفى. في البيت متسع للجميع. أين حقيبتك؟

- لا لا.. أشكرك سأقيم في منزل لندن، ولكن هل أنت ابنة خالته مثلاً؟

- ابنة ابنة خالته هكذا قالت نهي بدون تفكير.
- سعيدة بمقابلتك أستاذ الآن.
- ألا تشربين شيئاً معي؟ ليس من المعقول أن تأتي هذه المسافة وتنصرفي بهذه السرعة.
- لا عليك. مرة أخرى باي
- أوشكت دماغ شيللا على الانفجار من الغيظ. إذن لقد صدق حدسي هناك امرأة أخرى. قريبته؟ قريبته ويسخر مسر طومسون وروز وسنج لخدمتها -والمنزل تفوح منه رائحة الدفء والحيوية -هكذا حدثت نهي نفسها وهي تركب التاكسي متجهة إلى منزل لندن.
- أما نهي فكانت مشاعرها غريبة لقد كانت شيللا تنتقي الكلام الذي من شأنه إثارة غيرتها «أعتدت أن أقيم هنا «سأقيم في منزل لندن» مالي أنا وماله، فليصادق من يشاء إنه أعزب وغني ووسيم فما الغرابة في ذلك؟ لأنه قال لي «أنت الشيء الجميل في حياتي» فيكون لي الحق في الغيرة؟ كلمة مجاملة تقال لأي امرأة! ولكن المشكلة في لقاء اليوم عشاء اليوم؟ سيكون لقاءً سخيلاً ومملاً. هل أعتذر؟ هل أتمارض؟ هكذا حدثت نهي نفسها.
- دخل مصطفى منزله فوجد شيللا أمامه! تمالك أعصابه وقال: يالها من مفاجأة، كيف حالك يا شيللا؟ عانقها وقبلها في جبينها!
- على ما يرام هل هي مفاجأة سعيدة؟
- طبعاً. هل تناولت العشاء أم نتناوله سوياً الآن؟

- ولم لا نتناوله في الخارج؟ أنا سئمت من المنزل أنا هنا منذ العاشرة صباحًا!
- شيللا أنا آسف، أنا مرتبط بموعد في التاسعة ولا أستطيع إلغائه؛ لم أكن أعرف أنك قادمة..
- هل الموعد مع مسز نهي؟
- أسقط في يد مصطفى ولم يعرف بم يجيب.
- تردد قليلا ثم قال: ومن أين عرفت مسز نهي؟
- كنت اليوم في كرويدون ورأيتها. هي جميلة جدًا بلا شك.
- قالت ساخرة.
- ألم يخبرك من أخبرك بأنها قرييتي؟
- قال لي وقالت لي ولم أصدق: ابنة ابنة خالتك، وتسخر جيشًا لخدمتها؟
- شيللا لا داعي لهذا الكلام، أسألي الجيش الذي سخرته من تكون مسز نهي وهم سيحييونك. انتهى الأمر، ولكن ما يجب أن أتحدث فيه الآن هو
- ماذا قلت لنهي؟ هل أخبرتها أننا أصدقاء؟
- بكل تأكيد.
- ألا تعرفين تقاليدنا؟ لم يكن من اللائق أن تذهبي، ولا أن تقولي ما قلت.
- أنا آسفة، ولكن تغيرك معي الفترة السابقة ومعرفتي بوجود أنثى فيكرويدون جعلني أتصرف هكذا. آسفة مرة أخرى.
- لا عليك، أنا بالفعل على موعد مع نهي في التاسعة لمناقشة أمر يعينها

وإذا أردت أن تأتي معي فلا مانع وستكتشفي بنفسك نوع العلاقة بيننا.

- أمسك مصطفى بشعرة معاوية.
- لا داعي سأذهب للتسوق وعندما تنتهي ستجدينى هنا.
- أنا أصدقك لأني أريد أن أصدقك.
- لأ. صديقي لأنها الحقيقة. مصطفى رضوان ليس بحاجة لأن يكذب.

في التاسعة، كان مصطفى يدق جرس الباب متوقعًا أن تفتح له
نهى كالمعتاد في أبهى صورة. وجد أمامه مسز طومسون، رحبت
به وقالت: نهى في غرفتها، سأناديها، بعد دقيقتين، خرجت نهى
بملابس المنزل، وشعرها على هيئة ذيل حصان. فوجيء مصطفى.

- نهى ماذا حدث؟ هل نسيت الموعد؟ أم أنك مريضة؟
- حاولت نهى الابتسام وقالت:
- لأبداً، ولكني علمت أن عندك ضيوف فقلت ربما لن تستطيع الحضور.
- نهى أنت تعلمين جيداً أنه لو لم أكن في نيتي الحضور لكنت قد اتصلت
للاعتذار. ليس هذا هو السبب. هل ضايقتك المغفلة «شيللا»؟
- إطلاقاً.
- إذا ارتد ملابسك، لو سمحت.
- ألن نتأخر؟ ألا يمكن أن نؤجل الخروج ليوم آخر؟
- نهى هذا « طلب شخصي مني » أرجوك ارتد ملابسك.. أنا مخنوق
وأريد أن أخرج.

- حاضر. استدارت نحى وهي منفرجة الأسارير، وراحت وهي تكاد ترقص تفتح دولابها وتقلب في ملابسها لتنتقي أجمل ثوب، بينما كان مصطفى يحتسي فنجاناً من القهوة ويدخن سيجارة في الصالة.

- ماذا ستأكلين؟ قال مصطفى لنهى وهو ممسك بقائمة الطعام.
- أى حاجة، حضرتك اختر لي.
- نحى هو أنت زعلانة من حاجة؟ أنت متغيرة.
- لا أبداً، ولكن ربما أحس اليوم بالذات أنني بالفعل عبء وأني بدأت أسبب المشاكل لك.
- أنت مصرة إذن على هذه الجملة «أنا عبء» ليت كل الأعباء تكون مثلك. أنت لئيمة، أنت تكررين الجملة لتسمعي مني مرة أخرى.
- «أنت الشيء الجميل في حياتي الآن» وضحك.
- شكراً، قالتها بالفرنسية.
- نحى، سأتكلم في نقطتين الأولى: أنا بشر، إنسان عادي، ولم أكن طوال السنوات الماضية راهباً أو قديساً و « شيللا» صديقتي وتصرفها معك تلقائي وتصرف أنثى مع أنثى. وإن كنت تظنين للحظة واحدة أن غضب « شيللا» أو رد فعلها يمكن أن يهز شعرة عندي، فأنت مخطئة ولم تعرفيني بعد. لا شيء عندي يمس المبدأ، النقطة الثانية -وهي الأهم- أنني لدي اقتراح وقد يكون بداية لتصحيح الأوضاع بالنسبة لك، ولكنني لن أتكلم قبل أن تطلبي الطعام لنفسك ولي، فأنا اليوم سأخضع لذوقك. ثانياً: يجب أن تعودتي لطبيعتك وابتسامتك الجميلة.

ابتسمت نحي ابتسامتها الجميلة وطلبت من الجرسون طبقين من المعجنات، وقالت لمصطفى: أرجو أن يحوز اختياري إعجابك يللا بقى تكلم.

- تذكرين يوم سألتك ماذا تغنين هذه الأيام فأجبتني: أغاني وطنية وضحكنا سوياً ؟ الحقيقة أن ردك هذا أوحى إليّ بفكرة قد تكون طيبة، أنت محتاجة أن تعودى للناس بالتدريج، وبنعومة. والكثيرون يعرفون أنك خارج مصر وربما يعرفون القصة كلها. فلو عدت للناس بعدة أغاني منتقاة بعناية تتحدث عن الغربة والشوق والحنين للوطن والأهل ربما سيجد هذا صدى عند الناس، فلا شك أنك تعلمين الأعداد الهائلة للمصريين في الخارج الذين يكدون ويتعبون من أجل لقمة عيش شريفة لم يجدوها في بلدهم -لظروف معقدة- ولو وضعنا وسط هذه الأغاني أغنية أو أغنيتين معروفتين لسيد درويش مثلاً أو لغيره، ولكن بتوزيع جديد، فسيكون هذا عملاً فنياً جيداً.

- لا تظني أنني أحاول أن أكون فناناً أو مبتكراً، إطلاعاً، لقد طرأت هذه الفكرة إلى ذهني بحكم التقائي في اجتماعات الجالية المصرية بمصريين موهوبين، يعبرون عن أنفسهم بتلقائية منهم الشعراء ومنهم الملحنين وغيرهم.

- مثلاً من كام يوم لفت نظري شاب يقيم هنا منذ ثلاث سنوات وعنده موهبة الشعر... ألقى قصيدة جميلة، للأسف لا أتذكر إلا مطلعها

- يقول: البعد مش مسافات... البعد قلب بعيد

- والفرح مش ضحكات... الفرحة قلب سعيد

- أيه رأيك في اقتراحي؟ أرجو أن يكون مغزاه قد وصلك.

- الحقيقة أنه اقتراح ممتاز، ولكن هل مساحة صوتي تتحمل هذا العمل الفني؟
- اسمعي أنا لن أقول لك أنك أم كلثوم أو شادية، ولكني كمستمع قديم أرى أن صوتك دافئ وجميل ومختلف. صحيح أنت بخلت عليّ بسماعه على الطبيعة، ولكن... .
- ولكنك لم تطلب سماعه.
- مهدت لذلك فقلت أنك تغنين الأغاني الوطنية.
- حاضر، يومًا ما سأسمعك إياه.
- المهم لست أنا أو أنت من سيحدد مساحة صوتك، ولكن «المتخصصون» فكما قلت لك أعرف الكثيرين منهم، سنجلس معهم ونسمع منهم ونبدأ العمل المهم أنت موافقة؟
- موافقة .. ولكن تكاليف الإنتاج؟
- هذا موضوع سابق لأوانه. دعي ترتيب الأمور لي. الطعام وصل. وضع الجرسون الطعام أمامهما وانصرف.
- أعذربي أنا اشتقت لهذا النوع من الطعام فجاءتني الفرصة اليوم.
- بالهناء والشفاء. لا تنسي موعدنا الأربعاء القادم في منزلي بلندن، سنلتقي بعلي فريد المحامي ولا بد أن يكون معك جواز سفرك وبطاقة الرقم القومي.
- إن شاء الله. هو حضرتك عندك بطاقة رقم قومي؟

- لأ طبعًا مالحقتهاش، لكن عندي البطاقة الشخصية العادية والتي لا قيمة لها الآن.

- هو حضرتك مخاصم مصر؟

- نظر في عينيها وسبح في بحر العسل وقال: مصر هي اللي مخاصماني مع إني ماعملتلهاش حاجة. ثم قال ليغير الموضوع:

- لو عندك وقت يا نهي ادخلي على النت، موقع نزار قباني، وابحثي عن قصيدة «الحب والبتول» أعتقد أنها تهمك وأيضًا قصيدة «صباح الخير أيها المنفى» فهي تهمنا جميعًا هنا. لولا صعوبة تلحين القصيدتين لتهافت المطربون عليها. صعب جدًا تلحين عبارة مثل «ويا من صارت الزوجات جزء من هواياتك» وفي القصيدة الأخرى: «لم تخترعني دولة أو سلطة... فأنا اخترعت قبيلتي وبلاديا»

- شوقتي. سأبحث عنهما الليلة.

دخل مصطفى منزله في حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف صباحًا، رن الجرس ثم فتح بالمفتاح، وجد شيللا جالسة أمام التلفزيون تتابع فيلم «أكشن» وهي ترتدي ملابس النوم.

- مساء الخير.

- هاي.

لم يدر مصطفى لماذا أحس ساعتها بالشفقة تجاه شيللا أحس أنه لا ذنب لها فيما يحس به من تغيير ناحيتها، إنه لم يحبها قط في أي يوم من الأيام، ولكن

كان يستريح لوجودها وكانت تشعره ببعض البهجة في الحياة شبه «العسكرية» التي يحياها، كما أنها كانت تثير الرغبة فيه بطريقة واضحة، فما الذي حدث؟ لا شك أن السبب هو نهي خطاب لا شك في ذلك. قال مصطفى لنفسه.

- كيف كان يومك؟
- معقول. كيف قضيت أنت يومك؟
- تسوقت قليلاً وعندما شعرت بالجوع أكلت بيتزا.
- لو مازلت جوعانة، أتمنى أن تشاركني الطعام الآن.
- ألم تتناول الطعام بالخارج؟
- كلا.
- لا يدري مصطفى لماذا كذب؟ لماذا يمسك بشرة معاوية مع شيللا؟ إنه يمكنه أن ينهي العلاقة الآن، كان في الماضي يستطيع أن ينهي أي علاقة في الوقت الذي يشاء. لماذا رق قلبه ومنذ متى؟
- أجيبي هل ستشاركني أم لا؟
- سأشاركك. قالت شيللا مبتهجة.
- إذن هيا إلى المطبخ لنرى ماذا أعد لنا كومار الفاشل؟
- وجدا دجاجة جاهزة فاقتسماها وتصنع مصطفى أنه يأكل بينما كان في الحقيقة يأخذ قطعاً صغيرة من الدجاجة بأسنانه ويلوكها في فمه.
- دخل مصطفى الحمام ليغسل يديه فوجد لفافة صغيرة بجوار الحوض.

قال لنفسه: الحظ يخدمني، لقد أفلتت من لقاء شيللا اليوم.

- سواء كانت خدعة منها لعقابي مثلاً أو أنها الحقيقة، المهم أنا براءة اليوم.

- ألو كارلا؟
 - نعم.
 - أنا دينو كيف حالك؟
 - أوكي مستر دينو.
 - ما الجديد لديك ؟
 - شيللا موجودة في لندن، وتقيم في منزل مصطفى.
 - هل لديك رقم تليفونها المحمول؟
 - نعم هاهو، ولكن يمكنك الاتصال بها في منزل مصطفى الآن فهي لا تخرج قبل العاشرة صباحًا.
 - وما أخبار الخرائط والأسطوانات؟
 - صعب صعب جدًا الحصول عليها؛ إنه شديد الحرص وثعلب ماهر، ولكني سأحاول.
 - فلنكن على اتصال. وشكرًا على معلومة شيللا.
- *****
- تشرفت بمعرفتك يا مستر نزياس. هأنذا قد بدلت خططتي لهذا اليوم للقاءك بعد مكالمتك، ولم تتكلم حتى الآن في أي موضوع مهم.
 - مهلا يا شيللا، إن فتاة في جمالك يمكن أن تسلب لب رجل عجوز مثلي، فدعيني أستعيد توازني أولاً ثم أتكلم.
 - أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة قالت شيللا ضاحكة أرجوك تكلم.

- باختصار أنت تدركين بلا شك أهمية الرجل الذي تقيمين في منزله؟
- نعم هو عالم كبير.
- ليس هذا فقط، بل إنه يملك مفاتيح كنز من الثروات في غاية الأهمية للبشرية كلها.
- حقًا؟
- نعم، والمؤسف أنه يرفض حتى الآن أن يتم استغلال هذا الكنز. بلاده الفقيرة لا تستطيع استغلال الجزء الموجود تحت ترابها وحتى إن كانت تستطيع فهي أساسًا لا تدرك أهميته. عرضنا عليه العمل معنا فقال: دعوني أفكر. ونحن نعلم أنه يكسب وقت فقط وأن في نيته الرفض.
- عرضت عليه دولة عربية غنية العمل لديها ليدلها على ثرواتها ورفض أيضًا. نحن لا نعرف بالضبط فيم يفكر هذا الرجل.
- ومن أنتم يا سيد نزياس؟
- شركة متعددة الجنسيات.
- إجابة دبلوماسية.
- فليكن.
- وما المطلوب مني؟
- شيء بسيط، نريد أن ندخل عقله ونعرف ما الذي ينوي أن يفعله؟ لمن يخفي هذا الكنز؟ هل لبلاده علاقة بهذا؟ أما إذا تمكنت أن تعرفي كلمات السر لدخول الكمبيوترات الخاصة به، فسيكون هذا إنجاز خطير والأخطر أن تعرفي مكان الخرائط الهامة التي يحتفظ بها والموضوعة

على أسطوانات مدججة أو فلاش ميموري.

- باختصار تريدني جاسوسة على مصطفى؟
- لا تسمها جاسوسية، سمها خدمة للبشرية وحماية لها من عالم أناني يريد أن يحتفظ بسرّه لأطول فترة ممكنة حتى يبقى محط الأنظار.
- وعمومًا، المكافأة مجزية مائة ألف جنيه إسترليني، ولكن جزاء الخيانة شديد أيضًا، هذه أصول اللعبة.
- وإذا رفضت؟
- أنت أعقل وأذكى من أن ترفضني.
- أعطني الوقت الكافي لأرى ماذا سأفعل؟
- هذا رقم تليفوني المحمول اتصلي بي حين يجد جديد وأنا سأتصل من حين لآخر.

- مساء الأربعاء، أوصل سنج نهي ومسر طومسون إلى منزل مصطفى كان في انتظارهما ومعه علي فريد المحامي، دخلت مسر طومسون المنزل ومن ورائها نهي ترتدي معطفًا فاخرًا خلعتّه بمجرد دخولها.
- أهلاً نهي هانم. قال مصطفى.
 - أهلاً دكتور مصطفى.
 - الأستاذ علي فريد المحامي الكبير - مدام نهي.
 - غنية عن التعريف، تشرفت بلقائك يا مدام. بسم الله ما شاء الله. أنا

والله لا أقصد الغزل، ولكن لقد ازددت جمالاً وبهاءً.

- متشكرة جداً.
- دخلت مسر طومسون لتتفقد المنزل وترى ماذا فعل كومار في غيابها.
- مدام نهي هل وافقت على صيغة الدعوة التي سنرفعها؟ إنها دعوى نفقة، ولكننا سنراعي فيها مكانتك الاجتماعية وثناء الأستاذ جاسم
- هل تريدان إضافة شيء؟ لقد حدثني الدكتور عن مجوهرات في حوزة الأستاذ جاسم كانت ملكاً لك، فهل تريدان المطالبة بها؟
- أستاذ علي أكيد أنا أريد هذه المجوهرات، ولكن دكتور مصطفى أفهمني أنه من الصعب إثبات ذلك فليس لدي أي فواتير أو وثائق. عوضني إذن على الله.
- ونعم بالله. أعطني جواز السفر وبطاقة الرقم القومي ووقعي على التوكيل وسأتولى أنا الباقي.
- ومتى ستعطيني جواز سفري؟
- ضحك علي فريد وقال: ما تخافيش يا مدام نهي، أنا أعرف أهمية هذا الجواز بالنسبة لك، ولكنه في الحفظ والصون. دكتور مصطفى يضمني.
- ما تخافيش يا نهي، غداً يكون معك الجواز.

- والآن إلى موضوع عقود مصر. الحقيقة أن جاسم بك بالغ في أهمية هذا الموضوع، فلا أحد في نيته استغلال الشروط الجزائية. سنقوم برد العرباين -والمقدرة بحوالي ثلاثين ألف جنيه مصري- وكما أخبرك الدكتور سنحاول أن نتعاون مع المنتج الذي قابلته في القاهرة عند عودتك

بالسلامة إن شاء الله. أما المنتج الآخر فمازلت أحاول تحديد موعد معه، نهي هانم.. اسمحي لي وبالنيابة عن الكثيرين في مصر أن أعبر عن رغبتنا في رؤيتك قريباً في مصر والأهم من ذلك أن نعرض عليك أي دعم تريه مناسباً لك هنا في الفترة القادمة.

- متشكرة جداً يا أستاذ علي، مستورة والحمد لله.
- أستاذنا أنا يا دكتور مصطفى وموعداً باكر في مكتبك بعد أن أنتهي من الإجراءات.

الأستاذ علي فريد رجل في منتصف الأربعينات، ورث الحمامة عن والده، وورث أيضاً ثروة لا بأس بها ضاعفها هو بمجهوده في مجال الحمامة والسمسرة والبورصة. معروف عنه كثرة الزواج والطلاق إلا أن أخلاقياته عموماً لا غبار عليها. حاول أن يدخل في لعبة السياسة، ولكنه أدرك أن الوقت مازال مبكراً على ذلك.

والده الأستاذ محمود فريد محامي عبد الرحمن رضوان شقيق مصطفى في قضية مقتل السادات ومن هنا نشأت العلاقة بينه وبين مصطفى. الأستاذ علي فريد ليس وسيماً، ولكنه مقبول الشكل، أنيق الملبس، يعيش الحياة بالطول والعرض. قالت نهي بعد انصراف علي فريد:

- إذن فهذا هو منزلك. هل تسمح لي بتفقدته؟ آسفة هل شيللاهنا؟
- ضحك مصطفى وقال: لا. شيللا غادرت منذ يومين، تفضلي.
- هل هناك محظورات؟ أقصد مناطق عليها خطوط حمراء لا يجوز الاقتراب منها؟
- ضحك مصطفى أكثر وقال:

- نعم. توجد غرفة مغلقة بالمفتاح، لن تستطيعي دخولها
- ماشي. تفقدت نهي وحدها البيت، بدأت بالمطبخ فوجدت مسز طومسون تعد بعض الطعام مع كومار. دخلت غرفة النوم، مرتبة، نظيفة، أنيقة، لاحظت وجود المنبهات الثلاث. لفت نظرها عدم وجود مصحف أو أي شيء يشير للهوية الإسلامية لصاحب المكان. سجادة صلاة على الأقل!
- لفت نظرها أيضًا اتساع السرير وأنه مصنوع من معدن ويبدو كتحفة فنية مكانها معرض موبيليا وليس غرفة نوم عالم جيولوجيا!
- دخلت الحمام فوجدته مكانًا واسعًا يصلح لأن يكون صالة ألعاب.
- وأخيرًا دخلت المكتب أو المحراب كما تسميه مسز طومسون عندما تتحدث عن مصطفى وطقوسه. وأخيرًا وجدت نفسها أمام الغرفة المغلقة. ترى ماذا تخفي داخل هذه الغرفة يا مصطفى؟ قالت نهي لنفسها.
- بيتك رائع.
- حقيقي؟ أعجبك؟
- طبعًا. أحسبك على ذوقك الرفيع يا دكتور.
- هيا تناول العشاء ونرى ماذا أعدت مسز طومسون لتجربه فينا.

- جلست نهي على الكنبه وجلس مصطفى على حافتها الأخرى وبید كلٍ منهما كوب نسكافيه يشرب منه على مهل.
- على فكرة أنا قرأت قصيدة الحب والبتروول. نزار جريء، جريء جدًا.

كان من الممكن أن يخسر الكثير بعد نشر هذه القصيدة.

- ربما هو يعلم أن المقصودين من القصيدة لا يقرأون على الإطلاق!
- ولكن من الممكن أن يخبرهم أحد.
- على العموم نزار جريء فعلاً. ألم يقل في عبد الناصر «قتلوك يا آخر الأنبياء»
- يجد قال كدة؟
- وقال على لسان فدائي فلسطيني: مشيئة الأقدار لا تردني أنا الذي أغير الأقدار!
- يخرب بيته!
- نهى لماذا لم تسأليني: ماذا تحوي الغرفة المغلقة؟
- أحترم خصوصياتك.
- لم يدخل أحد هذه الغرفة أبداً. سأعطيك مفتاحها، أدخلها وتفقدوها، ولكن لا تبدي ترتيب أي شيء فيها، وسأذهب أنا وسنج في مشوارهم. ولا تخافي، مسز طومسون هنا ولكن لا تدخلها الغرفة.

ركب مصطفى بجوار سنج في السيارة الكبيرة. وصلا إلى محطة مترو أنفاق اسمها «نايتس بريدج» أو جسر الفرسان. نزل مصطفى وطلب من سنج أن يأتي إليه بعد ربع ساعة بالضبط، أتى رجل ذو ملامح مصرية يرتدي ملابس شتوية ثقيلة. سلم على مصطفى وقال:

- كنت أخشى ألا تأتي يا سعادة الباشا.
- أنا مواعيدي كالقطارات الإنجليزية طبعًا وليست المصرية. هل أحضرت الأشياء يا دكتور فتحي؟
- طبعًا يا سعادة الباشا. بس مش لسة شوية على «دكتور» دي؟
- يا سيدي كلها أيام وتناقش الرسالة.
- ناول فتحي مصطفى كيسًا كبير الحجم والوزن وقال:
- والله يا دكتور، لا أعرف كيف أشكرك. حضرتك أجبت رسالتي بمجرد وصولها وساعدتني عبر البريد الإلكتروني على كتابة رسالة الدكتوراة وأرشدتني على خفايا الموضوع وأسراره وأخيرًا هذه الدعوة الكريمة منك؛ التاشيرة، والتذكرة، والإقامة في لندن. هذا كثير والله.
- رسالتك يا فتحي خطيرة؛ لذا ساعدتك فيها، وللأسف أتوقع أن تناقش وتمنح بها درجة الدكتوراة، ثم تلقى على الرف مثل آلاف الرسائل ودون أن يدرك أحد أهميتها وقيمتها لبلدك وللإنسانية. لذلك دعوتك وسأخذ رسالتك وأضيف منها إلى معلوماتي، فتكتمل الصورة ولكن كما قلت لك قبل ذلك، لا تتكلم في هذا الموضوع. انساه.. فلم يحن الوقت بعد.
- متشكر جدًا يا فندم.
- يلا. روح وحانكون على اتصال.

فتحت نهي باب الغرفة المغلقة بالمفتاح. بحثت عن زر النور ووجدته بصعوبة. كان الضوء باهراً وكانت مفاجأة نهي كبيرة. كان أول ما رآته خريطة عملاقة لمصر بالألوان تحتل مساحة حائط كامل في الغرفة الكبيرة، يا إلهي. لم ترَ أبداً خريطة بهذا الجمال، إن الواحها تكاد تنطق؛ البحر أزرق والنيل باذنجاني للتفرقة، والصحراء صفراء والدلتا خضراء والجبال بنية ومجسمة.

طبعاً كانت هناك تفاصيل ورموز لم تفهم منها شيئاً. كانت الأسماء واضحة ومكتوبة بالعربية، أحسست كما لو كانت تنظر لمصر منطائرة أو قمر صناعي! على حائط آخر وجدت مساحته مقسمة إلى أجزاء، وكل جزء يحتوي على كمية من الصور بعضها صغير وبعضها كبير وبعضها ضخم، يبدو أن هذا ركن السياسيين؛ هاهي صورة رجل بلحية لم تعرفه، اقتربت وفكرت فرجحت أن يكون محمد علي. تحتها صورة سعد باشا زغلول وتحتها صورة محمد نجيب ثم ناصر. يا إلهي ها هي صورة السادات وهو يدخن البايب، وها هو حسني مبارك بملابسه العسكرية.

انتقلت إلى ركن آخر، فوجدت صورة ضخمة لأم كلثوم، وبجوارها صورة أصغر لعبد الوهاب، وتحت الصورتين صوراً أصغر لحليم وعبدالمطلب وفريد الأطرش ومحمد فوزي، وها هي شادية وفايزة أحمد ونجاة.

بعض الصور في برواز والبعض الآخر بدون. بجوار هذا الركن مباشرة وجدت ركناً آخر على قمته صورة لسيد درويش وبجوارها صورة رجل لم تعرفه، ثم صورة عبد الوهاب مرة أخرى، ثم السنباطي وزكريا والقصبجي وبلغ والموجي والطويل وغيرهم، ثم يبدو أن هذا ركن الكوميديين، ها هو الريحاني وتحت صور اسماعيل ياسين وحسن فايق والمهندس وعادل امام وزينات صدقي وآخرين

لم تتعرف عليهم. هاهو ركن آخر مختفي على قمته صورة عمر الشريف وبجانها صورة فاتن حمامة وتحتهما يوسف شاهين وصلاح أبو سيف، ثم مجموعة من الصور الصغيرة عرفت منها: ليلي مراد وكاريوكا ويوسف وهي وشكري سرحان ويحيى شاهين ثم هذه صورة سعاد حسنى وبجانها

نادية لطفى وشويكار ومديحة كامل وهامن الأصغر سنًا؛ منى زكي ومنة شلبي وحنان ترك يا إلهي ماهذا؟ إنها صورتي! يالك من محامل يا دكتور مصطفى.

انتقلت إلى ركن آخر ها هو دكتور مجدي يعقوب ومحمد غنيم وأحمد عكاشة ورفعت كامل وأحمد شفيق. ما هذا المتحف يا مصطفى؟ إنك لم تترك مجالاً إلا ووضعت صوراً لأقطابه! هاهي صورة كبيرة للشيخ الشعراوي وهناك صورة مؤطرة لنجيب محفوظ يبدو أن له مكانة خاصة عند مصطفى، وهاهم الحكيم وطه حسين والعقاد وهاهو حسنين هيكل وأنيس منصور، وهاهو هيكل باشا والمازني وهاهو إحسان عبد القدوس ووالدته روز اليوسف ويوسف السباعي.

في ركن آخر صورة رجل لا تعرفه وتحتة صورة سميرة موسى ثم أحمد زويل وحسن فتحى. يا إلهي إنها صورٌ لا تعد ولا تحصى. تركت الأركان واتجهت إلى المكتبة الكبيرة وجدتها مقسمة: قسم للكتب وقسم للأسطوانات والكاسيتات والأسطوانات المدججة وشرائط الفيديو اتجهت لقسم الغناء وجدت مئات الشرائط معظمها لأم كلثوم.

ماهذا؟ جددت حبك ليه، يا ظالمنى، رق الحبيب، ربايعات الخيام، وفي القسم الأسفل ألف ليلة، بعيد عنك، أنت عمري. وجدت على أحد الرفوف -منفردًا- غطاء أسطوانة مدججة مكتوب عليها بخط اليد «مادام تحب بتنكر ليه» والأسطوانة غير موجودة!، وهذه أغاني حلیم، و عبد الوهاب

وهذا ركن الأفلام: غزل البنات، رد قلبي، إني راحلة، الناصر صلاح الدين، العار، الرصاصة لا تزال في جيبي، الإرهاب والكباب، المنسي، سهر الليالي.

انتقلت إلى الكتب مصحف كبير مذهب وعليه كارت صغير مكتوب عليه «هدية من عصام شعبان» وها هي كل تفاسير القرآن الكريم المعروفة، وها هي الشرائط الشيخ رفعت وعبد الباسط والطبلاوى وهذه حلقات الشيخ الشعراوى، عبقریات العقاد، ثلاثية محفوظ، حياة محمد، الوعد الحق، فديتك ياليلي، الساعة تدق العاشرة، لا أنام، أحست نهي بالدوار من سرعة دوران عينها بين المعروضات، استراحت قليلاً على كرسي أنيق يبدو وحيداً في الغرفة ولفت نظرها وجود سرير. تحولت بعينها في أرجاء الغرفة وهي جالسة تحت على البعد ركنًا بعيداً، اتجهت إليه يبدو أنه الركن العائلي فها هو مصطفى على ما يبدو وهو شاب يرتدي ملابس كرة القدم، وها هي صورته بالبدلة والكرافته، ثم من هذا؟ والد مصطفى؟ يوجد شبهه. و بجانبه صورة سيدة مصرية تقليدية تبدو على وجهها علامات السباحة والطيبة لا شك أنها والدته. أما هذه فبلا شك أخته؛ لأنها موجودة في صورة أخرى بملابس الزفاف مع عريسها.

وجدت صورة شاب يبدو حزيناً وأكثر وسامة من مصطفى، يبدو أنه المرحوم عبد الرحمن شقيق مصطفى، يااه هذا ما كانت تبحث عنه صورة كبيرة وحدها هناك، هذه سناء بلا شك، هي كما وصفها: جميلة ورقيقة وعيناها العسلتان تبدوان بوضوح في الصورة الملونة، أسفل هذا الركن، منضدة صغيرة عليها ثلاث ألومات. راحت تقلب في الصفحات وجدت صوراً عائلية لمصطفى وصوراً له منذ الطفولة.

تعبت فجلست على الكرسي الأنيق تھضم ما شاهدت.

ركب فتحى سالم -الجيولوجي الشاب- مترو أنفاق لندن إلى حيث يقيم في «ايرلز كورت». دخل غرفته في الفندق الصغير، وجد زوجته أسماء في انتظاره.

- سلمت له كل شيء؟

- نعم.

- أنت لا تسمع الكلام أبدًا. تسلم لرجل غريب تعبك وشقاك طوال أربع سنوات؟

- يا سبحان الله، أنا سلمته رسالة ستنتشر وسيقرأها الجميع ولم أسلمه سرًا حرييًا.

- مادام قد طلبها فلا بد أن ورائها شيئًا مهمًا!

- هو رجل لا يتوقف عن البحث وقد طلبها لإضافة شيء إلى علمه الغزير، ثم إن حتى لو ورائها شيء مهم، أليس من الأفضل أن يستغل بدلًا من أن تظل الرسالة على الرف لا يستفيد منها أحد؟

- لا تنسي يا أسماء أن هذا الرجل ساعدني ولم ييخل عليّ بالجهد. يكفي هذه الرحلة التي لم نكن نحلم بها، و لم ندفع مليمًا واحدًا. لقد عرضت عليه أن يناقش رسالتي في مصر ووافق، ولكنه أكد لي أن أساتذتي هم الذين سيفضون، وسنرى.

- ربنا يعمل اللي فيه الخير.

دخل مصطفى منزله، أخبرته مسز طومسون أن نهي مازالت في الغرفة المغلقة. طرق الباب ودخل فوجد نهي لا تزال جالسة على المقعد الوحيد في الغرفة تنظر إلى لا شيء، ابتسمت في وجهه وقالت:

- حمدًا لله على السلامة.

- هل تعبت فجلست؟

- نعم. ما هذا يا دكتور؟ ما هذا المتحف الرائع الذي تخفيه في منزلك؟ لقد بهرتني! كيف استطعت أن تجمع هذا الكم الهائل من الصور والشرائط والأسطوانات والكتب وال... ..

- هذا جهد عشرين سنة أو أكثر.

- بصراحة أنا فوجئت. كنت متصورة أنك قد قطعت كل صلة لك بمصر. وعلى فكرة، شكرًا على المجاملة الرقيقة بوضعك صورتي وسط المشاهير.

- توجد عندي أيضًا تماثيل ومسلات - بعضها أصلي - ولكني مازلت لا أعرف مكانًا أضعها فيه. ربما سأضعها في كرويدون. قالها وجلس على السرير المنصوب عشوائيًا في الغرفة.

- دكتور مصطفى أريد أن أسالكما الذي جعلك تنفق الوقت والجهد والمال من أجل صناعة غرفة كهذه، وأنت الرجل العلمي والعملية المشغول أبدًا؟

- سكت مصطفى ثم قام من السرير واقترب من مقعد نهي وقال:

- خوفي من أن أكون مسخيًا!

- لا أفهم.

- المسخ مخلوق مشوه، ناقص، غير متجانس، يصعب إطلاق اسم عليه لأنه مسخ! لقد جبت أركان الدنيا وزرت معظم بلاد العالم، والتقيت بمصريين وعرب وعشت معهم وسمعتهم يتكلمون ورأيتهم يعيشون في هذه البلاد، وللأسف وجدت عددًا كبيرًا منهم وقد أصبح مسخًا، يعيش الواحد منهم في البلد وشكله مصري مثلاً، وجيناته مصرية وموروثه الثقافي مصري، ولكنه يريد أن يتأقلم مع المجتمع الذي يعيش فيه فيحدث التصادم أو الصراع وينجم عنه شيء من اثنين: إما أن ينصهر تمامًا ويدوب مع المجتمع الجديد، أو يظل بهويته فيصبح جسمًا غريبًا في المجتمع. بعض الناس اخترع حلاً آخر: أن يمسك العصا من المنتصف، فيحاول أن يندمج مع المجتمع ويظل على حاله في أسرته أو مجتمعه الصغير. وفي كل هذه الأحوال يمكن أن نجد المسخ، مثال لذلك، سنفترض شابًا مصريًا يعيش في أمريكا أو الدانمرك يصادق الفتيات ويسهر معهن ويشرب معهن ويعاشرهن و قد يتزوج منهن، ثم ينجب طفلة، فتنشأ في هذا المجتمع وتذهب للمدرسة وتعيش تقاليد هذه البيئة. ثم فجأة يتذكر أخونا هذا أنه مسلم أو مسيحي وأنه من بيئة تقدر شرف البنت وتحرم علاقاتها قبل الزواج، فيبدأ من جديد في صياغة أفكار البنت المسكينة والتي لا تفهم ما يقول، فإما أن تنصاع له وتعيش في ثوب غير مناسب لها، أو تتمرد عليه فيعيش أنعس أيام حياته. لقد كنا في القرن الماضي نساfer للبلاد العربية نعلم أبناءها ونعالج مرضها ونؤسس ونبني منشآتها، وكنا محل ترحيب منهم والقذوة لهم في كل شيء، وكانوا يلتقطون كلامنا ويتعلمون لهجتنا. أما ما يحدث الآن فشيء غريب يذهب المدرس مثلاً إلى هناك ليجمع المال ويعود في الأجازة بعد عام، ينطق ألفاظهم ويرتدي ملابسهم، ويشيد بالنظام والقانون هناك ولا يطبقه في مصر! أليس هذا مسخًا؟

- نهى ألم تسألني نفسك مرة: لماذا لم أتزوج أنا حتى الآن؟

- أكيد سألت نفسي.
- لم أشأ أن أتي لهذه الدنيا بمسوخ جديدة. تخيلي مثلاً لو تزوجت شيللا بخلفتها الشيوعية السابقة وحاضرها الرأسمالي المتطلع الحالي وأنا المصري العربي المسلم. هي طبعاً التي ستعتني بالأطفال وتسقيهم المعرفة. ماذا سيكون هؤلاء الأطفال إلا مسوخاً؟ لقد صنعت هذه الغرفة، وأحياناً أنام على هذا السرير حتى لا أنسى من أنا. حتى لا أتحوّل إلى مسخ. وإن كان البعض يراني مسخاً بالفعل!
- سكت مصطفى. فكان لابد لنهي أن تتكلم لإنهاء هذه الحالة.
- ولكن يا دكتور، أليست تبالغ بعض الشيء؟ يوجد الكثير من المصريين و العرب يعيشون في الخارج ويتأقلمون مع مجتمعاتهم الجديدة ويحتفظون بهويتهم ولا يتحولون إلى مسوخ. أنا أعرف الكثيرين.
- معك حق وإن كنت أعتقد أن هذا استثناء. نهي، كان اليوم متعباً بالنسبة لك؟
- جداً ولكن كان مفيداً جداً جداً.
- ليلاً، سنج سيوصلك لكرويدون وغداً سأسلمك جواز سفرك بنفسي مساءً. كانت هذه طريقة لطيفة لأخذ موعد منها!

أدخلت كارلا علي فريد إلى مكتب مصطفى.

- صباح الخير يا باشا، لقد أتممت الإجراءات الممكن إجرائها من هنا،
وتفضل هذا جواز سفر نهي.

- متشكر يا أستاذ علي.

- دكتور مصطفى، اعذرني فيما سأقول ولا تعتبره تدخلاً في شئونك -لا
أسمح به أبداً لنفسى-ولكنه مجرد سؤال.

- تفضل.

- هل فعلاً علاقتك بالسيدة نهي، علاقة رجل يمد يده لامرأة من بلاده
في مأزق؟ أم هناك شيء آخر؟

- ابتسم مصطفى نصف ابتسامة وقال: هي بالفعل علاقة رجل يمد يده
لامرأة ليساعدها ليس إلا. وأظنك رأيت بنفسك كيف نتعامل بطريقة
رسمية.

- إذن فأنا أقصدك فيخدمة. بصراحة أنا أعجبت بنهي من أول نظرة،
وأريد أن أصل إليها بالطريق الوحيد الذي أعرفه: الزواج على سنة الله
ورسوله، وبصرف النظر عن أي شيء فأنا أعتقد أنني قد أكون الرجل
المناسب لها في هذه المرحلة؛ لأنني يمكنني أن أخرجها وأخرج أمها من
كل القضايا. كما أنني بعلاقتي يمكنني أن أعيدها للفن ويمكن أن تكون
أكثر نجاحاً وشهرة. وأنا مستعد لكل طلباتها وإن كنت طبعاً على
مستوى أقل من مستوى جاسم، فما رأيك؟

نظر مصطفى إلى وجه علي، ثم نظر إلى فتاحة الخطابات على مكتبه
وقال لنفسه: إن أفضل وظيفة لهذه الفتاحة «الديكور» هي أن تنغرس

في قلب علي فريد حالاً، تمالك نفسه وابتسم نصف الابتسامة وقال:

- طبعاً أنت حر ويحق لك أن تفكر هذا التفكير، ولكن ما علاقتي أنا بهذا الموضوع؟

- سعادتك تحاول إقناعها بأن هذا في مصلحتها.

- على بك. إن النساء، وبالذات أنثى مثل نهي لا تحب هذه الطريقة.

الأفضل أن تفتحها أنت وإذا سألتني فسأجعل الكفة تميل ناحية القبول.

- إنه ثعلب ماطر كما وصفته كارلا.

- خلاص، أنا سأعرض عليها الأمر اليوم، ولكن كما وعدتني ستساعدني.

- بكل تأكيد، ولكن معذرة يا علي بك إذا لم توافق؟ هل سيؤثر ذلك على موقفك من قضيتها ومساعدتها؟

- دكتور مصطفى، لست أنت من يسأل هذا السؤال. أنت تعرفني منذ زمن. لست أنا ذلك الرجل.

- أعرف ولكن فقط أردت أن يطمأن قلبي.

كانت ليلة قاسية بالنسبة لنهي؛ وصلت كرويدون في حوالي الواحدة صباحاً. حاولت أن تنام دون جدوى. كانت الجرعة قاسية هذا اليوم. كم من

الأحداث والتطورات حدثت في وقت واحد: مقابلة علي فريد ووضعه للنقاط فوق الحروف بالنسبة لورطتها، عرض مصطفى أو اقتراحه بعمل ألبوم من هنا من لندن، والأهم من ذلك ظهور مصطفى الحقيقي أمامها اليوم. لقد باح لها بالأمس بسر حياته، بل باح لها أيضاً بقصة حبه. وها هو

اليوم يظهر في صورته الحقيقية بدون قناع في غرفته المغلقة. لا يكشف رجل مثله أسرار له لأنثى لا يكن لها مشاعر خاصة. هكذا حدثت نهي نفسها.

المسألة الأماذا يمثل هذا الرجل بالنسبة لها؟ لاشك أنه يمثل شيء ويحتل مساحة قد تكون أكبر مما تتخيل، ولكن ما التصرف؟ هل تنجرف إلى مغامرة جديدة غير محسوبة مع رجل غير تقليدي؟ هل تقبل المغامرة وتتحمل النتائج مهما كانت؟ إنها الحيرة، الحيرة القاتلة. تعالى أيها النوم أرجوك والصباح رباح.

جلست شيللا في منزلها ببراغ تفكر. كانت قد قررت أن تغادر لندن بأقصى سرعة؛ حتى لا تتخذ قراراً قد تندم عليه فيما بعد، أو قراراً قد يقضي على حياتها. فأخذت أول طائرة إلى براغ. راحت تفكر في عرض مستر نزياس، مائة ألف استرليني! هل تخون مصطفى؟ هل تقدمه هدية إلى نزياس وإخوانه الذين تستطيع أن تخمن من يكونون؟ ولكن لماذا هي خيانة؟ إنه سيكسب الكثير من المال وستكسب هي وسيكسبون هم وستكسب البشرية. لماذا هي خيانة؟ ولماذا تهتم هي بقضايا بلاد أخرى؟ أثناء استغراقها في التفكير رن جرس الموبايل وكان المتحدث نزياس.

- صباح الخير أيتها الجميلة، لماذا تركت لندن فغابت عنها الشمس؟

قالت برباطة جأش: سيد نزياس أنا مضيعة طيران ولدي عمل أقوم به والتزامات هنا في بلدي. ثم إن موضوعك يحتاج إلى تفكير، بل تفكير عميق على الأقل لأجد طريقة مناسبة للوصول لما تريد. أرجو أن تعطيني الوقت الكافي.

- أوكي اتصلي بي عندما يجد جديد.

وصل مصطفى لكرويدون، فتحت له نهي الباب وكانت ترتدي ملابس كاجوال شتوية: بلوفر وبنطلون وحذاء برقبة قصيرة بدون كعب. وكان شعرها ملمومًا. بدت كفتاة تنتظر في البيت مدرستها الخصوصي.

- تفضلي يا ستي جواز سفرك، أعرف أنه حبيبك.
- متشكرة جدًا. احتضنت الجواز وقبلته قائلة: تعبت من أجل استرجاعه.
- ما أخبارك؟

ضحكت نهي واستمرت في الضحك حوالي نصف دقيقة، وعندما وجدت علامات التعجب على وجه مصطفى قالت:

- أخباري؟ أنا سعيدة جدًا اليوم عشان جالي عريس! ومش أي عريس! غني وجاهز وحايرجني من القضايا زي الشعرة من العين! وحايرجني للفن كمان!

لم يحرك مصطفى ساكنًا، ظل ينظر إلى عيني نهي وينتظر الجملة القادمة.

- مش تسألني حضرتك مين العريس؟
- مش حاسألك لأني عارفه. على فريد. وظل ينظر لعينيها.
- أكيد فاتحك في الموضوع؟
- نعم وطلب مني أن أتوسط له عندك.
- وماذا قلت له؟
- قلت أنه من الطبيعي أن يفاتحك هو بنفسه.
- و حضرتك، ما رأيك؟

- في المبدأ، أم في العريس؟
- في الاثنين، أولاً في العريس؟
- علي فريد غني ومتمكن من مهنته وسمعته لا غبار عليها وكذلك أصله ولكن لأن هذه أمانة هو تزوج وطلق أكثر من أربع مرات وله أولاد من هذه الزيجات. قال مصطفى ذلك وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.
- ورأيك في المبدأ؟
- سكت وتأمل طويلاً في عينيها.
- عايزة الحق ولا ابن عمه؟ مش احنا بنقول كده في مصر؟
- الحق طبعاً.
- بصراحة، رأيي ألا تتزوجي الآن لأنك خارجة من تجربة مازلت تعانين من آثارها حتى الآن وأنت في مفترق طرق فلا بد من التريث.
- أما ثانيًا ف.. ف... مش عارف أقول أيه .. ساعات كده بيهرب مني الكلام..
- أيوة... ثانيًا أيه؟
- ثانيًا أنا أرى أنك تستحقين رجلًا أفضل كثيرًا من علي فريد .
- قال ذلك وقطب جبينه ثم نظر للجهة الأخرى، حتى لا تلتقي عيناه بعيني نهي في هذه اللحظة.
- يعني أقول له لآ؟ قالت نهي بدلال.
- سكت مصطفى ولم يرد.

- على العموم أنا بالفعل رفضت عرضه، ولكني لم أجرحه أو أضده، فقط قلت له إن الوقت غير مناسب، وكان مهذباً وعاقلاً فلم يلح.
- فقط قال: على العموم لو غيرت رأيك فأنا موجود.
- نهي...
- ترقبت نهي باهتمام بالغ ماذا سيقول؟
- حاتعشنا إيه النهاردة؟ قالها بمنتهى الجدية بينما راحت نهي في نوبة طويلة من الضحك.
- لماذا تضحكين؟ قال وعلى فمه نصف ابتسامة.
- أبداً مفيش. أنا عندي كل حاجة، حضرتك تطلب أيه؟
- أراهن أن الحاجة اللي حاطبها مش عندك، لكن مش مهم، ممكن «سنج» يروح يجيبه، عارفة أيه؟ فول مدمس.
- عندي، في ظرفعشر دقائق حاتدوق أحلى طبق فول ذقته في حياتك. بالزيت والليمون.
- أفلح إن صدق.
- حاستأذن أنا للمطبخ شوية ومعلش اشغل نفسك بأي شيء لحد الأكل ما يجهبز. شعر مصطفى بإحساس من كان يشعر بالبرد والقشعريرة ثم جاء أحدهم فغطاه بلحاف ثقيل.
- أخرج موبايله من جيب الجاكت وبحث عن اسم: سامي عنان وضغط على الزر الأخضر.
- آلو، أستاذ سامي؟

- أهلاً يا دكتور.
- نحن على موعدنا أم توجد عراقيل؟
- ربنا ما يجيب عطلة، موعدنا زي ماهو.
- سامي، مش حاوصيك، عايز عصارة إبداعك كلها معايا.
- يا فندم دي فرصتي، ومش حاضيعها ما تخافش.
- متشكر، سلام.
- بحث عن اسم حاتم كمال وضغط على الزر الأخضر.
- إزيك يا حاتم. جهزت ولا لسه؟
- جاهز يا فندم من قرون.
- لا يا شيخ؟ خلاص يبقى على ميعادنا؟
- إن شاء الله، أنا عارف أن مواعيد حضرتك مضبوطة على «بيج بن» هاها.
- سلام.
- سرح مصطفى في الماضي وظهرت أمامه خيالات من بني سويف والقاهرة والأسكندرية وتتابع ظهور أطياف والده ووالدته وسناء ومرفت وعبد الرحمن وإيفا وولياء وعلياء ومريم وآخرين وسأل نفسه: إلى أين يا مصطفى؟
- الفول جاهز. صاحت نهي فأيقظته من غفوة نابوليون.
- وضعت نهي بمساعدة روز أطباق الفول والخيار المخمل وسلطة الزبادي والسلطة الخضراء. قام مصطفى من مجلسه وجلس في مقعده على

السفرة. نظر إلى نهي بإعجاب وقال: كأني جالس عند التابعي أو عند محمد أحمد في الأسكندرية.

أخذ الرغيف البلدي واقتطع منه جزءًا كبيرًا، وكما فعل مع البامية صنع وذن قطرة وراح يغمس الفول من صحنه. انتبه إلى أنّ نهي لا تأكل. قام من مجلسه وقال:

- أنا حاقوم لأنك مش بتاكلني.
- لا لا أرجوك أنا حاكل خلاص.
- جلس وعاود التغميس من جديد.
- بدون أي مجاملة، هذا الفول لا يفرق أي شيء عن الفول الذي كانت تصنعه أمي، يعني أحلى فول في الدنيا.
- بالهنا والشفاء.
- وعشان شطارتك دي. أعلن لسعادتك أنني اتصلت الآن بالملحن سامي عنان والشاعر العبقرى حاتم كمال وأكدت معهما على الموعد، سيحضرنهم «سنج» إلى هنا يوم الاثنين صباحًا ولن أكون موجودًا لأترككم على حريتكم. أؤكد عليك. صحيح أنا مقتنع بهما ولكننا نفعلي أيشيء أنت غير مرتاحة له. إذا أعجبتك الألحان غنيها وكذلك الكلمات. لا تجاملي أحدًا؛ هذه فرصتك ومستقبلك.
- ولكن أرجوك أعطني خلفية عنهما؛ فأنا لم أسمع بهما من قبل.

- سامي خريج زراعة ويعمل هنا في إحدى مصانع الألبان. رفض والده أن يلتحق بمعهد الموسيقى، فدرس بالقسم الحر و جاء إلى هنا بسبب البطالة في مصر ورغبة منه في الحرية وأن يمارس هوايته كما يشاء. و سترين أنه موهوب. أما حاتم فصعلوك. لا أقصد المعنى السيء، هو

خريج خدمة اجتماعية، وكان عاطلاً في مصر. واستقدمه أحد أقاربه إلى هنا يتنقل بين الوظائف وبين النساء، ولكنه يملك موهبة شعرية عامية فذة. لا تقلقي من عدم شهرتهما، فالموجي عندما لحن «صافيني مرة» لم يكن يعرفه أحد وكذلك مؤلف الأغنية. و «رولنج» كاتبة «هاري بوتر» بدأت الكتابة لتسلي نفسها ثم أصبحت أشهر كاتبة في العالم!

- أنا واثقة في حكمك على الناس.

- أخبار ماما أيه يا نهي؟

- بخير. وافقت على الحضور إلى هنا، ولكن ستؤجل الزيارة قليلاً لأن لديها بعض المشاغل في القاهرة. ومين عارف يمكن أنا أرجع قبل ماتيجي!

- ياه! ترجعي القاهرة؟ ومين يأكلني الملوخية والبامية والبول المدمس؟

- أنا برضه. حضرتك تيجي مصر، وكل يوم حأعزمك. أنت لم تذق طعام ماما. حاجة تانية خالص. صحيح هو مش حضرتك قلت لي جايز تزور مصر قريباً؟

- نهي الأيام القادمة سيكون فيها الجديد والخطير بالنسبة لي وبالنسبة لك، مفترق طرق. دعي الأيام تجيب على الأسئلة.

- خوفتني يا دكتور. خير؟

- ولماذا الخوف؟ ألا يمكن أن يحمل الجديد الخير؟ لماذا نحن المصريون نخاف دائماً من الغيب؟ لماذا لا يكون الغيب هو الخير؟ قال ذلك وهو نفسه خائف من الغد.

- خليها على الله.

- سأستأذن الآن.
- لسة بدري يا دكتور؟
- معلهش أنت عارفة طقوسي.
- حضرتك أسعدتني بزيارتك اليوم.
- وحضرتك أسعدت أيامي كلها. وضغط على يدها وهو يودعها.

- وصلت يا سيدي من عند حبيبك؟ قال الدكتور سعد الشيمي، رئيس قسم الجيولوجيا بكلية العلوم لفتحي سالم.
- أيوة يا فندم. الحقيقة كانت رحلة رائعة. والدكتور مصطفى شخصية غير تقليدية ولقد أكرمني وزوجتي آخر كرم.
- ماشي يا سيدي، استلم شغلك وابتدي رتب للمناقشة.
- بمناسبة المناقشة يا فندم، دكتور مصطفى أخبرني أنه لا مانع عنده أن يجيء لمناقشة رسالتي إذا وجهت إليه الدعوة، فما رأي سعادتك؟
- يا إلهي. إنك تطاردني حتى الآن يا مصطفى؟ أربع سنوات في الكلية وأنا ألحث لألحق بك. واليوم تريد أن تأتي إلي هنا في عقر داري؟ قال سعد لنفسه.
- سنترك هذا الأمر لرأي العميد، هناك أشياء كثيرة لا تعرفها يا فتحي، اذهب يا بني.
- كان سعد الشيمي هو زميل مصطفى الذي سبقه في الترتيب في البكالوريوس فتم تعيينه بالكلية.

- قال سعد لنفسه: المفروض أن تشكرني يا مصطفى؛ لو كنت الأول وقتها لظللت في هذه الكلية وهذا البلد إلى أن تموت، تكافح من أجل محاضرة هنا أو هناك أو مناقشة رسالة لتحصل على مكافأة لا تساوي قيمة درس واحد من دروس الأبناء الخصوصية، بينما أنت الآن ملء السمع والبصر. لا أحد يتشبه بأرض هذه البلد ويفلح أبداً!

في تمام العاشرة صباحًا وصل سنج لكرويدون ومعه سامي عنان الملحن وحاتم كمال المؤلف. دخلا وجلسا في الصالة ينتظران نهي بينما كانت مسز طومسون تعد لهما عصير البرتقال، فجأة هلت طاقة من النور -حسب تعبير حاتم كمال- لم تكن إلا نهي.

- صباح الخير.

- صباح الفل. حضرتك منورة لندن. قال حاتم.

- أهلاً نهي هاتم. قال سامي.

- أولاً وقبل كل شيء لا أريد أن أثقل عليكم وأرجو ألا يكون تعاونكما معي قد تم تحت أي ضغط.

- تقصدين ضغطاً من دكتور مصطفى؟ إطلاقاً. صحيح نحن نخاف من «تكشيرته» و «زغرتة» وتقلب «موده» فهو من برج العقرب-

- ولكن الحقيقة أن الرجل عرض علينا الأمر فقط ونحن وافقنا عن اقتناع. أليس كذلك يا أستاذ سامي؟

- بكل تأكيد. أنا سمعت العاملين الغنائيين اللذين قدمتهما وأرى أن صوتك معبر ولذا سيعبر عن كلمات حاتم وألحاني أحسن تعبير.

- إذن فلنبداً العمل. هاتا ما عندكما.

تسلم جاسم الدعوى وهو جالس على مكتبه في الرياض، وتعجب كيف أن محامي محترف مثل علي فريد يرفع دعوى كهذه، وهو يعلم أنه يمكنه تجاهلها وإسقاطها بسهولة خاصة وهو هنا في بلاده. وتعجب أكثر كيف وصلت نهي إلى علي فريد وهي في مكانها في لندن وكيف تستطيع دفع أتعابه الباهظة؟ هل هناك شيء لا يعرفه؟ أمسك بموبايله واتصل بالرقم المكتوب على المظروف الذي يحتوي على الدعوى.

- ألو. أستاذ علي.

- نعم.

- أنا جاسم بن نايف.

- أهلاً وسهلاً أستاذ جاسم سعيد بسماع صوتك.

- أنا أسعد. أستاذ علي أريد أن أراك، يوجد كلام مهم أريد أن نتحدث فيه.

- أنا تحت أمرك.

- قد يكون من الصعب أن تأتي للرياض حالياً، لذا أرى أن أقابلك في القاهرة؛ سأصل خلال هذا الأسبوع، سَجِّل رقمي وسأتصل بك. أرجوك أنا سأحضر خصيصاً لمقابلتك، فأرجو أن أحظى بها.

- بكل تأكيد يا جاسم بك.

- تعجب علي فريد من أدب جاسم الجم.

ركبت نهي بجوار مصطفى في سيارته. كانا قد اتفقا على أن يذهبا للسينما في كرويدون ثم يتعشيان في أحد المطاعم لتكون هناك فرصة لتحكي له تفاصيل لقائهما مع العبقريين: سامي وحاتم. جلست نهي وأحكمت وضع حزام الأمان. وجدت بجوار راديو السيارة الأسطوانة المفقودة من الغرفة المغلقة «مادام تحب بتنكر ليه؟» أمسكت بها ووجهت إليها الكلام: أنت هنا وأنا كنت بادور عليك هناك؟ أحس مصطفى أنه مكشوف أمام هذه الدمية الجميلة!

- سبي الأسطوانة دي دلوقت واحكي لي بالتفصيل يللا.
- بس حضرتك حاتسلفها لي النهاردة وحارجعها بكرة؟
- ماشي. احك بقي.
- عباقرة يا دكتور مصطفى عباقرة! الواد حاتم ده شيطان شعر وسامي كان مستحجي فين من زمان؟ صحيح مصر ولادة، كيف عثرت على هذا الثنائي؟
- إنهم يطلقون عليهما «نجم والشيخ إمام القرن الحادي والعشرين»
- المهم. اشتغلنا أول يوم فوق العشر ساعات! أقرأ من حاتم وأختار وسامي يلحن وأنا أدندن أولاً ثم أغني. عملنا ثلاث كوبليها ككتجربة وفياليوم الثاني أكملنا أغنية كاملة وفي الثالث أغنية أخرى. أعتقد أنه خلال أسبوع سننتهي من الألبوم ونبدأ عملية التسجيل. لا أعرف كيف أشكرك، لقد أعدت إلي رويحي.
- أنا سعيد لسعادتك، لذا سيكون عشائنا اليوم فاخرًا جدًا.
- وأيضًا ستعطيني الأسطوانة.

- سكت قليلاً ثم ابتسم وقال بهدوء: حاضر.

دخلا السينما. كانت تعرض فيلماً أمريكياً حاز على الأوسكار مؤخراً. اندمج مصطفى في الفيلم، فلم تكن عنده أي مشكلة في عدم وجود ترجمة؛ فهو يتقن الإنجليزية تماماً، وحتى اللهجة الأمريكية تعلم كيف يفهمها من كثرة ما شاهد من أفلام بدون ترجمة مع إيفا الفرنسية! أما نهي فقد كانت تعاني من السينما في بريطانيا؛ فقد اعتادت في مصر أن تتابع ترجمة الفيلم ومع ذلك فقد كانت تفهم بعض الكلمات وتستنتج الأحداث من سياقها. أما هذه المرة فقد كان مصطفى من حين لآخر يوجز لها ما يمكن أن يكون قد التبس عليها.

انتهى الفيلم وعند خروجهما من السينما فوجئا بالأمطار الغزيرة ولم يكن معهما مظلة أو معطف مطر وكانا قد تركا السيارة بعيداً نسبياً، خلع مصطفى معطفه العادي وطلب من نهي أن تضعه على رأسها، أحاط بها وراحا يسرعان في المشي. أحس وقتها بنشوة عارمة. أما هي فقد كانت في عالم آخر، وصلا للسيارة وركبا. أزاحت نهي معطف مصطفى عنها وقالت: ياخبر! كان حبيقي شكلي أيه لو كل المطرة دي نزلت على رأسي؟

- أكيد كان حبيقي شكلك حلو برضه!

- لم ترد نهي وإنما أطرقت مبتسمة تنظر لأرضية السيارة.

- أخذ مصطفى فوطة صغيرة من درج السيارة وراح يجفف رأسه

- هو أنت كل حاجة عامل حسابها؟

- صمت مصطفى وابتسم ثم قال:

- فعلاً. أنا كل حاجة تقريباً باعمل حسابها، ولكن فيه حاجة مهمة ماكتتش عامل حسابها خالص وضحك.

- أيه هي؟

- لم يجيبها وقال: البرد دة محتاج شوربة طماطم. صح؟

- محتاج لشوربة عامة.

- في الأوقات دي كنا بنتفنن في شوربة العدس في مصر.

- نفسك فيها؟ والمصحف أعملها لك خلال يومين!

وصلا للمطعم وطلبا الطعام. احتسى مصطفى شوربة الطماطم ثم شرع يأكل وجبته المفضلة من لحم الغزال، اكتفت نهي بالشوربة وبدأت تأكل سلطة التونة. تعجب مصطفى من أكلها وقال: هل هذا العشاء يكفيك؟ شوربة وسلطة؟ معقولة يا نهي؟

- مصطفى باشا. تعودت أن أعرف ما إذا كنت قد ازددت في الوزن من ملابسي واتساعها على جسمي واليوم تأكدت أيضاً من الميزان في حمام منزلك أنني قد ازددت حوالي ثلاثة كيلوجرامات. وأنا هنا لا أتحرك على الإطلاق صحيح أؤدي بعض التمرينات الرياضية يوميًا ولكن هذا لا يكفي. لابد إذن من تخفيض السرعات وإلا كيف سأظهر للجمهور؟ أو حتى على غلاف الألبوم؟

- أرى أن تأكلي كما تريد وتزدي من حركتك ورياضتك.

- سأحاول وإلى أن يتم ذلك، فلنخفض السرعات.

- طيب على الأقل أكملني طبقك.

- حاضر.

انتهيا من الطعام وخرجا من المطعم متجهين إلى السيارة. كان هناك منخفضًا وقد ملأته مياه الأمطار، استطاع مصطفى أن يتخطاه. أما نهي فصعب عليها ذلك إلا أن تخوض في المياه خصوصًا بالكعب العالي. طلب منها

مصطفى أن تلقي بحسمها وهو سيتولى تخطيطها للمنخفض. ترددت فقال لها: لاتخافى ليللا. تركت نفسها فوجدتها بين ذراعيه مدة ثلاث ثوان. من جديد أحس هو بالنشوة العارمة ودخلت هي مرة أخرى في عالم آخر.

- يا سيد نزياس لا تتعجل الأمور قريباً سيمكنني اللحاق برحلة لندن وأستطيع أن أدبر بيات يومين في منزل مصطفى، أي عرين الأسد بغير ذلك لن نستطيع أن نفعل شيئاً، فأرجوك لاتتعجلني.
- أنا لا أتعجلك يا جميلة الجميلات، فقط أذكرك؛ فالوقت ليس في صالحنا فكما نتحرك فلا بد أنه هو أيضاً يتحرك.
- أوكي، بمجرد التحاقى برحلة لندن سأخبرك.
- إلى اللقاء شيللا.

قال دكتور سعد الشيمي لفتحي سالم:

- يا فتحي. لقد رفض العميد دعوة مصطفى رضوان لمناقشة رسالتك، فأرجو أن نجلس سوياً ونختار مناقش خارجي آخر.
- هل يمكنني أن أعرف السبب؟ هل هو قانون الجامعة؟ أم هناك سبب آخر؟
- يا فتحي يا بني أنت لا مؤأخذة عبيط ولا بتستعبط؟ ما تزعلش مني، لكن كل الناس عارفة أن مصطفى رضوان من المغضوب عليهم.
- والله لا أعرف، ولكن لماذا؟
- أخوه كان من التنظيم الذي قتل السادات ومات في السجن.

- وجم فتحي قليلاً ثم قال:
- وهل كان له هو أي نشاط سياسي؟
- على الإطلاق.
- فلماذا يكون إذن من المغضوب عليهم؟
- وأنا ما لأمني بهذا؟ هذه سياسة بلدك، يلا اتكل على الله.
- خرج فتحي سالم حزيناً ومندهشاً وخائفاً في نفس الوقت.

العمل في منزل كرويدون يجري على قدم وساق. روز ومسنر طومسون تخرجان وتدخلان صالة الدور الأسفل بأكواب الشاي والنسكافيه والسندوتشات السريعة. سامي عنان يمسك بأورقه ويضيف نغمة هنا ويجربها ثم يؤكد لها أو يلغيها. حاتم كمال يشعل سيجارة من سيجارة ويمسك في يده بكراسة من كراريس تلاميذ المدارس، ويكتب بالقلم الرصاص ويمحو بأستيكة صغيرة من حين لآخر بعض الكلمات ويعيد كتابتها. نهى بالبنتلون الجينس والتي شرت طويل الأكمام والحذاء الزحافي تجلس القرفصاء على سجادة الصالة. ممسكة بالميكروفون الحديث. تدندن أولاً ما يدرها عليه سامي، ثم تغني وحدها وهكذا. ويمر اليوم على هذا المنوال ولا ينتهون من العمل قبل العاشرة مساءً، في نهاية هذا اليوم، قال سامي لنهى وهي لازالت تجلس القرفصاء سائدة ظهرها على الكنبه: غني ورائي هذا الكلام الذي لا بد أنك تعرفيه. ستكون هذه الأغنية هي ختام الألبوم:

سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة

صفر يا وابور وأربط عندك نزلني في البلد دي

بلا أميركا بلا أوروبا مافيشي أحسن من بلدي
دي المركب اللي بتجيب أحسن من اللي بتودي
يا سطى بشندي وآه يا سالمة يا سلامة

غنت نهي وراء سامي بصوت عذب وعندما انتهت وجدت الدموع
تملاً عينيه. قال حاتم: مادمت قد بكيت، فتأكدي من نجاح الألبوم،
قال سامي: طبعاً سعادتك يا حاتم حاتكمل الأغنية بكلامك أنت.
- مفهوم. مفهوم.

- يلا. بقي إحنا تعبنا نهي النهاردة.

طرقت كارلا باب مكتب مصطفى ودخلت.

- مستر رأفت ويصا بالخارج.

- أدخله بسرعة.

- دخل رأفت وفتح ذراعيه، خرج مصطفى من وراء مكتبه واتجه ناحية
رأفت الذي عانقه قائلاً:

- والله عال يا واد يا مصطفى، بقالك مكتب، وسكرتيرة تحل من على
حبل المشنقة. الله يرحم أيام الكرة الشراب. فاكراً؟

- ودي أيام تتنسي؟ بس أنت كنت إقطاعي، كان عندك كرة جلد وكنت
بتطلع روحنا عشان تسلفهالنا.

- كام سنة دلوقت يا واد ما شفناش بعض؟

- تقريباً عشر سنين ولولا انت والموبايل كنا نُحنا عن بعض للأبد. بس أنت شعرك راح فين؟
- اسكت دي علامة العبقرية. المهم خير؟ أول مرة في حياتك تصرأني أجي لندن، وتقول لي حاجة في منتهى الخطورة! أنا تخضيت.
- خير، خير، ولكنه موضوع في منتهى الأهمية ومش حا ينفع نتكلم هنا. أنا عازمك يا إقطاعي على الغدا وهناك نتكلم براحتنا. سأحاول أن أقلدك وأعمل ابن ناس وحابعت لك السوق بتاعي يأخذك من الأوتيل.
- وكمان عندك سواق؟ الله يرحم الشعبطة في الأوتوبيسات!

رأفت ويصا غطاس، قبطي مصري رفيق طفولة وشباب مصطفى. تلازما منذ الصغر في بني سويف حيث ترعرع رأفت. التحق بكلية التجارة بالقاهرة وبالتالي استمرت العلاقة مع مصطفى حتى حدوث مأساة الأخير وإلى أن سافر للخارج، والده الملياردير ويصا غطاس، أحد أقطاب الصناعة والتجارة في مصر. أدى خدمات كبيرة للحكومة المصرية: مشروعات واستثمارات وبنية أساسية. كان عامل تهذئة وهمزة وصل بين الحكومة والكنيسة عندما تهب العواصف من هنا أو هناك.

رأفت يجوب العالم من أقصاه إلى أقصاه لرعاية مشروعاته وتنمية ثروته. بدأتدريجياً يأخذ دور والده على أرض مصر، وبالتالي أصبح مقرباً للسلطة، وكما أن اللون والشكل وراثية فيبدو أن الميول والاجتماعيات أيضاً وراثية وإلا فلماذا كان والد رأفت صديقاً حميماً لوالد مصطفى بالرغم من الفارق المادي الكبير بينهما؟

كان ويصا غطاس هو أول من لفت نظر والد مصطفى إلى اتجاهات ابنه عبد الرحمن الجديدة وكان لعبد الرحمن رأي مختلف في الصداقة بين المسلمين والأقباط.

انتهى رأفت ومصطفى من تناول الطعام في المطعم الفاخر وراحا يحتسيان القهوة. قال رأفت:

- ولماذا تعتقد أنه قد تم تجاهل الرسالة التي سريتها عن طريق هذا الفنان الشهير إلى السلطة في مصر؟
- لا أعرف، ولكن من الجائز أن محتوى الرسالة كان غامضًا بعض الشيء وقد تعتمد ذلك لعلمي بخطورة المعلومة وجائز أن الفنان قد نسي، أو أبلغها بطريقة فيها شيء من اللامبالاة وإن كنت أثق في جديته. جائز أيضًا أن الرسالة لم تحمل ويكون هذا مجرد مظهر من مظاهر البيروقراطية. وأخطر الاحتمالات بالنسبة لي أن تكون الرسالة غير ذات أهمية أو لا يدركون أهميتها، أو لا يثقون في صاحب الرسالة!
- هذا أمر خطير وأنا سعيد جدًا أنك وثقت بي في أمر مثل هذا.
- لاشك عندي في جديتك أو في وطنيتك واتمائك وحفظك للسِر.
- ولكن ما يبهري حقًا هو أنك بالرغم من المراتة التي تشعر بها والذكريات الأليمة، تفكر في إهداء المعلومة الهامة إليهم!
- أولًا أنا أعطي المعلومة لشعب وبلد ولا أعطيها لنظام.
- ثانيًا وبالرغم من أي شيء، هل يمكن أنتتصور أن أعطي المعلومة للجهة

الأخرى؟

- لا طبعًا. أنت لا تفعل ذلك. على العموم انتهى الأمر المعلومة ستصل بإذن الله. أول شيء سأفعله عند عودتي للقاهرة.

حضر مصطفى عملية تسجيل الألبوم، تم هذا في أكبر ستوديو صوت في لندن وبتكليف وتمويل من مصطفى نفسه، الذي خرج عن روتينه اليومي وانصرف من عمله قبل الموعد الرسمي. كانت نهي قد سبقته إلى هناك برفقة سامي وحاتم والسائق سنج. كانت مضطربة ثم ما لبثت أن استعادت هدوءها بمجرد رؤيتها لمصطفى يدخل الاستوديو. حيا الجميع ثم اتجه إلى نهي وعانقت يده يدها بقوة وقال:

- ليس هناك ما يدعو إلى كل هذا الاضطراب؛ أنا استمعت للبروفات وكنت ممتازة. تمالكى أعصابك، النجاح حليفك بكل تأكيد. يلا.

بدأ العمل ودارت الآلة بكل دقة ونظام واستمع مصطفى للألبوم كله واقتنع تمامًا أنه كان على حق عندما اختار سامي وحاتم ووضعهما في طريق نهي. كان أهم ما يميز العمل أن سامي أستطاع بمهارة أن يوظف ألحانه لتتناسب مع إمكانيات صوت نهي العادية مع الدفء الذي يتميز به، ومع كلمات حاتم القوية وغير التقليدية. وكانت أغنية سيد درويش مسك الختام، أدتها نهي بصدق وحرارة كما أضافت كلمات حاتم الجديدة إلى اللحن عصرية ومواكبة للزمن الحالي.

- يا جماعة يا عباقرة -صاح مصطفى- الكل مدعو الآن للغداء في المكان الذي تقترحونه؛ احتفالاً بإنجاز الألبوم في زمن قياسي.

- هيسيه! قال حاتم، والطلبات مفتوحة يا دكتور؟

- مفتوحة على الآخر.

نظرت نهي إلى مصطفى نظرة لها معنى واحد: الشكر والعرفان بالجميل بينما نظر هو إليها نظرة لها معنى واحد: الحب، كان وقت الغذاء بالمطعم الفاخر وقتاً حميماً مليء بالدفء والمشاعر الحقيقية. كانت نهي تتصرف مع سامي وحاتم بتلقائية وعفوية وأريحية واضحة، كأنها تعرفهما منذ زمن. ورفع مصطفى التكليف بينه وبين الجميع على غير عادته فبدا كأنسان آخر. انتهى الغذاء وانصرف سامي وحاتم، وكان مصطفى قد دفع لهما أتعابهما بزيادة نظراً لسرعة وكفاءة إنجاز الألبوم. بقيت نهي وحدها مع مصطفى. قالت له:

- والآن يا دكتور مصطفى وأنت صاحب الفكرة الحقيقية وراء هذا العمل - الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكلله بالنجاح - أرجو أن تقبل الليلة احتفالي أنا اليوم في منزلك على العشاء. هلا أتيت الآن؟ أم سترفض دعوتي؟

- لا يمكنني الرفض يا نهي سأحضر بالطبع، ولكن أرجو إعطائي فرصة للعودة لمنزلي لبعض الأمور الهامة، ثم أحضر إليك في التاسعة كالمعتاد.

- ولكن الآن الساعة السابعة. هل ستستطيع الذهاب للمنزل ثم الذهاب لكرويدون في ساعتين؟

- اعتدت على ذلك. أرجوك.

- ماشي. سأنتظرك.

خلال نصف ساعة كان مصطفى قد وصل لمنزله. استقبله كومار فطلب كوب كبير من النسكافيه وتجهيز الحمام. كان مصطفى يعرف أن في تمام الثامنة سيأتي إليه شخص يدعي وايمان يريد مقابلته، أصر هو أن يكون اللقاء في منزله وفي وقت تواجد كومار. وطلب من الأخير أن يكون قريباً وأن تكون أذنه معه ومع الضيف طوال فترة المقابلة.

حضر وايمان في الموعد المحدد استقبله مصطفى بابتسامة تقليدية وسأله ماذا يشرب فأجابته: كوب من عصير البرتقال إذا كان متوفرًا، كان وايمان رجل طويل القامة، منحني الظهر، شعره أصفر وخفيف، شديد بياض الوجه وزرقة العينين، يرتدي بدلة كاملة وكرافطة زرقاء نحيلة وحذاء يبدو أضخم من قدميه.

- تشرفت بمعرفتك يا سيد وايمان. هل لي أن أعرف سبب تشريفك لي بالزيارة؟

- بكل سرور. أنا أعرف أن السيد دينو أحياناً يكون غير لبق في عرضه للأمر، لذا جئت لأضع النقاط فوق الحروف.

- بالعكس، السيد دينو رجل مهذب وعرض الأمر بلباقة، ولكني فقط طلبت مهلة للرد ومازلت في هذه المهلة.

- سيدي، الأمر واضح ولا يحتاج لمهلة. أنت بتعاونك معنا تخرج معلوماتك للنور فتستفيد ويستفيد الآخرون. لا توجد جهة واحدة حاليًا يمكنها تقدير قيمة معلوماتك.

- الأمر ليس هكذا، المسألة تحتاج مني مزيد من البحث والتمحيص لتصبح الصورة كاملة ففتح للجميع الاستفادة؛ لذا طلبت المهلة لاستكمال الصورة.

- سيدي، المعلومات لدينا تؤكد أن الصورة كاملة ولا ينقصها إلا بعض الرتوش الخفيفة تتم على أرض الواقع وليس على الورق.
- فليكن، ولكن لا بد من المهلة؛ لم أعود أن أتسرع في اتخاذ القرار.
- سيدي، لأريد أن أبدو في صورة المحذر أو المهدد، فهذا بعيد عن الواقع، ولكني فقط أقول: أنه لن يمكننا بأي حال من الأحوال، وفي ظل التوازنات في القوى الدولية، السماح لأي جهة أخرى باستغلال هذه الموارد.
- هو تهديد كما هو واضح، ولكني أطمئنك لم تعرض عليّ جهة أخرى العمل معها. قد تكون هناك دولة عربية قد فعلت، ولكني أعتقد
- أنها «معكم»!
- إذن فهذا تقريباً اتفاق؟ أرجو أن تكون كل الأمور على ما يرام وسنكون على اتصال.
- تفضل عصير البرتقال.

- أسرع مصطفى بارتداء ملابسه للحاق بموعد نهي. وصل متأخراً ساعة إلا ربع لأول مرة في حياته!
- آسف ولكنه كان ضيقاً ثقيلاً تخلصت منه بصعوبة.
 - ظننتك غيرت رأيك، أو راحت عليك نومة!
 - نفسي مرة تروح عليّ نومة، هذا ترف لا أملكه.
 - هل أنت جائع الآن فنعد الطعام أم نجلس قليلاً في الصالة؟

- نجلس في الصلاة واسمحي لي أن أدخن سيجاري.
- ليتك تقلع عن التدخين.
- كما تلاحظين، أنا لا أدخن بصفة دائمة. فقط في أوقات معينة.
- مثل الآن؟
- مثل الآن.
- وماذا الآن في عقلك يجعلك تريد أن تدخن؟
- أشياء كثيرة يا نهي، ستعرفينها في وقتها.
- أرجو أن يكون خير.
- بعضها خير وبعضها لا أعلم.
- إن شاء الله كله خير. سؤال عابر: هل مازلت تشرب الخمر من حين لآخر؟
- ماهي الإجابة التي تحبين سماعها؟
- أن تكون قد امتنعت.
- هذه هي الإجابة الصحيحة.
- الحمد لله.
- عامة لم أكن أشرب أبدًا لأسكر، فقط مجرد مشاركة -بروتوكول يعني-
- وتقليد أعمى. ألم أقل لك أننا أحيانًا نكون مسوئًا.
- تسمح لي أن أقدم لك هدية؟
- بمناسبة أيه؟
- بمناسبة الانتهاء من الألبوم، وشكر وعرفان وتقدير لك.

- قال ضاحكًا: أشوف الهدية أولاً ثم أقرر أأقبلها أم لا؟
- هي هدية رمزية على أي حال. تفضل.
- أعطته صندوقًا من الكارتون. فتحه فوجد نموذجًا مجسمًا للأهرامات مصنوعًا بإتقان شديد، وقطعة قماش كبيرة من الحرير وجد صورته مرسومة عليها! كانت مفاجأة كبيرة.
- كيف تم رسم هذه الصورة؟
- آسفة. لقد سرقتهما من غرفتك المغلقة وأعطيتها لصديقة لي تحترف الرسم على الحرير، فرسمتها. أما مجسم الأهرام فقد طلبته من خان الخليلي ووصلني بالأمس فقط. كان هذا ما ينقص غرفتك المغلقة: الأهرام وصورتك بالحجم الكبير: ألسنت من ضمن معالم مصر؟
- هذا كثير يا نهي. تعبت نفسك.
- وأنت ألم تتعبك نفسك وتكلف نفسك فوق طاقتك وتدخل نفسك في قضية لا تساوي شيئًا بجانب مشاغلك واهتماماتك؟
- يفعل الإنسان ذلك بدافع المبدأ ورد الفعل الطبيعي أو بدافع الحب بمعناه العام طبعًا.
- جلست نهي على المقعد وتبدل لون وجهها إلى الأحمر أو القرمزي ثم راحت تنظر لأرضية الصالة. رفعت رأسها وقالت بينما هو متوجه برأسه إلى الناحية الأخرى:
- وحضرتك فعلت ذلك بدافع أيه؟
- بدافع الاثنين. قال ضاحكًا.
- وفي تغيير ذكي لدفة الحديث وتوجيهه إلى حيث تريد قالت نهي:

- على فكرة أنا آسفة، كنت ناسية معايا الأسطوانة، حأجيبها لحضرتك. أسطوانة «مادام تحب بتنكر ليه» قالتها بصوت عالٍ.
- يابنت اللثيمة! قال مصطفى لنفسه.
- انطلقت نهي للمطبخ، بينما كان مصطفى يفكر فيما قاله: هل تَسْرَع؟ هل انتبهت لما قاله؟ هل يخطو خطوة أخرى ليربح نفسه من هذه الحيرة؟
- وعد الحر دين عليها هي شورية العدس. أتحداك أن تقاومها.
- الله الله هذه هي المفاجأة الثانية!
- نعم. تفضل على المائدة، ولا تخف توجد أصناف أخرى غير العدس.
- كفاية العدس الليلة. أوعي تقوليلي ريجيم برضه؟
- حأدوق معاك لقميتين وكفاية. صورة الغلاف ستكون قريبًا.
- بالمناسبة، الأستاذ علي فريد سيحضر للندن الأسبوع القادم ويقول أن لديه أخبارًا ورسالة هامة من جاسم فلا بد أن تقابليه.
- أخشى أن يكون ينتظر ردًا مني في موضوع زواجه؟
- لا لا علي فريد عاقل. ولكن ترى ماذا تحوي رسالة جاسم؟
- قال ذلك، ثم قاما متجهين إلى غرفة الطعام.
- ربنا يستر.
- المهم. أعتقد أن الألبوم سيكون جاهزًا ويمكن لعللي فريد أن يأخذه معه للمنتج ويتولى هو الدعاية والتوزيع.
- وهل عند المنتج فكرة؟

- طبعًا أخبره علي فريد منذ فترة.
- دكتورمتى تتوقع أن أعود لمصر.
- هل تتعجلين العودة ؟
- قبل أسبوعين كنت أتعجلها، الآن لم أعد بمثل هذه اللهفة.
- لماذا؟
- أولاً: لأنني عندما انشغلت بالعمل في الألبوم، نسيت كل الظروف المحيطة بي واندبحت وثائياً: لسبب أحتفظ به لنفسي. ضحكت وأدارت وجهها للناحية الأخرى.
- أتمنى أن يكون السبب هو نفس السبب الذي .. الذي ...
- مرة أخرى خانك التعبير؟
- لا أبداً سأقول نفس السبب الذيأضاف إلى حيرتي الأساسية حيرة جديدة.
- وما هي حيرتك الأساسية وما هي الحيرة الجديدة؟
- حيرتي الأساسية من موضوع يتعلق بالعمل وستعرفينه في وقته، أما حيرتي الثانية فهي لا أعرف كيف أبدأ، ولكن لا بد أن أتكلم فنحن في مفترق طرق ونحتاج لوقفه.
- دكتور مصطفى. الموضوع أبسط من هذا. أرجوك تكلم. فأنت الذي علمتني أن البوح والفضفضة قد يساعدان على حل المشاكل. هذا إذاكان هناك مشكلة من الأصل. تكلم وتأكد أن أي شيء ستقوله أنا مهياة له نفسياً.

- الحقيقة أنه خلال الفترة الماضية تقاربنا بشكل كبير، بل أستطيع أن أقول أنك أصبحت جزءاً لا يتجزأ منكم. حاولت أن أقاوم، استعنت بكل تراكمات تجاربي وخبراتي لأصمد، ولكن آن الأوان أن أعلن بوضوح أن خطوط دفاعي قد سقطت واحداً بعد الآخر وهأنذا أعلن الآن هزيمتي بل استسلامي. وسكت.

- أكمل أرجوك.

- ماذا تريد أن تسمعي أكثر من هذا؟ أليس ما سمعت كافياً أم أنك معشر النساء تحبون دائماً أن تسمعن الكلمة واضحة حتى وإن كانت تبدو على وجه الرجل كالشمس في وسط النهار؟

سكتت نهي ولم تدرِ ماذا تقول وإلى أي جهة تنظر. فكرت أن تقوم وتجري للمطبخ تفتعل أي شيء لتهرب من الموقف. فكرت أن تقوم وتقبله، فكرت أن تدعي الدهشة أو الصدمة أو حتى الغضب. فكرت في كل شيء عدا التصرف الذي قامت به بتلقائية.

- دكتور مصطفى أعرف أن أسئلتك كثيرة وأنت لا تحب الأسئلة، ولكن أعذرني هل تشك لحظة في أنني أبادلك نفس الشعور؟

لم يرد مصطفى وقام من مجلسه واتجه إلى النافذة ونظر إلى الخارج، ثم التفت ناحيتها واتجه إليها. ارتجفت وخشت أن يكون في نيته أن يقبلها! توقف في منتصف الطريق وقال:

- هاتي لي مصحف أحلف عليه، أنا بالفعل لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال! تنفست نهي الصعداء وقامت فأصبحت على مسافة بسيطة من مصطفى وقالت:

- أنا مثلك، ربما من ثاني أو ثالث لقاء، ولكني أختلف عنك لم أقاوم ولم

أحاول أن أصمد؛ كنت بحاجة للحب، كنت بحاجة لأن يضمّد أحد جراحي، كنت بحاجة لأن أستيقظ في الصباح على أمل جديد، على حافز يجعلني أترقب طلوع الشمس. لأحد يقاوم الحب يا دكتور مهما كانت الظروف.

سكتت وانتظرت رد فعله.

- نهي أنا أكبر منك بكثير، وحياتي مليئة بالعقد و...
- وأنا سأكمل الحديث: وأنا فنانة و متمسكة بالفن وهذا قد لا يناسب مكانتك العلمية، وأنت تقيم هنا وأنا أقيم هناك وأنت تخبأ شيئاً خطيراً لم تطلعني عليه حتى الآن. أعرف كل هذا وغير مطلوب منا حالياً اتخاذ أي قرارات أو القيام بأي إجراءات. لقد تصارحنا فدعنا نعش هذه اللحظة الجميلة وكفى ولنترك المستقبل والأيام تجيب على الأسئلة. أليست هذه جملتك؟
- بلى أرجو ألا يكون كلامك مجرد ترضية لرجل «كبير» قد تكونين مقدرة لجهود ما بذله معك ولا ترغبين في جرح مشاعره؟
- من منا الآن الذي يريد أن يسمعها واضحة؟ أنا أم أنت؟ أنا يا سيدي أشجع منك. أنا أحبك ولا أريد شيئاً، أحبك فقط.
- ابتسم مصطفى ابتسامة عريضة وقال:
- وحياتك يا نهي نغير الموضوع؛ لأنني أحس أني في نصف هدومياً لا نقول هذا في مصر علامة على الكسوف؟
- مصطفى أنت كنت تضع قناعاً على وجهك. وعندما خلعته ظهرت حقيقتك كرجل من أرق وأنبل وألطف الرجال، ولكني سأقول لك سرّاً:

ربما أنا الوحيدة التي لم تخدع بالقناع؛ كنت أعرف أنه مجرد قناع. سم ذلك حاسة سادسة، سمه فراسة، سمه حب. المهم هذا ما حدث!

- نهي. أرجوك خلاص، كفاية أحس كأني تلميذ في ابتدائي أمام أستاذة. وحياتك غيري الموضوع.
- حاضر. هل أعجبتك شورية العدس؟
- ممتازة! وضحكا عاليًا.

أخيرًا وصل الأستاذ علي فريد. انتظره مصطفى في منزله اللندني وراحا ينتظران وصول نهي الي أصر على أن تكون حاضرة الجلسة. وصلت نهي في موعدها وكانت قد اتفقت مع مصطفى أن يمثلًا «رسمية» العلاقة بينهما منعًا لوصول أي خبر لجاسم أو حتى لعلي فريد

- أهلا أستاذة نهي. معلش أنا أصريت أن تحضري هذا اللقاء لأني مكلف بمهمة وألح عليّ صاحبها أن أقوم بما على أكمل وجه لما تمثله من أهمية بالنسبة لحياته على حد تعبيره، تعبير الأستاذ جاسم. أرجو أيضًا أن تعيرنا انتباهك يا مصطفى باشا ونأسف على تضيق وقتك الثمين، ولكن معلش أنت معنا منذ البداية ونريد أن نسترشد برأيك، واعلما أنني في النهاية لا أريد إلا مصلحة السيدة نهي فهي موكلتي وليس الأستاذ جاسم، ولكن إذا كان هناك مصلحة للطرفين فلم لا؟ والصلح خير.

- هات ما عندك يا أستاذ علي. أنا رُكبي سابت. قالت نهي.

- باختصار شديد، رحب جاسم بمطلب الدعوى التي رفعناها وقال أنه مستعد لذلك على الفور، وأنه وإن كان قد تأخر في ذلك؛ فلأنه كان يطمع أن تغير السيدة نهي رأيها وتعود إليه. بعد ذلك طلب مني أن أعرض عليك الآتي -ويبرر عدم عرضه عليك مباشرة بأنه قد سبق وأن حاول الاتصال بك بنفسه وعن طريق سكرتيره فعاملتيهما بجفاء وكنت على وشك إغلاق التليفون في وجهيهما- حسب روايته. المهم الأستاذ جاسم يقول: أنه على استعداد للعقد عليك من جديد بمهر جديد يساوى ضعف المهر السابق وأن يوفر لك سكنًا خاصًا فاحرًا في القاهرة؛ لأنه أساسًا في الفترة القادمة سينقل نشاطه للقاهرة لبعض الوقت. وأنه على استعداد لإخراج الوالدة من الورطة والخسارة التي وقعت فيها من جراء الأزمة العالمية. والأهم من ذلك أنه على

أتم الاستعداد لقبول عودتك للعمل بالفن بشرط واحد هو عدم ظهورك
في مشاهد خليعة أو بملابس غير لائقة وبعد عرض السيناريوهات عليه،
وأخيراً التفاوض في مسألة إنجاب الأطفال لضمان وصولهم للحياة دون
التعرض لمشاكل مستقبلية، الأهم من ذلك يا مدام نهي أنه يقول أنه
بالفعل حدثت في الماضي بعض التجاوزات والأخطاء لم يكن القصد
منها على الإطلاق الإساءة وإنما كانت ردود أفعال واختلاف بيئات
وتعبير خاطيء عن حب كبير. تلك هي كلمات الأستاذ جاسم بلا
رتوش أنقلها اليك وأرجو أن تأخذي وقت في التفكير فالأمر أكبر مما
تتخيلي؛ لقد كاد الرجل ييكي وهو ينقل إليّ هذا الكلام .

استمع مصطفى إلى كلام علي فريد واختزنه في الكمبيوتر البشري الذي يحتفظ
به في أعلى جسده! وراحت الآلة تدور لتبحث عن رد مناسب، بينما همت
نهي أن ترد بإيحاء من أجمل كلام سمعته في حياتها من مصطفى منذ يومين:

- الموضوع مش محتاج تفكير يا أستاذ ...

- نهى أرجوك، ونظر إليها نظرة نارية موحية بوجوب أن تنفذ أوامره مع
غمزة بعينه لم يفعلها أبداً، أرجوك يا نهى الصبر.

أستاذ علي هذا عرض كريم ويستحق الدراسة وستفكر فيه نهى على مهل، أولاً:
لتعرف ما إذا كانت ستقبله أم لا. وثانياً: لتعرف كيف ستأكد من تنفيذ كل بنوده.

- ولكن يا دكتور مصطفى ...

- أرجوك يا نهى. نحن نثق في الأستاذ علي وأنت على ما أظن تثقين في
رأيي ونحن الاثنان أكثر منك تجربة وخبرة. أخبر جاسم يا أستاذ علي أن
نهى ستفكر وستخبره بموقفها خلال فترة ليست بالطويلة. ولكن عليه
لإثبات حسن النية البدء بإرسال نفقتها الشهرية.

- ماشي. اللي تشوفوه، ولكن آخر كلام منك يا مدام نهي؟
- كما قال دكتور مصطفى!
- المهم ياسي علي. خرينا في المهم. هذا هو الألبوم. وهذه هي صورة الغلاف، وأظنك تتفق معي أنه ليس فيها أي شيء مسيء، وهذه بادرة حسن نية منا للأستاذ جاسم. أرجو توصيل الألبوم للأستاذ خليل بدران المنتج والبدء في الدعاية والتوزيع كما يحلو له. ومنتظر من سعادتك ورقة مخالصة منه لصالح نهي في أقرب فرصة.
- أكيد طبعًا.
- أستاذ علي مش حأوصيك. عايزين الشريط ينجح ويمهد بقوة لعودة نهي.
- ما تخافش يا باشا، هات الألبوم وسأوقع لك بالاستلام. تفحص علي الأسطوانة، كان الغلاف عليه صورة نهي ترتدي جلابية بلدي واسعة نسبيًا وشعرها منسدل وخلفها الأهرامات. اختار هذا الغلاف حاتم كمال ووافق عليه الجميع وكان عنوان الألبوم: «البعد مش مسافات» نظر علي فريد للألبوم وقال: شكله، شكل نجاح!
- أوصل مصطفى علي فريد للباب وقال له هامسًا: بدمتك وعدك بكام لو رجعت له نهي؟
- يا بخت من وفق رأسين في الحلال ومنع خراب البيوت.
- أيوة يعني كام؟
- كثير بس هي توافق.

- عاد مصطفى للصالة فوجد نهي جالسة ويدها على خدها. رآته فقالت:
- ليه يا مصطفى؟ ليه ما قطعناش عرق وسيحنا دم وخلصنا من القرف ده؟ لسه حايفضل بيني وبينه أخذ ورد ومفاوضات؟
- نهي، بعد ما تصارحنا به أول أمس. هل تظنين للحظة واحدة أن يكون ما قلته لعلي فريد صادقًا وحقيقيًا؟
- لأ طبعًا، ولكن لماذا؟ أريد أن أفهم.
- نهي، هل ترين هذا الشعر الأبيض على جانبي رأسي؟ هل ترين هذه التجاعيد التي بدأت تظهر حول عيني؟
- لا أرى شيئًا. أراك جميلًا فقط. وضحكت.
- مجاملة رقيقة لأ صحيح، هذا الشعر وهذه التجاعيد ليست فقط علامات التقدم في السن ولكنها تعني أن صاحبها قد رأى من المواقف والأحداث ما يفوق تخيلك بكثير. إن الرجل الذي يعرض هذا العرض الخرافي على امرأة هربت منه وأخبرته بوضوح أنها لا تريده. رجل من اثنين: إما عاشق ولهان يتعذب في نار الحب ويضحى بالغالي والرخيص في سبيل استعادة محبوبته -ولا أظن أن جاسم من هذا النوع- ومن هم على شاكلته- أو رجل يفعل ذلك ليستحوذ على امرأة قالت له لا فهزت كبريائه و يريد أن ينتقم. كان لابد لنا إذن أن نماتل ونكسب وقتًا إلى أن نصبح في الأمان وعند ذلك نعلن رأينا بوضوح. نهي. أنا لا أضغط عليك أو أفرض رأيًا، إذا وجدت أن عرض جاسم يمكن قبوله فأنت في حل من أي شيء ولك مطلق الحرية و ..
- مصطفى لو قلت هذا مرة أخرى فتأكد أنني سأحزم حقائب على الفور وأعود«للمون لايت»أو للقاهرة مهما كانت المخاطر. أنا فعلاً زعلت.

- لا لا أرجوك إوعى أنا آسف، فقط تعرفين حساسيتي المفرطة أريد فقط أن أعطيك أكبر مساحة للتفكير بحرية.

غادرت نهي إلى كرويدون مع سنج وروز. راح مصطفى يحادث نفسه وهو يدخل سيجاره الكوبي ويصنع دوائر في الهواء:

- يا خيبتك يا مصطفى! استطاعت بنت النيل أن تقتحم قلعتك المنيعة! استطاعت سليلة الفراعنة أن تجعلك تسلم دون قيد أو شرط. نجحت فيما لم تنجح فيه إيّا الفرنسية خريجة السوربون، عاشقة «جان بول سارتر» و «سيمون دي بوفوار» والتي عاشت معك ثلاث سنوات فيغرفتك الحقيبة بـ «فورست جيت» تقتسمان زجاجة النبيذ وكوب النسكافيه وعلبة السجائر الـ «جولواز» وهي ابنة الرجل الثري الذي رفضت ثرائه وفضلت الحياة كما تحب. علمتك الفرنسية والفلسفة وأطلعتك على ثقافة الغرب، ولكن قلعتك ظلت حصينة أقهرتك ابنة النيل بينما لم تستطع علياء البحرينية الفاتنة بجاذبيتها وتمردتها على التقاليد وشهرتها في أحواء المثقفين! ولا مريم ولا نبيلة، وأخيراً شيللا وصيفة ملكة جمال التشيك بجسدها المثير وجاذبيتها الخارقة. لم يستطعن اختراق قلعتك وإقناعك بالاستسلام. واستطاعت كريمة العنصرين! استرجع ماضيك كما تشاء وابحث عن نقاط القوة ونقاط الضعف الأيام الحلوة والأيام المرة، ولكن فيالنهاية: ارفع الراية البيضاء وأعلن استسلامك!

كان وقع تفكير نهي في العرض على جاسم مطمئناً؛ لأنه إذا كانت ستفكر فمعنى ذلك أن هناك أمل! إلا أن خبر نزول ألبوم جديد لها كان له وقع الصاعقة عليه! فقد كان تصوره أن نهي قد أصبحت جثة هامدة بعد ابتعادها عن الساحة وهروبها لعاصمة الضباب، والشروط الجزائرية والخسارة الفادحة

التي منيت بها والدتها. وها هي ذي تسترد عافيتها ويظهر لها ألبوم ومن أين؟ من لندن على بعد آلاف الأميال من القاهرة! من الذي ساعدها؟ من الذي مولها؟ ومن الذي تولى الدعاية؟ حاول بقدر الإمكان أن يستميل علفريد ليعرف منه كل هذه الأخبار إلا أن الأخير كان شديد الإخلاص لقضية نهي وشديد الإخلاص لصديقه مصطفى. فقط كان يعني نفسه بعودة المياه إلى مجاريها بين جاسم ونهى فيكسب المائتين وخمسين ألف دولار التي وعده بها جاسم! خاصة وقد رفضت هي عرضه للزواج منها بكل لطف!

- آلو. نهى هل سمعت آخر الأخبار؟

- بخصوص أيه يا مصطفى؟

- بخصوص شريطك. جائي ما يؤكد تناقله في أوساط الشباب خاصة، والمصريين في الداخل والخارج عامة. وأنه يلقي الإعجاب والتقدير، ولكن للأسف الشديد تسرب عن طريق «الانترنت» و«الفيس بوك» ربما قبل أن يطبع!

- يا إلهي. معقولة.

- نعم أخبرني حاتم وسامي بذلك ويقسمان بأغلظ الأيمان أنهما لا علاقة لهما بتسريب الشريط.

- تفتكر. علي فريد؟

- لا لاليس هذا الرجل.

- يمكن عشان موضوع طلبه ليدي؟

- علي فريد؟ لا لا إنه يخطب كل يوم، ويمكن أن يرفض كل يوم ولا يؤثر هذا فيه على الإطلاق. إنه شخص مختلف.

- إذن من؟
- أي شخص، قد يكون عامل بسيط في الاستوديو وله خبرة في التقنيات، قد يكون فراش في مكتب خليل بدران، قد يكون أي شيء. هذه ضريبة التقدم التكنولوجي. حدث هذا مع عمرو دياب، ومع أحمد زكي في فيلم السادات.
- المهم. ما أريد أن أقوله لك أنك للأسف لن ترحي الكثير من هذا الشريط؛ فوجود الـ«ام بي ثري» و«الأي بود» جعل الناس يستغنون عن شراء الكاسيت والأسطوانات. المنتج قد يجد وسيلة أو أخرى لتعويض خسارته. أما نحن فلم نخسر شيء؛ لقد عدت للأضواء - وستأكد من ذلك بنفسك إذا تابعت الفضائيات - وانتهينا من قضيتنا مع المنتج، وأوصلنا للجماهير عمل ناجح فالحمد لله.
- ألف حمد وشكر لك يا رب.
- أما بالنسبة للفيلوس. فمش مهم؛ جاسم حايديك بدل المهر مهران وقصر في مصر الجديدة. ها ها ها
- مصطفى. صدقني حازل منك بجد!
- لأ لا خلاص.

كانت العلاقة بينهما خلال الأسبوعين الماضيين تستحق أن تكون نموذجاً للنضج والحكمة وفي نفس الوقت المشاعر الجياشة والرومانسية المفتقدة في الزمن الحالي حيث لم يندفعا إلى تلامس جسدي رغم أن الظروف كانت دائماً مواتية والرغبة مشتعلة لدى الطرفين. لم يسرفا في كلام حب قد يتداوله المراهقون، ولكن أسرفا في «الفضفضة» حتى لم يعد هناك حدث مهم في حياة نهي لم

يعرفه مصطفى. أما هو فقد كان الحس الأميلديه مبالغاً فيه فلم يكن ييوح إلا بالعادي من الأمور، إلا أنه ييوح على أي حال، لم يذكر مرة واحدة مثلاً قصته مع إيفا الفرنسية وهي القصة التي تستحق أن تكون فيلماً سينمائياً! لم يذكر كيف كادت علياء البحرينية تقضي على مستقبله كله بانتماءاتها السياسية، وهو الهارب من ملف سياسي لا ناقة ولا جمل له فيه. لم يحك هذه الأحداث فقط ذكرياته في مصر وكفاحه هنا من أجل البقاء. كان مصطفى سعيداً، أما نهي فكانت تحلق وتقول لنفسها: لقد عوضني الله عن الأيام السوداء التي عشتها مع جاسم. شبح شيللا كان دائماً يلوح في الأفق ويخرج مصطفى من حالة النشوة. كان يخشى أن تأتي فجأة فتعلم نهي وهو لا يقدر على خصامها كان يطرد تلك الفكرة دون أن يفكر في اتخاذ أي خطوة تحول دون ذلك.

إلى أن وقعت الواقعة، المكاملة التي غيرت الأحداث كلها! رن جرس الموبايل وهو يحاضر في الجامعة وكان قد نسي إغلاقه. لم يرد. رن مرة أخرى، فأغلقه تماماً. وما أن انتهت المحاضرة حتى اتصل بالرقم الذي لم يكن إلا رقم شيللا. تردد في الاتصال، ولكنه قرر أن يواجهه.

- ألو مصطفى حبيبي انتبه تماماً لما سأقوله؛ أريد أن أقابلك في أقرب وقت، لن أستطيع الحضور للندن أرجوك المسألة ليست عاطفية هناك أمور خطيرة، اختر أقرب مكان لك سأكون في «دبلن» غداً في الثالثة عصرًا ما رأيك؟ فلنتقابل في المطار. أرجوك لن تندم على هذه المقابلة.

- شيللا. لكن...

- مصطفى لن أستطيع أن أتكلم أكثر من هذا. أرجوك غداً في الثالثة، مطار دبلن. باي.

جلست نهي أمام شاشة التلفزيون تقلب في الفضائيات حسب وصية مصطفى. أخيراً وجدت محطة وبها برنامج خاص بالأخبار الفنية الجديدة.

أنصت وانتبهت تمامًا لعلها تجد خبراً يخصها وكم كانت دهشتها وسعادتها عندما قالت المذيعة: النجمة الغائبة نهي خطاب عادت إلى الساحة بألبوم بعنوان «البعد مش مسافات» سجلته في لندن وحقق نجاحاً كبيراً على «الانترنت» و«الفيس بوك» خاصة. وسيطرح في الأسواق قريباً. ومن المعروف أن النجمة كانت قد تزوجت من رجل أعمال عربي واعتزلت الفن تقريباً فهل يكون الألبوم الجديد رجوعاً عن الاعتزال؟

ثم نشرت القناة صورة لها من أحد الأفلام، أحست نهي بالسعادة الغامرة وقالت لنفسها: كم أحبك يا مصطفى أمسك مصطفى بتليفون مكتبه وشرع يكلمكارلا لتحجز له في طائرة «دبلن»، وقبل أن يرفع السماعة تذكر قول شيللا «أن الأمر خطير» قرر أن يقوم بالحجز بنفسه. غادر مكتبه في الموعد المعتاد وراح يفكر وهو يقود السيارة ويضرب أخماساً في أسداس: ماذا تريد شيللا؟ وما الأمر الخطير الذي من الممكن أن تحيي به؟ إنه يخشى أن تكون المسألة كلها رغبتها في وضع حد للعلاقة أو استئناها بشروط، ولكنها قالت: المسألة ليست عاطفية. يا إلهي، ماذا تحيي الفتاة؟

في تمام الثالثة عصر اليوم التالي كان مصطفى في مطار «دبلن» ينتظر في القاعة المحددة. بعد خمس دقائق فوجيء بشيللا بملابس الطيران وتضع نظارة سوداء كبيرة على عينيها.

- مصطفى، حبيبي أشكرك لاهتمامك والحضور، هيا بنا إلى إحدى هذه

المقاهي نختبئ بداخلها.

- توجس مصطفى خيفة، ولكنه طاعها، جلسا على مائدة داخلية واستهلت شيللا الحديث:
- منذ فترة. قابلني رجل يدعى نزياس وطلب مني أن أبتسس عليك وأحاول الدخول لحساباتك الآلية والبحث عن خرائط وأسطوانات مدججة تخبئها بخصوص سر أو ثروة أو كنز تحت الأرض، كما طلب مني أن أعرف نواياك والجهة التي تنوى التعاون معها، وعرض عليّ مائة ألف استرليني وهددني باتخاذ إجراء إذا أبلغتك. سافرت على الفور إلى براغ ومن وقتها وهو يلاحقني بالموبايل ويتعجل الأمر، وقد حاولت كثيراً أن أشرح له صعوبة ذلك، ولكن في آخر مرة قال لي بالحرف الواحد: إنك لو ساعدتنا فستنقذين الرجل الذي تحبينه لأنه باختصار غير مسموح له بالتعاون إلا معنا. معنى الكلام إذن أن حياتك في خطر؛ لذا كان لا بد من تنبيهك. مصطفى انس أي شيء الآن، انس علاقتنا -والتي لا أعرف إلى أين تتجه- تذكر فقط أن تحمي نفسك بالطريقة التي تراها ملائمة.
- نعم، ولكن ماذا عنك؟ أنا أخشى عليك؟
- وأنا أيضاً. أعرف أنني لست بمنأى عن الخطر، ولكنني سأختبئ في بلادي بقدر المستطاع حتى تنتهي القصة وأعتقد أنه لن يستطيع ملاحقتي داخل براغ.
- شيللا هل تستطيعين أن تصفي لي هذا الرجل؟
- استطعت بصعوبة أن ألتقط له صورة بالحمول أثناء انشغاله بدفع ثمن القهوة. ها هي الصورة.

- يا إلهي إنه دينو! هل قال لك أن اسمه نزياس؟
- نعم.
- كلا إنه دينو وقد حلق ذقنه. نحن في خطر بلا شك. «شيللا». لا أعرف كيف أشكرك؛ أي واحدة أخرى كان من الممكن أن تبيعني بنصف هذا المبلغ.
- أحبك يا مصطفى، ولكن ليس هذا فقط السبب، ولكنها مسألة مبدأ لقد تعلمت من والدي أن الموت أهون من التخلي عن المبدأ. أرجوك انصرف الآن وسأطمئن عليك من حين لآخر..
- وأنا أيضًا. أشكرك مرة أخرى وتأكدي أنني سأأخذ خطوة تؤمننا جميعًا. إلى اللقاء.

غادر مصطفى القهوة واتجه إلى حيث ينتظر طائرة العودة وراح يحدث نفسه: لقد دخلنا مرحلة الخطر إذن. إنهم يبحثون بشدة عن السر وهمهم الأكبر ليس الاستفادة منه بقدر منع الآخرين من ذلك وخاصة مصر. شيللا.. شيللا ترفض العرض! ترفض أن تبيعه! شيللا شبه الملحدة، ولكن لم لا؟ ألم تحدثه عن والدها وكفاحه في الحزب من أجل تنقيته من الفساد؟ ألم تخبره بنفسها أنها تحدثت مع والدها عنه وذكرت أنه مصري فقال لها ذكره بعد الناصر وشفقة الأسلحة التشيكية، فأخبرها هو عن معلوماته عن هذه الصفقة وكيف أنها جاءت في وقت يئس فيه عبد الناصر من الغرب فاتجه للكتلة الشرقية ليسلح جيشه ليواجه إسرائيل المتربصة، فكانت هذه لطمة للغرب! شيللا إذن لها خلفية سياسية وتاريخية وقاعدة مبادئ من والدها، وها هي الآن تنبهه للخطر وتعرض نفسها للأذى!

أثناء ذلك الحوار الداخلي رن جرس موبايله وكانت شيللا:

- مصطفى نسيت شيئاً مهماً، احترس من كارلا عندي ما يؤكد تورطها معهم. باي.

يا إلهي كارلا معهم؟ وهي كاتمة أسراري؟ الخطر إذن يحدق بي من كل جانب. قال مصطفى لنفسه.

ركب الطائرة وقرر أن يركز كل تفكيره في حماية نفسه وحماية سره وإيجاد وسيلة لحماية شيللا، وصل لمنزله في لندن وهو يكاد ينظر لوجوه كل الناس في الشارع ويتحسب من أي حركة غير طبيعية حوله. تنفس الصعداء حين فتح له كومار الباب مرحباً به. ومن أدراي ربما كومار أيضاً متورط؟ وربما مسز طومسون؟ وسنج وروز؟ يا إلهي ما هذه المصيبة؟ وكيف السبيل للخروج منها؟ لم يجد مفراً من الاتصال بنهى لعلها تعيد الطمأنينة إلى نفسه.

- آلو. نهى، أريد أن أخبرك بشيء هام.

- خير؟ قل بسرعة.

- لأ ما ينفعش في التليفون. آن الآوان أن تعرني كل شيء. سأرتب موعداً معك. كل ما عليك الآن ألا تخرجي إلا مع سنج وبعد أن

- تخبريني إلى أين؟

- مصطفى. أخافتي! ماذا حدث؟ هل هو جاسم؟

- لا لا، ستعرفين كل شيء عندما أحضر إليك. إلى اللقاء. أحبك .

في التاسعة من صباح اليوم التالي جلس مصطفى إلى مكتبه وراحت كارلا تروح وتجيء مشغولة بأداء عملها وهو ينظر إليها ويفكر: ماذا سيفعل للتخلص منها؟ رن جرس موبايله. رقم لا يعرفه.

- آلو مصطفى بك؟
- نعم من؟
- أنا سليمان فهمي. أعتقد أنك تعرفني.
- استرجع مصطفى الاسم ثم قال: بكل تأكيد، أهلاً سليمان باشا.
- أنا أتكلم من لندن، جئت خصيصاً لمقابلتك، طبعاً أنت تعرف رأفت ويصا؟
- نعم نعم.
- حدد مكان آمن لنلتقي فيه وزمان يناسبك. أعرف أنك مشغول.
- المكان منزلي والزمان بعد الخامسة والنصف في أي يوم.
- منزلك هو أبعد مكان عن الأمان. قابلي في «الماريوت» اليوم في السادسة والنصف في البهو. توخى الحذر؛ لا أريد أن يعرف أحد أنني قابلتك.
- حاضر مع السلامة.

أحس مصطفى بشيء من الارتياح؛ ها هي مصر ترد. أخير سيجد شخص يتكلم معه ويقص عليه التطورات الأخيرة -تطورات شيللا!- سليمان فهمي مسئول مصرى رفيع المستوى، لا تكاد أي جريدة مصرية تخلو من صورته يومياً. يعرفه مصطفى بلا شك، ولكنه لم يكن يدري أنه من الممكن أن يكلف بمثل هذه المهام. صحيح أن الموضوع يدخل في دائرة تخصصه، ولكن أن يسافر

خصيصاً لمقابلته فهذا على ما يعتقد من صميم عمل الجهات الأمنية.

في الموعد المحدد كان مصطفى في بهو فندق «ماريوت». وصل إلى هناك مستخدماً سيارة أجرة؛ إمعانا في تضليل من يتبعه إذا كان هناك من يتبعه! جلس في البهو قليلاً ثم ما لبث أن رأى سليمان فهبط قادمًا ناحيته. الغريب أن سليمان تعرف عليه. حياه وجلس أمامه إلى المائدة.

- إزيك يا مصطفى بك؟ أرجو أن تكون بخير.

- أهلاً بحضرتك، أنا أعرف سيادتك ولكن كيف تعرفت علي؟

- لماذا التواضع يا دكتور؟ نحن نعرفك جيداً.

- متشكر جداً.

- المهم. حتى لا نضيع الوقت. وصلتنا رسالتك مع رأفت وقد تعودنا أن الرجل لا يتكلم في أي موضوع إلا لو كان على درجة عالية من الأهمية؛ لذا جئت لمقابلتك وأسالك: ما طلباتك؟

- طلباتي؟ ليس لي أي طلبات. أرى أن المسألة تهم أمن البلد وتتيح له ثروة لا تقدر بالمال فقط. لذا يجب البدء في استغلال هذا المورد الذي تعتمد البعض إخفائه والتمويه عليه طويلاً بينما يظهر في أماكن أخرى ..

- نعم نعم، ولكن أقصد ما الخطوة التي تقترحها الآن؟

- أقترح أن تشكل لجنة على أعلى مستوى من رؤساء أقسام الجيولوجيا بالجامعات المصرية لمناقشة تقريرتي فإذا ثبت أني على حق فسنبدأ. هكذا تعلمنا في البحث العلمي: المناقشة والتحقق.

- تمام. هذا ما فكرنا فيه، ولكن توجد عدة نقاط أريد أن أثيرها:
- أولاً: لا يمكن أن يتم هذا من هنا لابد أن تأتي إلى مصر وهناك ستجتمع مع اللجنة التي ستقرر أنت من يكون أعضائها.
- ثانياً: لا بد من توفير الحماية لك. لن نستطيع توفير الحماية لك هنا؛ الوضع لا يسمح. احم نفسك هنا بطريقتك وستولى حمايتك في مصر. تذكر أشرف وسعاد ومن قبل سميرة والمشد. وتأكد أن أعداء البلد ليسوا فقط من خارجها، بل إن أشد الأعداء هم الذين يلدغونك من الداخل وما أكثرهم .
- ثالثاً: بلا شك أنك أذكى وأعمق من أن تكون قد أغفلت حماية شرك والتحفظ عليه في أمن مكان. فقط أريد تأكيد المعلومة.
- سليمان بك. بما أنك قد تطرقت إلى مسألة أمني الشخصي فلا بد أن أسرد عليك ما جرى بهذا الشأن.
- حكي مصطفى لسليمان كل ما يتعلق بمشعل ودينو وما نبهته إليه شيللا وحكاية نزياس أو دينو المتنكر وصورته على تليفون شيللا.
- قال سليمان: ها أنتذا تقلب المائدة رأساً على عقب بهذه القصة لقد دخلنا فص الجد إذن. وستحول المسألة إلى مواجهة مفتوحة. لابد إذن أن تعجل بالعودة إلى مصر. أكرر تعجل بالعودة لمصر.
- سليمان بك. لا أريد أن أثقل عليك أو أستغل كرمك، ولكن أريد تحقيق مطلبين في منتهى الأهمية. أولاً: توفير الحماية لـ «شيللا» فهذه الفتاة رفضت المال من أجل المبدأ. ولا أعتقد أنهم سيتركونها.
- طبعاً فكرت في هذا أعطني بياناتها وسيتم الاتصال بها وأخذ صورة

«دينو» من موبايلها وسنوفر لها حماية أكثر مما تتخيل , فمن السهل

- حمايتها عن حمايتك. والمطلب الثاني؟
- بالنسبة لي. أرجو ألا أتعرض في مصر لأي مضايقة بسبب ماضي تعرفون جيدًا أنني لا دخل لي فيه ..
- ماذا تقصد؟ أفصح.
- سليمان بك. أكيد أنت تعرف تاريخي العائلي.
- تقصد عبد الرحمن رضوان؟
- نعم.
- يا راجل. هذا موضوع انتهى من زمان.
- لا أظن ذلك. لقد حضرت إلى مصر من حوالي عشر سنوات -وكنتم في أوج مقاومتكم للإرهاب- في مهمة علمية وخرجت بأعجوبة وكدت أن أفقد وظيفتي وعملي الخاص هنا. ومنذ فترة قصيرة طلب مني أحد طلاب الدكتوراة أن أناقش رسالته في القاهرة أو على الأقل أحضر مناقشتها وتم رفض الطلب من العميد.
- مصطفى بك. أريد أن أتكلم معك كرجل لرجل وعقل لعقل ساحني، هل كنت تتصور -مهما كانت مثالية أي نظام حاكم في أي بلد مهما كانت درجة ديمقراطيته- هل تتصور أن هذا النظام كان يمكنه التسامح مع شقيق رجل ساهم بشكل إيجابي في قتل رئيس الدولة والتخطيط لثورة إسلامية شاملة طيح بنظام الحكم في مصر ومن ثم الدول المجاورة والمنطقة كلها؟ اذكر لي اسم هذا النظام إذا وجدته.
- أوافقك ياسيدي، ولكن المسألة لا تصل إلى حد قطع الأرزاق وتشيت

العائلات وتكدير حياة الأبرياء!

- اللي فات مات يا مصطفى، أعدك برفع اسمك من كل القوائم السوداء. يكفي يا أخي ما ستقدمه للبلد ليشفع لك. هذا وعد شخصي مني. هل لك أي مطلب آخر؟
- لا.
- حاول أن تعود للقاهرة مع نهي؛ فهذا يساعد في عملية الترميم!
- أسقط في يد مصطفى.
- هل تعرفون موضوع نهي؟
- بلا شك، ونقدر لك الجهد الذي بذلته معها. ولا تسألني عن «مصدرنا» فهذا سر، مساعدة شخصية مصرية تعرضت للبهدة في بلد أجنبي يعتبر مهمة قومية. ونحن نشكرك على ذلك، ونعلم تمامًا أنك أدت هذه المهمة «لوجه الله» وضحك سليمان. العصفورة قالت لنا.
- قال دينو لأليكس وهما يحتسيان البراندي في إحدى حانات لندن:
- أعتقد أنه لا داعي للانتظار أكثر من ذلك؛ فالفتاة لا تبدو متعانة معنا.
- لا أوافقك على هذا الرأي؛ أعتقد أنها فقط تتحين الفرصة. لا أحد في مثل وضعها يتنازل عن هذا المبلغ بسهولة.
- دعنا منها الآن وإن كان من الممكن «قرص ودعها» قرصة بسيطة للتذكيرة ليس إلا، ولكن مصطفى آن الآوان لاتخاذ إجراءات -ليس بالضرورة العنف الآن- ولكن على الأقل الضغط عليه قبل أن يهرب؟

- وإلى أين يهرب؟ لقد أحرق كل مراكبه في القاهرة؛ عمله هنا واستثماراته هنا وماضيه الأسود مع النظام هناك. أنا معك في أن نبدأ بالضغط حيث ننبش في الماضي؛ مثلاً توجد حساسية الآن من عبارة «تمويل الارهاب»، أيضاً توجد هذه الممثلة التي تقيم في منزله. طبعاً هذا اذا لم تصدر الأوامر باستخدام الخيار الأخير. ما رأيك؟
- دعني أفكر لفترة قصيرة ثم نتخذ القرار.

عاد مصطفى إلى حيث ترك سيارته يفكر في الخطوة القادمة. اتجه إلى كرويدون وراح يحدث نفسه: بما أن المصريين قد عرفوا بموضوع نهي، فلا شك أن دينو وإخوانه عرفوا به أيضاً. وقد يستغلونها للضغط عليه كما فعلوا واشتروا كارلا وحاولوا تخنيد شيللا. إذن فقد حان وقت التحرك وبأسرع ما يمكن.

أين يختفي قبل أن يؤمن نفسه ويرحل للقاهرة؟ هل يختفي في كرويدون؟ مستحيل. إلى جلاسجو أو أدنبرة؟ جائر، ولكن ... لقد وجدتها كارديف! سأذهب إلى كارديف عصام شعبان، عصام هو مفتاح اللغز، الملقأ والملاذ، حان وقتك يا عصام.

أمسك بالموبايل إلا أنه تذكر أنه لم يسجل أبداً اسم ورقم عصام! ما العمل إذن؟ نعم نعم لقد أخذت منه رقم خالتي عواطف، سأتصل بها وأخذ منها رقمه.

- ألو، طنط عواطف؟

- أيوة. مين؟

- أنا مصطفى يا خالتي. مصطفى رضوان.

- مين يا بني؟

- مصطفى يا خالتي. ابن أختك نعمت، بتاع لندن.

- أهلاً يا حبيبي. إزيك؟ أنا متشكرة يا بني على اللي عملته مع عصام؛ ماهو زي أخوك برضه.

- العفو. زي أخويا؟ قولي زي ابني. أنا عجزت يا خالة. وحياتك عايز رقم عصام هنا لأني للأسف ضيعته.

- حاضر يا حبيبي، ثانية واحدة يا ريم يا ريم هاتي لي يا بنتي رقم عصام.

- انتظر مصطفى حوالى خمس دقائق على أعصابه وأخيراً وصلت ريم

وأملت عليه رقم عصام.

- ابقى خيلنا نشوفك يا حبيبي. قالت عواطف.
- قريبًا. قريبًا جدًا بإذن الله.
- اتصل مصطفى بعصام وأخبره بأنه سيكون عنده باكر في «كارديف» وسأله:
- قل لي يا عصام. عندكم مكان لبيات شخص واحد؟
- لو ما شاليتكش الأرض أشيلك أنا يا دكتور!
- حبيبي. ليس هذا وقته. تكتم أمر وصولي فالموضوع أخطر مما تتخيل واعمل حسابك على بيات امرأة عندك ابتداءً من باكر. قبل أن أصل سأتصل بك لتلتقطني من مكان وصولي. إوعى يا عصام إوعى تنطق بأى كلمة لأحد.

أنهى المكالمه، تاركًا عصام في حيرة ودهشة وإحساس بقرب الدخول في مغامرة مجهولة.

قال مصطفى لنهى وهو جالس في صالة منزله في «كرويدون» يدخن سيجاره الكوبي:

- هذا يا سيدتي الفاضلة كل ما في الأمر، حكيته لك بالتفصيل الممل ولم أكن أرغب أن تكوني طرفًا في الموضوع، ولكن هذا ما حدث شئنا أم أبينا أصبحنا في مركب واحد.
- وأنا أسعد واحدة في الدنيا أن أكون في مركب واحد معك.
- ما أجمل الرومانسية في لحظات حالكة مثل هذه!

- المهم ما الخطة الآن؟
- اليوم لا تدعي روز أو مسز طومسون تعودان للندن. أما سينج فسأطلب منه البيات هنا داخل المنزل وليس في الاستراحة، وسيتم إغلاق كل الأبواب بالترايبس وإطفاء كل الأضواء حتى يتوهم أي مراقب أن المنزل خالي. وفي تمام الثامنة من صباح باكر سيأخذك سنج إلى محطة قطارات لندن ومعك حقيبة ملابس صغيرة تكفي يومين أو ثلاثة. سأقابلك في المحطة أمام رصيف القطار المتجه إلى كارديف سنذهب إلى هناك حيث ستقيم مع عصام وزوجته دكتورة شيماء. أما أنا فسأقيم في أحد فنادق الدرجة الثالثة أو قولي العاشرة إلى أن أرتب كل شيء وأؤمنك وأؤمن نفسي ثم نغادر للقاهرة.
- مصطفى. أنا خائفة.
- لا تخافي الله معنا.
- ماذا قلت؟
- الله معنا.
- الله!
- مالك؟ مستغربة لأني أقول ذلك؟ هل أنت الآن منتظمة في الصلاة؟
- منذ صدور ألبومي وأنا لا أفوت فرضاً والحمد لله.
- خلاص اتفقنا؟ فيه أي شيء غير مفهوم؟
- لأ. غداً أمام قطار كارديف. وهل سأترك كل أشيائي هنا؟
- ابدأي من اليوم بإعداد حقائبك بهدوء بحيث يمكننا التقاطها بسهولة عندما نقرر السفر. لا بد أن أذهب الآن.

في منزله بلندن جلس مصطفى يحتسي كوبًا كبيرًا من النسكافيه. وراح يبدل مجهودًا خارقًا في التفكير حتى لا تفوته شاردة أو واردة ويحكم إعداد خطة الهروب، طلب من كومار عدم الانصراف ووعدته بتعويضه ماديًا عن هذا فأجابه كومار الوفي بأنه سيفعل هذا بصرف النظر عن أي تعويض.

دخل مكتبه أو «المحراب» وأغلق الباب بالمفتاح. فتح خزانة سرية تحت الأرض وأخرج منها أربع أسطوانات مدججة وكتيب مليء بالخرائط الملونة والرموز والشفرات. جلس على المكتب وبكل هدوء صنع نسخة من كل أسطوانة كما صنع نسخة وضعها على «الفلاش ميموري».

مسح الكتيب الملون ضوئيًا بعد فككه من غلافه وصنع منه نسختين. وضع الأصول في حقيبة جلدية عليها «بادج» لماركة أحذية رياضية معروفة، وضع النسخ في حقيبة جلدية عادية أخرى ثم وضع كل هذه الأشياء في كيس بلاستيك كبير خاص بمجموعة متاجر معروفة بالمملكة المتحدة.

جلس ليستريح بعد هذا المجهود. لمح بجوار مكتبه البار الخاص به، فتحه ووجده مليئًا بأجود وأغلى أنواع الخمور؛ بعضها هدايا وبعضها اشتراه هو من بلدان العالم المختلفة التي زارها، من التشيك ومن فرنسا ومن الولايات المتحدة وغيرها كثير. وها هي زجاجتي فودكا روسية أصيلة وصلته كهدية من «جريجوريف» الجيولوجي الروسي المعروف. نظر مصطفى إلى الزجاجات بالبار وفجأة قرر أن يحطمها وقبل أن يفعل فكر في أنه لا يجب أن يلفت النظر بأي رد فعل عصبي أو تلقائي؛ فليكن كل شيء بهدوء. نادى كومار وقال له:

- كومار أرجوك خذ هذه الزجاجات وتخلص منها، لا أريد شيئًا منها اليوم بالبيت. افعل بها ما تشاء، اشربها، بعها، حطمها، افعل ما تشاء.

- سيدي! ولكنها خمر غالية الثمن ومن أجود الأنواع؟
- افعل ما قلت لك يا كومار. خذ صندوقاً من المطبخ واجمع فيه الزجاجات وتصرف فيها كما يحلو لك.

كانت ليلة ليلاء؛ لم يستطع فيها مصطفى أن ينام إلا بعد تناول حبة مهدئة قوية وبالكاد استطاع أن ينام ثلاث ساعات وبعد أن أغلق على نفسه باب غرفته بالمفتاح وبعد أن وضع تحت وسادته مسدسه غير المرخص والذي وصله كهديه من الجيولوجي الباكستاني المعروف «محمد مظهر خان» والذي لا يعرف كيف هربه إلى لندن! استيقظ مصطفى متعباً، ولكن متفائلاً وقال لنفسه اليوم يوم جديد!

كانت الليلة غير تقليدية بالنسبة لنهى أيضاً جمعت حولها مسز طومسون و روز -خوفاً ربما أو قلقاً- ورحن يتحدثن في أمور شتى. راحت مسز طومسون -بالرغم من تحفظها- تحكى قصصاً من حياتها وحياة أبنائها وأحفادها. وراحت روز تتحدث عن زوجها الذي يكافح في الفيليبين من أجل الحصول على تأشيرة لبريطانيا وثمان التذكرة ليلحق بها! أوشكت الساعة على الثانية صباحاً فأمرت مسز طومسون الجميع بالذهاب للنوم فوراً.

راحت نهى تتقلب يمينا ويساراً وتحاول ألا تفكر ولكن هيهات، راحت تتخيل نفسها في القطار مع مصطفى وتخيل منزل عصام وكيف ستستطيع النوم

مع امرأة لا تعرفها؟ راحت تتخيل سيناريو لعملية خطفها أو قتلها أو إطلاق النار على مصطفى ثوان معدودة ثم تزيع المشهد عن فكرها بسرعة! أخيراً جاء

النوم، ولكن قلق ومتقطع ومليء بالأحلام التي لا معنى لها ولا تفسير!، دخل مصطفى الحمام وبدون تفكير وجد نفسه يتوضأ ويسبغ الوضوء ويدعو الله مع كل دفعة ماء تلمس جسده أن يوقفه ويعفو عنه. بحث عن سجادة صلاة قديمة - كانت تستخدمها أخته عندما تأتي لزيارته- فلم يجدها، فشرع يصلي على سجادة الغرفة العادية ولم يعرف اتجاه القبلة فاستعان بحاسته الجغرافية وتوجه إلى ركن معين وبدأ الصلاة. ومع «بسم الله الرحمن الرحيم» تذكر أنه تقريباً لم يصل منذ ثلاث سنوات باستثناء صلاة العيدين وبعض الجمع. صلى الصبح وسجد طويلاً و دعا الله أن ينتهي هذا اليوم على خير.

ارتدى بنطلون جينز قديم وبلوفر أزرق ومعطف عادي جداً يرتديه أي رجل إنجليزي من عامة الشعب. كانت هذه الملابس دائماً في دولابه تذكره بأيام كفاحه الأولى بلندن، لم يجد في نفسه أي رغبة في احتساء القهوة أو أداء أي طقس من طقوسه. أيقظ كومار وأخبره أنه ذاهب في رحلة مع الجامعة لموقع حفريات وأنه قد يتأخر ليومين أو ثلاثة. ترك له بعض المال وأبلغه أنه في أجازة إلى أن يعود.

لم يحمل معه أي حقائب، فقط كيسه البلاستيكي وبداخله كنزه النفيس. خرج من المنزل من الحديقة الخلفية وسار في الشارع الجانبي حتى وصل إلى مترو الأنفاق. ركب المترو ونزل في محطة بادينجتون ومنها سار حتى وصل إلى محطة قطارات لندن. اشترى تذكرتين إلى كارديف بدون استخدام كارت الفيزا. جلس إلى أحد المقاعد بعد أن وضع بعض العملات المعدنية في ماكينة القهوة واستلم قهوته، راح يرتشف القهوة بشيء من الارتياح وهو ينتظر وصول نهي في كل لحظة، لمحها من بعيد ومن خلفها سنج يحمل حقيبتها، لم يتعرف عليه سنج وهو يرتدي النظارة والقبعة والملابس الكاجوال. انصرف سنج بعد توديع نهي، جرى مصطفى ناحيتها وبدون تفكير وبدون وعي وجدا نفسيهما

لأول مرة في عناق حار وهكذا جاء التلامس الأول بينهما مفاجئًا وتلقائيًا!

تأبطت نهي ذراعه وسارا في اتجاه القطار، لم يتكلما كثيرًا، وصلا إلى مقعديهما المتقابلين. ظلت نهي ناظرة إليه في إعجاب وهو يتابع نظرتها بارتياح وطمأنينة وأخيرًا انطلق القطار، م تكدر ربع ساعة حتى راحت نهي في سبات عميق سائدة رأسها إلى نافذة القطار. تأملها مصطفى، القلق، المتيقظ دائمًا وراح يحدث نفسه: يا إلهي ما أجملها وهي نائمة، بل ما أجملها وهي مستيقظة، ما أجملها عندما تطبخ، عندما تغني، وهي منفعة، وهي راضية، ما أجملها في كل الأوقات!

يا رب إليك وحدك أتوجه بالدعاء اللهم احفظها واحفظني. لقد طال غيابي عنك يا الله ضللت الطريق وأخذتني الحياة إلى طرق أخرى غير طريقك، ابتعدت عنك ولم تتخل أنت عني، أعطيتني الكثير الكثير جدًا، بل أكثر مما أستحق، وبخلت عليك بالعبادة والطاعة وحتى بمجرد الذكر.

أعترف بكل الخطايا التي ارتكبتها شربت الخمر، وزيت، ولم أقرب الصلاة، حتى الصيام أقنعت نفسي بتركه لأنه ضار بالصحة! فعلت كل ذلك وكلما ازدادت إثمًا كنت تغدق علي بالنعمة أكثر الصحة والمال والنجاح. ومع ذلك لم انتبه! كان ضميري أحيانًا يؤرقني ويوقظني، ولكني كنت أدفنه في أعماقي وأقول ألا يكفي ما تعرضت له من ظلم في بلادي؟ أليس من حقي أن أعيش لأنسى؟ لم أكن أقنع بما أقوله ولكني كنت أستمع في العصيان.

فعلت كل هذا، ولكني لم أكفر بك أبدًا، ولم أشرك بك أبدًا. فقط كنت أقول إنك غفور رحيم وأني لا أؤذي أحدًا، جائر كنت أؤذي نفسي، ولكني لم أؤذي أحدًا من عبادك، وأنت تشهد على

ذلك، كنت أردد بيني وبين نفسي ترجمة رامي لرباعيات الخيام:
إن لم أكن قد أخلصت في طاعتك فإنني أطمع في رحمتك

وإنما يشفع لي أنني قد عشت لا أشرك في وحدتك

نعم، لم أشرك أبدًا في وحدانيتك ولم أُلحد؛ فقد كان علمي يجعلني دائمًا على
بعد خطوات قليلة منك وكلما تبهرت فيه كلما آمنت بوجودك ولكنه إيمان
هش وعقيدة ناقصة تحتاج للعمل وللطاعة لتثبت في الوجدان.

يا رب ها قد عدت إليك بكل صدق وإخلاص، وكلّي ثقة في رحمتك
وغفرانك. أنا لست حريصًا على حياتي أو على الدنيا؛ فقد عشت حياتي
طولًا وعرضًا وعمقًا، جبت أركان العالم، ذقت رغد العيش، عاشرت أجمل
النساء، اعتليت أرفع المناصب العلمية وكرمت من بلدان العالم المختلفة -عدا
بلدي طبعًا!- ولم يعد لي أي رغبة في زيادة في التكرم أو في المال -الذي
أملك منه الملايين- وليس لي ولد يرثني أو أخاف عليه من بعدي.

فقط يا رب أمهلني حتى أصل لمصر وأسلم الأمانة، وبعدها افعل بي ما
شئت! حرام أن يضيع مجهودي وتعبي سدى، أو يستفيد منه «أئمة الكفر
والشر» أما هي يا رب فأحفظها وأوصلها سالمة. أنا لا أعرف مصيري معها
ولم أفكر بعد ماذا سنفعل. فقط احفظها يا الله فهي جميلة ونقية وبريئة ومع
دخولها حياتي عدت إلى حظيرتك.

يا عالم الأسرار علم اليقين ياكاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار عدنا إليك فأقبل توبة التائبين

يسم الله الرحمن الرحيم

«إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم»

استراح مصطفى وهدأ بعد أن ناجى ربه وبعد أن قرأ هذه الآية التي كانت
تقرأها له أمه قبل الامتحانات. استطاع أن يظفر ببعض النعاس، أفاق منه
ليجد نهي مستيقظة تحديق فيه وابتسامة خفيفة على شفيتها.

- أنت صحيحة؟

- نعم وكنت أراقبك وأنت نائم!

- كنت أحتاج لدقيقة من النوم لأستطيع أن أواصل، فالحمد لله.

- هل أوشكنا على الوصول؟

- نعم خلال ربع ساعة سأتصل بعصام الآن لينتظرونا.

وصل القطار لكارديف. حمل مصطفى حقيبة نهي بيد وباليد الأخرى يحتضن
الكيس البلاستيك ويضم نهي إليه. راح ينظر لكل البشر حوله ويتوجس
خيفة من أي إنسان يبدو مريباً أو يأتي بحركة غير متوقعة! ونهي تنظر إليه في
دهشة فقد ألفتة رجل هادئ الأعصاب، رابط الجأش يخطو الخطوة بحساب.

قال مصطفى لنفسه لا أذكر اسم الفيلسوف الألماني الذي قال عش في الخطر
تشعر بالسعادة! أيًا كان اسمه فمن المؤكد أنه مخطيء، هأنذا أعيش في قمة
الخطر ولا أشعر إلا بالتوتر والخوف! لا بد أنه كان يقصد معنى أكثر عمقاً!
أخيراً ظهر عصام في الأفق.

- حمداً لله على السلامة.

- إزيك يا عصام. إوعى أكون عطلتك عن شغلك؟
- إطلاقاً يا فندم.
- هذا المهندس عصام يا نهي، بمثابة ابني وهذه نهي هانم الف...
- غنية عن التعريف... أهلاً مدام نهي.
- أهلاً بيك.
- سمعنا الشريط يا فندم على انت حاجة ممتازة بس قلبت علينا المواجه! نظرت نهي إلى مصطفى ضاحكة فقال:
- إحنا لسة كنا بتكلم ونقول إزاي الألبوم تسرب؟ ده لسه أصلاً مانزلش السوق!
- تكنولوجيا بقي يافندم!
- لم يكن عصام يمتلك سيارة فأشار مصطفى إلى سيارة أجرة. ركبوا، ثم راح عصام يصف للسائق كيفية الوصول للمنزلن حاسب مصطفى السائق بعد إلحاح مستميت من عصام ثم قال وهم أمام باب المنزل:
- واجب برضه تبلغ الدكتورة أننا وصلنا؟
- حضرتك صاحب بيت. تفضل.
- دخل مصطفى وعصام ونهي بعد أن فتحت لهم الباب سيدة مصرية في العشرينات من عمرها، وجهها لطيف ومريح وبشرتها قمحية وتضع حجاباً غير مبالغ فيه على رأسها.
- أهلاً وسهلاً شرفتونا. قالت الدكتورة شيماء زوجة عصام . سلمت على

مصطفى باليد رغم أنه كان متردد في مد يده لأنه يعلم ما استحدث على المجتمع المصري في الأونة الأخيرة. ثم فوجيء بشيماء تحتضن نهي بشدة وتقبلها على وجنتيها وسط دهشة نهي التي ما لبثت أن انتبهت لحرارة اللقاء فبادلت شيماء العناق بالعناق والقبلات بالقبلات، وحرارة الاستقبال بحرارة أشد في التلقي.

- حضرتك نورتيئا. كان نفسي أشوفك من زمان، ولم أتخيل أن أراك هنا في بريطانيا وأيضاً في منزلي! أهلاً وسهلاً .

- ارتاح مصطفى للقاء وراح ينظر للشقة من حوله فوجدها صغيرة، متواضعة، ولكنها نظيفة ومرتبة ويشع منها الدفء، دفء بيت مصري من الطبقة المتوسطة التي مازالت تكافح حتى لا تندثر كما اندثرت أشياء أخرى كثيرة.

- دكتور مصطفى. مهما فعلنا فلن نستطيع أن نشكرك على ما فعلته معنا؛ يكفي أنني الآن أعمل في الفترة المسائية، وفي شيء ليس بعيد عن تخصصي «مساعدة باحث» لم أكن أحلم بأكثر من جليسة أطفال! الفضل طبعاً لسعادتك.

- الفضل لله ولنيثكما الطيبة.

- قال مصطفى ذلك وانددهشت نهي فهي لم تتعود منه هذه الردود!

- عصام أرجو أن أنفرد بك قليلاً، ثم همس في أذنه «مكان لا يسمعا فيه أحد» وقبل أن يغادر الغرفة فتح باب غرفة كانت مغلقة وخرج منه طفل في حوالي الثالثة من عمره. نحيف، شعره أسود وناعم، وعيناه سوداوان، وحافي القدمين.

- مصطفى. حبيبي أنت صحيت؟ قالت شيماء، هذا مصطفى ابني يا

مدام نهي.

- لم تقل لي أن ابنك اسمه مصطفى يا عصام! قال دكتور مصطفى.
- خفت أن تظن أنني أنا ففك!
- ضحك مصطفى الكبير وقال ربنا يخليهولك واتجه إلى الطفل وحمله وقبله.
- نظر إليه الطفل وقال بالإنجليزية: من أنت؟
- ضحك دكتور مصطفى وقال لعصام: هو هاي عوج لسانه من دلوقت؟

أخذ عصام مصطفى الكبير إلى الغرفة التي خرج منها الصغير وأغلق الباب ورائه وقال: هنا أمان يا دكتور مصطفى تفضل، حكى مصطفى لعصام الموضوع من أوله وبالتفصيل وكان يطيل في النقاط الفنية لأن عصام مهندس ومعيد في الجامعة ومتفوق. راح عصام ينصت بكل جوارحه ولا يكاد يصدق ما يسمع والذي يشبه ما يحدث في أفلام السينما. في نهاية الحديث أوجز مصطفى لعصام ظروف تعرفه على نهي وكيف أصبحت جزءاً من الموضوع بلا سبب سوى أنها ظهرت في طريقه بالصدفة. وقف مصطفى ومشى حتى وصل إلى منتصف الغرفة ثم قال:

- والآن نجيء إلى أهم ما في الموضوع. فتح الكيس البلاستيك وأخرج المحفظة الجلدية التي تحتوي على النسخ وقال: عصام أنت الذي ستحتفظ بالنسخ، سنتفق معاً على مكان نحفظها فيه فإذا حدث لي مكروه ستقوم بالاتصال بأشخاص سأعطيك أرقام تليفوناتهم لتسلمهم النسخ وتتأكد من أنهم سيكملون المشوار! وإذا لم يحدث لي شيء وتم تسليم الأمانة في مصر فسوف نكون على اتصال لنرى ماذا سنفعل؟
- وعلى فكرة ليس شرطاً أن يكون المكروه الذي أتعرض له هو الموت؛ فمن الممكن أن أمرض أو يحدث أي شيء يحول بيني وبين مقابلة

اللجنة؛ إذًا فعليك أن تنتظر مني تليفون أو إشارة أخبرك فيها أن كل شيء تمام. فإذا لم يحدث هذا خلال أسبوعين من الآن فابدأ في التحرك.

- لا تنسى يا عصام -وأكيد طنط عواطف أخبرتك- أن اسمي ضمن القائمة السوداء في مصر.

- أعرف طبعًا موضوع عبد الرحمن، ولكني أعتقد أن هذا أمر قد انتهى؟

- علينا توخي الحذر. لا أحد يعرف كيف يفكر المسؤولون هناك؟ وعامة الأمن في جميع أنحاء العالم يؤمن بنظرية «المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم» عصام إنها أمانة كبيرة وأنا أثق فيك. على الأقل أنت من دمي وفوق ذلك فراستي المحدودة تخبرني بأن معدنك أصيل وأنا طبعًا خبير المعادن. ها ها ها هل موعد صلاة الظهر قد حان؟ يلا، «أمنًا» للصلاة؛ فنحن في منزلك و لكن دعني أتوضأ أولًا.

أصرت نهي أن تدخل المطبخ لتساعد في إعداد الطعام. فشكتها شيماء إلى مصطفى قائلة:

- نهي هانم ضيفتنا وتدخل المطبخ! أرجوك «حوشها».

- ما لا تعلمينه يا دكتورة شيماء. أن نهي أعظم طباحة قابلتها بعد أمي رحمة الله عليها، فدعيتها تساعدك وإن كنت أظنك لا تقلين مهارة عنها وعن أمي. حب عصام لك دليل على ذلك!

- ضحك الجميع.. كان المشهد غريبًا بعض الشيء. نهي ببشرتها البيضاء وملابسها الأنيقة الحديثة وقامتها المشوقة وشعرها الخروي المنسدل وقد وضعت عليه إشاريًا ورديًا لحمايته من رائحة الطبخ تعمل بهمة ونشاط

في المطبخ وبجوارها شيماء ببشرتها القمحية وملاحظها البسيطة الطيبة وملابسها الواسعة وحجابها تباين في المظهر، ولكن وحدة في المشاعر فكلتاهما أحست بالارتياح تجاه الأخرى وكلتاهما تحاول ترجمة هذا المعنى للأخرى. راحتا تتحدثان أثناء العمل، كان لدى شيماء من الجرأة وأيضاً من التلقائية ما جعلها تسأل نهي بوضوح كيف تعرفت على دكتور مصطفى؟ فوجئت نهي بالسؤال، ولكنها لم تردد في أن تحكي لها بإيجاز قصتها مع جاسم ومصطفى. أنصت إليها شيماء وهي فاغرة فاهها، ولم تكتفي بهذا البوح من جانب نهي وإنما سألتها وبوضوح:

- مدام نهي معذرة، هل تحبين دكتور مصطفى؟
- ترددت نهي في الإجابة، ولكن لم يكن هناك مفر من قول الحقيقة.
- نعم. فهل تكتمين السر؟
- طبعاً. في بئر مالوش قرار! وهو؟
- هل إذا قلت نعم أكون قد أفشيت سره؟
- الذي يحب بجد لا يخشى أن يعرف أحد سره حتى لو كان في حجم أو مكانة دكتور مصطفى.

كانت جلسة تناول طعام الغذاء حميمية بدرجة كبيرة؛ لم يتكلف أحد حتى مصطفى -المتحفظ- كان يأكل كما لو كان يأكل في بيت خالته عواطف! نسي البروتوكول ونسى استعمال الشوكة والسكينه أحس أنه مصطفى طالب الثانوي الذي كان يخرج أحياناً من مدرسته إلى بيت خالته لزيارتها وتناول الغذاء معها ومع زوجها وبناتها! أما نهي فلم تشعر بأي غربة -وهي التي تعتبر دخيلة عليهم- أحست أنها وسط

أهلها حتى نظرة عصام لها - لم تشعر أنها نظرة شاب إلى امرأة جميلة -
ولكن نظرة ابن بلد إلى امرأة دخلت بيته فلا بد أن تشعر أنها على راحتها،
والدكتورة شيماء كانت مثلاً حيّاً لربة البيت المصرية التي بمجرد أن يأتي إلى منزلها
ضيوف، فلا بد أن تكرر كل جهودها من أجل أن تشرف زوجها أمامهم.

كان مصطفى الصغير يجلس على مقعده ومن حين لآخر تناوله نهي
الطعام وتبذل مجهوداً لتتابع سرعة حركته وإقناعه بفتح فمه! أحس ساعتها
مصطفى أنها مشتاقة للأمومة وتتوق إلى طفل تشبع فيه أمومتها وحنانها.
ترى هل من العقل أن تنجب يا مصطفى وأنت في هذه السن؟ وهذه
الظروف؟ قال مصطفى لنفسه ثم استطرد «دع الأيام تجيب عن الأسئلة»

دكتور مصطفى. قال عصام: تفضل حضرتك ونام شوية سنغلق عليك الغرفة
ولن يزعجك أحد، أما أنا فسأذهب للمكتب وسأعود في التاسعة وشيماء
ونهي هانم ستجلسان معاً وأظنهما لن تتوقفا عن الكلام إلى أن أصل.

- عصام لا. سأنزل الآن لأبحث عن فندق صغير كما اتفقنا.
- معلش، سعادتك هذا بالنسبة للمساء، ولكن الآن أنا أعرف أنك لا
بد أن تنام لأنك لم تنم جيداً أمس. أرجوك سأعود في التاسعة.
- ولكن ما يصحش يا عصام.
- أرجوك يا دكتور.
- حاضر، ولكن اعلّموا جميعاً أنه بعد عودة عصام سنذهب للعشاء في
الخارج. هذا أمر.

تسلل مصطفى الصغير بعد أن غافل والدته ودخل الغرفة المغلقة واندس في الفراش بجوار الكبير الذي فوجيء به وشعر ناحيته بعاطفة أبوية لم يجربها. طلب منه الصغير أن يحكي له حدوته! ومع أن مصطفى ليس له خبرة في ذلك إلا أنه استرجع طفولته والحواديت التي كانت تحكيها له أمه وجدته ووالده، فوجد نفسه بتلقائية يحكي له قصة الأميرة والأقزام السبعة! انسجم الطفل وما لبث أن راح في نوم عميق! قال مصطفى لنفسه: هل سيكون هذا الجيل أكثر توفيقاً منا ويحقق مالم نحققه؟

التقى الجميع حول مائدة في مطعم فخم في وسط كارديف. تولت نهي طلب الطعام لشيء ولها وكذلك فعل مصطفى بالنسبة لعصام وله. تحدث عصام طويلاً مع مصطفى قبل وأثناء وبعد الطعام. كان محور كلامه كله عن أيامه هنا في الجامعة والصعوبات التي يواجهها. فلم يكن هناك بد من أن يتطرق مصطفى إلى أيامه في نفس الجامعة والعمل الذي كان يؤديه مع الطلبة الفاشلين، وكرر عليه ما حكاه لنهي عن بحث لورد بايرون! عندئذ قال عصام: أنا إذن في نعمة؛ على الأقل لدي عمل ثابت وراتب مضمون. الحمد لله.

- أنتم في نعمة يا عصام لأنكم وجدتم أمامكم كمانت والفاكس والكمبيوتر والسكرانر والمحمول. لم يكن أيامنا هناك إلا التصوير حيث كنا نجلس في المكتبات بالساعات لنحصل على ورقة علمية مهمة! أنتم الآن تحصلون على كل ما كتب عن موضوع ما بنقرة واحدة على الكمبيوتر! ليس لكم أي عذر فكل شيء متوفر أمامكم. يجب عليكم إنجاز مالم نستطيع نحن إنجازاه.

- ولكنكم فعلتم الكثير يا دكتور مصطفى، حضرتك وفاروق الباز وزويل ومجدي يعقوب ومصطفى السيد وغيركم. فكيف تنكر هذا المجهود؟

- لا أنكره، ولكنني أقصد أننا لم نؤثر بعلمنا في مجتمعاتنا الأصلية إلا بأقل القليل، أقصد أن يترجم مجهودنا إلى واقع حي وملمس وأن تضاف إنجازاتنا إلى رصيدنا نحن وليس إلى رصيد الغرب، هذه محاولتي ومهمتي التي أتمنى أن أقوم بها. ولعلك فهمت الآن مدى خطورة الأيام القادمة وأهمية المهمة التي قد تضطر أن تقوم بها أنت؟
- أنا في قمة سعادتي لأنك اخترتني لهذه المهمة التي أرجو «ألا أقوم بها» وربنا ينجيك ويعيدك بالسلامة.
- خليها على الله.
- غادروا المطعم. ووقف مصطفى وحيّا الجميع وقال: سأترككم الآن وسأذهب للفندق الذي عشت فيه من عشرين سنة فندق «الكهف» هذا اسمه. يا ترى هل سأجده في مكانه؟
- ولكن يا دكتور مصطفى.
- بس يا عصام هذا أمر. سأبيت هناك الليلة ثم سأقوم ببعض النشاطات الهامة جدًا. كل ما أرجوه ألا تتركوا نهي وحدها أبدًا.
- أنا سأذهب للمعمل في التاسعة وسأعود في الثانية ظهرًا، فماذا عن هذا الوقت بالنسبة لمدام نهي؟
- سنغلق على مدام نهي الباب، وصاحب المنزل في الدور الأسفل لا يغادر المنزل أبدًا وهو رجل متيقظ ومتطفل بطبعه. كما أننا طماعين لأننا سنستغل مدام نهي وسنترك مصطفى الصغير معها بدلًا من الحضانة. ها ها ها
- عيب يا عصام ما يصحش كدة! قالت شيماء.

- لا عيب ولا حاجة سأكون سعيدة بمرافقة مصطفى، اذهبي يا شيماء لعملك واتكلي على الله.

- خلاص سيكون موعدنا إذن في السادسة. سأنتهي من كل مهمامي وأحضر إليكم و أرجو أن أجد طبق بامية وعيش بلدي على الغداء! ها ها ها .

- أنت تأمر يا دكتور مصطفى. قالت شيماء.

نامت نهي مع شيماء في سرير واحد في غرفة نوم شيماء ونام عصام مع ابنه في غرفة المعيشة وراح يفكر قبل أن ينام: أين يمكن أن يخفي الأمانة؟

استمتع مصطفى بالمشي في شوارع كارديف فقد استعاد بذلك أيام شبابه. وصل لفندق الكهف فوجده كأنه كان فيه بالأمس وتعجب من الذاكرة الانسانية: لقد سار في الشوارع واختصر الطرق ووصل إلى الفندق بكل سهولة. ومن الغريب أنه وجد نفس موظف الاستقبال الذي كان يعمل في الفندق من عشرين سنة! ولم يتعرف عليه الرجل بالرغم من طول المدة التي عاش فيها في الفندق.

دخل غرفته البسيطة. توضأ وصلى العشاء وأمسك بموبايله ليفتح الرسالة التي وصلت توا. كانت من شيللا: «اتصل بي الفراعنة، لا تقلق عليّ ربما نتقابل قريباً عند الأهرامات، أحبك»

حمد مصطفى الله. الآن يستطيع أن ينام بعمق فشيللا في أمان. لم يكن يتصور أن المصريين سيتحركون بهذه السرعة. ضحك لأنه تذكر أنه قال لسليمان فهمي «إذا اتصلتم بشيللا فلتكن كلمة السر «صفقة الأسلحة التشيكية» !

- ألو مستر دينو.
- نعم يا كارلا.
- اتصل بي مصطفى صباح اليوم، وأخبرني أنه في جلاسجو ومعه قريبته ليعرضها على أستاذ أمراض نساء من أصدقائه هناك وأوصى أن يتولى زملائه في القسم إعطاء المحاضرات لطلابهم مدة أربعة أو خمسة أيام.
- ممتاز، ولكن هل من طريقة للتأكد من ذلك؟
- يمكنني إعطائك اسم الفندق الذي يقيم فيه في جلاسجو وأيضاً رقم الغرفة.
- أوكى. أرسله على الموبايل. أراك قريباً وشكراً على المعلومة.
- أدار دينو رقم أليكس في التو.
- أليكس. علمت الآن لماذا لم تجد أحد في منزل كرويدون. ولا منزل لندن؛ لقد سافر الثعلب إلى جلاسجو. يبدو أن قريبته مريضة فلننتظر عودته.
- وبخصوص حسناء براغ؟
- لو ثبت أنها نبهته، فلا بد من درس صغير .
- أوكي

كان لابد أن يقوم مصطفى بحركة خداع -مستغلاً علمه بخيانة كارلا- فكان أن اتصل بها في الصباح وسرب إليها المعلومة الخاطئة، معلومة سفره إلى جلاسجو وليزيد من إقناعها وإقناع من معها حجز بالفعل غرفة باسمه وغرفة باسم نهي في الفندق ودفع أجر ثلاث ليالٍ مقدماً، واتفق مع مدير الفندق الذي يعرفه منذ زمن أن يأمر الاستقبال أن يحول أي مكاملة ليليت للنشر والتوزيع

إلى غرفته الحالية بالفندق. وعندما يسأل المتصل عن سبب عدم الرد يقال له أن دكتور مصطفى يقضي معظم الوقت خارج الفندق مع قريته بالمستشفى! اضطر مصطفى أن يهدي علبة سيجار هافانا فاخرة إلى مدير الفندق!

بعد تسريب المعلومة إلى كارلا اتصل مصطفى بيسري زيدان موظف شركة مصر للطيران والذي كان مصطفى قد أسدى إليه خدمة العمر عندما ساعد شقيقه على الإقامة الشرعية ببريطانيا. اتصل به وطلب منه أن يحجز مقعدين بصفة دائمة على مدى ثلاثة أيام متتالية على الطائرة المتجهة إلى القاهرة وبدون أسماء بحيث أنه في الوقت المحدد وقبل إقلاع الطائرة بساعة واحدة سيكون مصطفى في المطار لإتمام الإجراءات، وأخبره أنّ هذا لأمر خطير وبناءً على تعليمات جهات عليا! تردد يسري ولكنه رضخ في النهاية بعد أن لوح له مصطفى بمكافأة كبيرة!

توالت بعد ذلك اتصالات مصطفى بأصدقائه وزملائه بالجامعة وكلها تدور حول غيابه في جلاسجو مع قريته المريضة بمرض خطير! ثم اتصل بكومار وأوصاه بالذهاب بهدوء لمنزل لندن وتحضير حقيبة متوسطة فيها ثلاث بدل بألوان مختلفة وغيارات داخلية وأدوات حلاقة وخلافه، وأخبره أنه سيأتي لأخذ الحقيبة والسفر إلى جلاسجو لأن قريته مريضة هناك. أثناء تناوله طعام الإفطار اتصل به رأفت وبصا:

- إزيك يا رأفت، أنا متشكر جدًا على ...

- مش وقته دلوقت واتكلم بـ «السيم»

- ضحك مصطفى لأن هذه العبارة كانت دائمًا على لسان رأفت ومعناها الكلام بالرمز!

- ماشي، البضاعة حاتدخل الجمر ك قريبًا جدًا، ولكن مقدرش أحدد

الميعاد وإلا حايقي أيه لازمته؟ طمن الباشوات وحاتصل بيك أول ما البضاعة توصل .

- مفهوم مفهوم خللى بالك من نفسك يا مصطفى ما تستهونش، دول زي العقارب.

- طبعًا طبعًا. سلام.

خبأ مصطفى كيسه البلاستيكي تحت المرتبة، وأغلق غرفته بالمفتاح وعلق عليها لافتة «ممنوع الإزعاج» ولم يسلم مفتاحه بالاستقبال. لم يستطع صبرًا أن يظل في غرفته حتى السادسة مساءً. راح يتجول في شوارع مدينة كارديف ويسترجع ذكرياته؛ هنا كان يجلس مع كارولين زميلته في القسم التي لم تكمل أطروحة الماجستير وعملت كمدرسة علوم في الثانوى ثم انقطعت أخبارها. هذه السينما شهدت أول قبلة مع علياء! وفي هذا البار أخبر جوان أنه لا يمكن أن يتزوج الآن! وها هي الجامعة العتيقة إنها أيام فخره بلا شك. حصل على الماجستير في وقت قياسي وكانت رسالة الدكتوراة نموذجًا مشرفًا لما يجب أن يكون عليه البحث العلمي.

قرر أن يدخل السينما لعل الوقت يمضى سريعًا. اختار فيلمًا كوميدياً؛ لينسى الهم الثقيل! كان فيلمًا سيئًا فاستسلم للنوم ولم يستيقظ إلا قرب نهايته! أصبحت الساعة الآن السادسة إلا الربع. تمشى في شارع رئيسي متجهًا إلى منزل عصام. أثناء سيره أمسك بالموبايل واتصل برقم أوله ٠٩٦٦.

- ألو ميرفت؟ إزيك يا حبيبتى؟

- مصطفى! إزيك أنت، وحشتنى أوي يا حبيبي عامل أيه؟

- الحمد لله. باقول آيه. حاجة مهمة؛ أنا عايزك ترتبي لي أني أحج السنة دي!

- قالت مرفت وصوتها ينبىء عن شدة فرحها: أنت بتتكلم جد يا مصطفى؟ معقول؟ أخيراً؟ أنا مش مصدقة. كمال حايفرح جداً بالخبر ده!

- مش حاوصيكي، ده خلاص فاضل أربع شهور!

- حاتكون لوحدك؟ يعني أحجز لشخص واحد؟

فكر مصطفى وتردد في الإجابة ثم قال: والله مش عارف يا مرفت. حانكون على اتصال، يللا سلي لي على كمال والأولاد. انتهت المكالمة وقالت مرفت شقيقة مصطفى لنفسها: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» أخيراً أصبحت الساعة السادسة.

وصلت شيماء في الثانية والنصف فوجدت نهي تطعم مصطفى الصغير وتحاول بشتى الطرق إقناعه بفتح فمه.

- ليه تابعة نفسك يا مدام نهي؟

- مفيش تعب ولا حاجة. مصطفى في منتهى الظرف، ربنا يخليهولك.

بدلت شيماء ملابسها وتوضأت وصلت ثم جلست مع نهي وراحتا تتفقان على قائمة الطعام التي سيعدونها، في ذلك الوقت كان عصام في الجامعة يتلقى محاضراته وذهنه كله مع مصطفى والأمانة والضيافة الموجودة الآن في منزله. في تمام

الخامسة انطلق إلى البيت ودق جرس الباب. فتحت له نهي وهي تحمل الصغير.

- يبدو أنكما أصبحتما أصدقاء؟
- حمدًا لله على السلامة يا عصام.
- هل تصنعان البامية؟
- بلا شك. وهل نستطيع مخالفة أوامر دكتور مصطفى؟
- استأذن عصام ليغير ملابسه.
- دخلت نهي المطبخ فأخذت شيما منها الطفل وأكملت نهي ما كانت تصنعه شيما.
- نهي.
- نعم.
- هل ستعودين للفن مرة أخرى؟
- لقد عدت. ألم تسمعي الألبوم كما قال لي عصام؟
- أقصد عندما تعودين للقاهرة، هل من الممكن أن تظهر في فيلم أو مسلسل؟
- أعتقد هذا، لو عرض علي شيء مناسب.
- أرجوك يا نهي اختاريا أعمالك بعناية، ولا تظهر في إلا في عمل محترم وهادف؛ أنت إنسانة نقية والناس تحبك لله في الله، كوني عند حسن ظنهم بك.
- هذه أجمل نصيحة تلقيتها. وسأعمل بها إن شاء الله.

تناول الجميع الطعام في المطبخ، وأبدى مصطفى إعجابه بالبامية وراح يحاول أن يعرف أي السيدتين صنعت البامية؟

- الحقيقة مش عارف مين فيكم، لكنها رائعة على أي حال.
- على العموم هي إنتاج مشترك -بلغة السينما- قالت شيماء ضاحكة .
- راح مصطفى وعصام يحترسان الشاي بالنعناع وما أن فرغ مصطفى حتى قام فجأة وقال: حان وقت العمل! تعالى يا عصام. دخلا الغرفة وأخرج مصطفى حافظة جلدية وقال:
- تفضل يا عصام، هذا شيك بعشرة آلاف إسترليني؛ سأكلفك ببعض المهام أرجو ألا تعطلك عن عملك ومذاكرتك: أعط مسر طومسون راتبها أول كل شهر وكذلك روز وسنج وكومار. الكشف موجود مع الشيك وهذا مفتاح شقتي في لندن ومعه عناونها وهذا مفتاح الفيلا في كرويدون والعنوان أيضًا. انتهز فرصة عطلتك الأسبوعية أوأي عطلة وانزل لندن واسكن في أي منزل تريده على أن تستدعي كومار للعناية بالمكان خلال وجودك. ضروري يا عصام مرتبات الناس دي توصل في ميعادها.
- اطمئن يا باشا.
- ماذا فعلت بالنسخ؟
- تعالى سعادتك وشاهد بنفسك المكان الآمن الذي وضعتها فيه. فتح عصام دولابه وأشار إلى درج سحري لا يكاد يرى.
- ممتاز. المهم ألا تنسى أنت المكان. ها ها ها.
- اختلى مصطفى بنفسه قليلاً؛ فقد ذهب عصام لعمله المسائي. اتصل بكارلا على موبايلها الخاص:

- كارلا. أنا آسف لأنني أكلمك في غير أوقات العمل الرسمية، ولكن الأمر هام.

- لا عليك يا دكتور مصطفى تفضل.

- غدًا صباحًا أدخلني مكتبي وافتحي الكمبيوتر. كلمة السر اكتبها الآن: nohakh ادخلي على الملفات ستجدين ملفًا هامًا جدًا اسمه Geo. egypt. gulf أرسله إلى عنوان بريدي الإلكتروني الذي تعرفينه طبعًا. احتاجه ضروري يا كارلا باي.

- لم تنم كارلا ليلتها؟ ها هي فرصة العمر أمامها، كمبيوتر مصطفى الخاص سيكون مفتوحًا أمامها باكراً! هل بالغت في تقدير دهاء الرجل وحرصه؟ هل كل كنوزه المخبأة تحرسها كلمة سر واحدة عادية مثل هذه؟

الليلة الأخيرة لمصطفى ونهى في كارديف المشاعر فيها مختلفة، شعور خفي بالخوف من المجهول ينتاب الجميع وشعور بالوحشة يملأ قلب عصام وشيماء بعد أن استمتعا بالدفء والألفة مع الضيفين اللذين هبطا فجأة فبددا شعورهما بالغربة. أما مشاعر نهي فقد كانت غريبة: خوف ممزوج بالبهجة -إن صح هذا التعبير- فهي خائفة لأنها تعرف خلفية الموقف، ولكنها مبتهجة لأنها كما قالت في مركب واحد مع مصطفى، ولأنها ستكون قريباً في القاهرة وسترى والدتها وأصدقائها وأقاربها وتعود للأضواء، ولكنها قلقة؛ ماذا عن مصطفى؟ لقد صارحها بحبه، ولكنه لم يذكر لها أبداً ماذا سيفعل معها؟ فقط يقول: «دعي الأيام تجيب عن الأسئلة»

- عصام أفندي حنسافر بكرة إلى لندن بالطائرة، ليس عندي أعصاب لأركب القطار، حاتوصلنا المطار، ماتخافش ده حايكون قبل موعد

الجامعة .

وضع مصطفى النقاط فوق الحروف وشرح كل المهام لعصام. ودع شيماء وشهد على يديها وقال: خلي بالك من مصطفى الصغير، أنا واثق أنك أنت وعصام حاتربوه أحسن تربية، حافظوا على هويته وما تفرحوش لو لقيتوه بيتكلم بالجزيري كويس ونسي العربي. علموه كويس، لكن لازم يفضل محافظ على شخصيته. خذوا الحاجة الكويسة منهم واحتفظوا بالحاجات الكثير الكويسة عندنا. ادعوا لنا وإن شاء الله نلتقي كلنا قريباً هنا أو هناك أو في أي مكان! كادت شيماء تبكي ولكنها تماسكت وقالت: أكيد يا فندم، أكيد إن شاء الله.

- عصام، بكرة حاجيب نهي معاك المطار وسأقابلكم هناك وإحنا مع بعض بالموبايل. السلام عليكم. باي باي مصطفى. قبل الصغير على وجنتيه وغمز لنهي.

استيقظت كارلا نشطة ومستبشرة واتجهت للجامعة، فتحت مكتب مصطفى وفتحت الكمبيوتر بكلمة السر. يا إلهي. مغارة «على بابا» قالت كارلا، لنفسها، عشرات الملفات أمامها! أين الملف الخطير؟ ها هو أولاً ننجز المهمة لمصطفى، نرسل إليه الملف، ها قد تم إرساله بنجاح. والآن ننجز مهمتنا. أخرجت قرصين مدججين نسخت على واحد منهما الملف الخطير ونسخت على الآخر كل الملفات الموجودة على الكمبيوتر، ولم تنس أن تصنع لنفسها نسخة على الفلاش ميموري، أغلقت المكتب يالمفتاح. دخلت مكتبها واتصلت بدينو.

- مستر دينو ؟

- نعم كارلا.

- عندي هدية لك .

- هيا ادخلي على البهجة.
- لا ينفع الكلام في التلفون. أرجوك احضر إلى مكتبي، ولكن دعنا نتفق أولاً: الهدية يجب أن تكون بمقابل.
- طبعاً طبعاً والمقابل سيكون على قدر أهميتها.

كان مصطفى قبل يومين من الأحداث الأخيرة قد أفرغ الكمبيوتر من كل مافيه، وفك كل الشفرات وكلمات السر وملاه بملفات عادية لا أهمية لها ومنها ملف اعتنى به وكتب عليه: هام جداً. أما ملف geo Egypt gulf فقد كان ملف من صنع خيال مصطفى ملاء بخرائط جميلة وملونة تصلح لدروس الأطفال وإن كانت تبدو لغير المتخصص كشيء بالغ الخطورة!

راح مصطفى يفكر في الطائرة، ونهى بجانيه هل سيبتلع دينو الطعام ويترك له فرصة للهروب؟ رينا يستر-قال لنفسه- إنه لا يعرف مقدار القوة التي يجهزها دينو لتعقبه، ربما هناك أشخاص قرب منزله وأشخاص قرب منزل كرويدون وربما لا يوجد أحد على الإطلاق ويكون هو قد بالغ في خطورة الأمر، ولكن كيف ذلك وهو يعرف تماماً مدى خطورة وذكاء الجهاز الذي يمثله دينو؟ هبطت الطائرة في المطار ولم يخرج مصطفى ونهى منه. اتصل مصطفى بمسز طومسون:

- هل تم شحن الحقائق؟
- بكل تأكيد وكما طلبت في ميني كاب مع السائق الذي أعطيتني رقمه. سيكون عندك خلال ربع ساعة.
- مسز طومسون، كما أخبرتك، أنا في مهمة علمية قد تطول. سيصلك

راتبك هذا الشهر وكل شهر. إذا غبت أكثر من ذلك، أرجوك لا تعلمي في جهة أخرى، أنا أعلم أن أحفادك في حاجة إليك؛ اعتبريها أجازة مدفوعة الأجر إلى أن أعود. بالنسبة لروز سيسلمها قربي مرتبها وشيك باسمها لشراء تذكرة لزوجها ليزورها.

- أشكرك يا دكتور مصطفى. فليساعدك الله وأرجو إرسال سلامي لمسز نهى إلى اللقاء.
- باي.

اتصل مصطفى بكومار وتأكد من شحن حقائبه وأخبره أيضًا بموضوع الأجازة وبأن يكون على اتصال دائم مع عصام.

خرج مصطفى ونهى من المطار وتسلما حقائبهما تباغًا من السائقين. استقلا سيارة أجرة للفندق القريب من المطار حيث حجز مصطفى غرفتين لثلاث ليال؛ تحسبًا لأي طارئ. استبدلا ملابسهما حيث ارتدت نهى تاييرًا بنياً رائعاً ومعها معطفها الأروع؛ أرادت أن تبدو في أروع صورة عند وصولها للقاهرة.

أما مصطفى فقد استبدل ملابسه بأخرى من نفس النوعية «الكاجوال» اشتراها من كارديف. أغلقا الحقائب وتوجها للمطار في الثانية ظهرًا؛ لأن طائرة مصر للطيران تغادر في الثالثة. لم يتبادلا إلا أقل الكلمات فقد كان مصطفى غارقًا في التفكير ونهى غارقة في الدهشة والقلق والسرور الخفي.

كان يسري زيدان في استقبال مصطفى عند مكتب الوزن، رحب به ووجد نهى معه فعرفها بالرغم من النظارة الشمسية الكبيرة. قال

لمصطفى: دلوقت أنا عرفت سبب سرية الموضوع. ماشي يا دكتور!

- أيوة هو كدة صحيح! قال مصطفى، وحمد الله أن يسري بهذه السطحية!

تم إنهاء الإجراءات كلها؛ من دفع ثمن التذكرتين «كاش» ووزن الحقائق بهدوء. ودع مصطفى يسري وشكره بشدة. سلم يسري على نهي وقال لها: شريطك هایل يا مدام! ضحك مصطفى وقال: حتى يسري سمع الشريط يا نهي! أخيراً دخلا الطائرة وتنفس مصطفى الصعداء.

فتح دينو الأسطوانة المدجمة الأولى فوجد الخرائط الملونة، وبالطبع لم يفهم منها شيئاً، ولكنه على الأقل اطمأن أنها أشياء تختص بالجيولوجيا.

فتح الأسطوانة الثانية فوجد عشرات الملفات راح يقلب فيها الواحد تلو الآخر إلى أن وجد الملف المكتوب عليه «هام جداً» فتحه فإذا هو ملف موسيقى وإذا بصوت أم كلثوم القوي الجميل يقول: افرح يا قلبي لك نصيب تبلغ منك ويا الحبيب. افرح يا قلبي! وجم دينو واتصل باليكس على الفور.

- أرسل لي فوراً بيتر الخبير الجيولوجي وكن على استعداد فقد تسافر إلى جلا سجو وأرسل إيميل إلى «كاسبر» في براغ للاستعداد.

تعرف معظم ركاب الطائرة من المصريين على نهي، بل إن بعضهم ترك مقعده واتجه إليها للتحية والسلام والبعض الآخر هناها على الشريط والعودة لمصر.

تعجب مصطفى وقال لنفسه: نهي قامت بتمثيل فيلمين وبعض المسلسلات وغنت بعض الأغاني بالإضافة إلى شريط العودة وتعرف عليها الناس بسهولة في الطائرة! أما هو العالم الكبير صاحب المئات من الأبحاث والأوراق العلمية الخطيرة والمعروف في الدوائر الجيولوجية العالمية لم يتعرف عليه أحد، بل ربما يظنون أنه الـ «بودي جارد» الخاص بنهي!

التفتت نهي إلى مصطفى وقالت: كم أحبك يا مصطفى؛ قمت بهذا المجهود الرائع وحدك، خططت وحدك، ونفذت وحدك بكل هدوء ورباطة جأش ما أروعك.

- لا يا نهي. لم أكن وحدي؛ ساعدني الكثيرون فلولا شيللا مثلاً لكنت الآن ملقى من البلكون - كالعادة - بالرغم من أنه ليس لدي بلكون في منزلي! ولولا عصام وزوجته لما أمكننا الاختفاء لفترة والاطمئنان على الأمانة لو حدث لي مكروه، ولولا يسري وسداجة كارلا و ...

- لي ملحوظة بشأن كارلا؛ أخشى أن يكون تحذير شيللا لك منها مسألة غير مرغوبة منها في إزاحتها عن الطريق.

- ابتسم مصطفى نصف ابتسامة ولم يرد.

- هل ملاحظتي ساذجة؟

- بالعكس إنها ملاحظة في منتهى الذكاء.

- لماذا إذن لم تعلق؟

- طبعاً من الجائز، ولكن ضعي نفسك مكان كارلا التي لا يعينها بأي حال من الأحوال إلى أي الفريقين تنحاز ولا تربطها بي علاقة من أي

نوع ويعرض عليها مبلغ من المال مثلما عرض على شيللا. الأوقع أن يجندوها فهي الأقرب من عمليوالأوقع أن توافق. ومن البداية من الذي أخبر مشعل ودينو عن المحور الذي تدور فيه أبحاثي الأخيرة؟ أليست هي كاتمة أسراري؟ إذن الاحتمال الأكبر أن تكون متورطة بالفعل. أما لماذا كنت أبتسم ولم أرد؛ فلأني تأكدت من ملاحظتك أن المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان! وضحك..

- يا دمك.

- بس أهم شخص ساعدني هو أنت والله!

- أنا؟ كيف؟

- أولاً: كنت الدافع لي لحماية نفسي؛ لأنني بذلك أحميك. ربما لو لم تكونيمعياً أهملت في حماية نفسي. ثانياً: التمويه فقصة جلاسجو تقوم كلها على فكرة مرضك -لا قدرالله- أيضاً عودتي معك فيها تمويه. وسترين بنفسك كيف سينشغل الناس في مطار القاهرة بك وأتوه أنا في الزحام وهذا مطلوب.

- وماذا بعد يا مصطفى؟ ماذا عنا في القاهرة؟

- نظر إليها بحب وقال:

- أمازلت تصرين على ربط مصيرك بمصير رجل على مشارف الخمسين له ملف أسود في مصر وعصابة تطارده في بريطانيا؟

- معك حتى الموت يا سيدي الفاضل. المهم أنت. هل ستقبلني كما أنا؟ وهل سترضى عن طموحي الفني؟ صدقني أنا على استعداد أن أتخلى عن الفن إذا كان هذا ثمن لبقائي معك.

- اسمعي. عودي لحياتك في مصر وعيشي بطريقتك الطبيعية. اقبلي الأعمال التي تجدينها محترمة وتناسبك. افعلي ذلك، أسبوعين، شهرًا أو أكثر. فإذا مرت هذه الفترة ووجدت نفسك تميلين لرؤيتي ومقابلتي وأن تكلمي حياتك معي، وفوق ذلك أن أكون أنا بخير وعلى قيد الحياة! فاتصلي بي على الفور وتأكدي أنني لن أجد أجمل ولا أرق ولا ألطف منك لأكمل معه مشوار الحياة الغريب الذي عشتة!

- لازم يعني أسبوعين أو شهر؟

- لازم يا نهي ويمكن أكثر. ده مصير ومستقبل. لا بد من وقت معقول ليكون القرار سليم .

- حاضر.

تعجب مصطفى بينه وبين نفسه؛ لماذا تركه المصريون يحمي نفسه بنفسه؟ هل هي ثقة منهم بذكائه وفي أنه يستطيع حبك عملية الخداع؟ أمأنها الطريقة المصرية التقليدية: أن تفسد الطبخة من أجل توفير كمون بثلاثة قروش؟ لماذا اهتموا بشيللا وأمنوها وتركوه وحده يواجه الأفاعي؟ على رأي المثل: زي القرع نمد لبرة! مش مهم فلندع الأيام تجيب عن الأسئلة! هبطت الطائرة في مطار القاهرة ونهى في حالة غريبة من النشوة التي لم تستطع أن تخفيها. أما مصطفى فكان متوترًا لأنه متعود دائمًا أن تكون في دماغه خطة خريطة طريق يتبعها. أما الآن فلا شيء من هذا. الكرة في ملعب المصريين وما عليه إلا الانتظار. احتار مصطفى أي جواز سفر يخرج من حقيبته: المصري أم الإنجليزي. هل من الممكن أن يخفف الجواز الإنجليزي من وطأة الإجراءات؟ هل من الممكن أن يجنبه بعض المشاكل البيروقراطية؟ لم تدم حيرته طويلًا، قرر أن يستخدم الجواز المصري. لمح من الأوتوبيس اللافتة المكتوب عليها «ادخلوا مصر إن

شاء الله آمنين» تفائل. وقفت نهي قبله في طاوور الجوازات. رحب بها الضباط بالطبع! وضع يده على قلبه والضابط يفحص جوازه. هل وفي سليمان فهمي بوعده؟ تنفس الصعداء والضابط يسلمه جوازه. اتجها إلى حيث يلتقطون الحقائق، ثم إلى الجمارك. مرت حقائب نهي بسلام وبدون تفتيش. أما حقييته فتم فتحها حتى يطمئن قلب الموظف المسئول!

على البعد لمح مصطفى والدته نهي. عرفها عندما وجدها تشير إلى ابنتها التي أخبرتها تليفونيًا بموعد وصولها قبل أن تقلع الطائرة مباشرة، مع والدته نهي. كان هناك مجموعة من الفنانين تعرف مصطفى على بعضهم.

- مش حاتيجي معايا تسلم على ماما؟
- لأ. بعد المهلة. أما الآن فسأستغل الهوجة دي «أكت» أنا.
- جبت منين الكلمة دي؟ دي كلمة مصرية شعبية بحتة!
- الذاكرة رجعت فجأة!
- ربنا معاك. باى
- لأ. إلى اللقاء.

خرج مصطفى من المطار وهو يتلفت يمنة ويسرى لعله يجد أحداً ينتظره؛ فقد أخبر رأفت ويصا بموعد وصوله قبل أن تقلع الطائرة بدقائق. لم يجد أحداً.

- تاكسي يا باشا؟

- ماشي ياسطى.

- ركب مصطفى الليموزين بجوار السائق ويده الكيس البلاستيك مثل أم تمسك بيد طفلها بقوة خوفاً عليه!

- على فين يا سعادة الباشا؟

راح مصطفى يفكر؛ فهو لا يعرف القاهرة، ولا يعرف فنادقها، ولكن أكيد يوجد هنا «هيلتون».

- على الهيلتون ياسطى ..

- أي هيلتون فيهم؟

لم يعرف بم يجيب، ولكنه تذكر وقال: الهيلتون اللي جنب المتحف.

- حاضر. هو حضرتك مصري؟

- طبعاً.

- طب ليه لكنة حضرتك مختلفة شوية زي الحاجات لا مؤاخدة؟

- أصلي عشت برة كتير كتير أوي.

- آه و حضرتك راجع نهائي؟ أنصحك بلاش. البلد تعبانة والأسعار نار وما حدش عارف «احنا رايعين على فين» لو يعني.. لو يعني ال...

- لو يعني أيه؟
- لأ. بلاش. المهم يعني بلاش الرجوع النهائي ده أقعد شوية وبعدين ارجع تاني مش برضه ده تفكير حضرتك؟
- لم يدرِ مصطفى بم يجيب الرجل. هو نفسه لا يعرف ماذا سيفعل هنا؟ هل جاء ليستقر؟ إنه الآن لا يعرف إلا شيئًا واحدًا لا يستطيع أن يقوله للرجل: لقد جاء ليختبئ في مصر.

تمت بحمد الله

مكة المكرمة غرة محرم ١٤٣١

١٨ ديسمبر ٢٠٠٩ م

الكاتب في سطور

د/حازم حامد الشاذلى

صدرت له :

- رواية البحث عن احياء عن دار دون

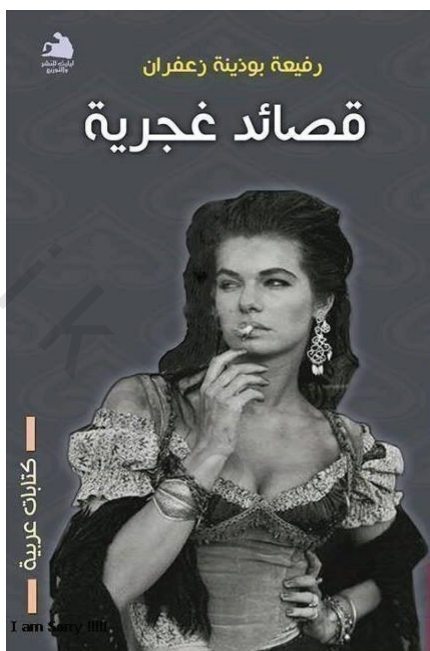
- ودقائق بعد الثالثة عن بيت الياسمين

- وعودة من هناك عن دار ذات.

للتواصل مع الكاتب

Hazem.alshazly@hotmail.co.uk

العمل القادم لدار ليليت "100"



ديوان قصائد غجرية

للكاتبة التونسية .. ربيعة بوذينة زعفران

ابريل ٢٠١٥

رقم إيداع ٢١٩٩ / ٢٠١٥ ط١

الترقيم الدولى / ٩- ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨



لبلنة النشر
والتوزيع